شرح كتاب

عقيدة أهل السُّنَّة والجَمَاعَة

للعلامة الشَّيْخ/

مُحَمَّد بْنَ صالح بْنَ مُحَمَّد العُثيمِين

- رحمه الله -

فضيلة الشَّيْخ الدكتور/

يوسف الساكت

- حفظه الله -

الشيخ لم يراجع الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ والسلامُ عَلَىٰ رسوله الأمين وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ أَمَّا بَعْد؛ فأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولًا أَن يُوفقنا جميعًا للعِلْم النافع والعمل الصالح إِنَّه سميعٌ قريبٌ مُجيب الدُّعَاء.

ثُمَّ أُذكر نفسي وأُذكركم معاشر المُكرمين بتوفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونِعمته العظيمة إذ جَمعنا في هٰذَا المجلس نطلب الْعِلْم ونتدارسُ عِلْم العقيدة؛ بينما شُغِل الكثيرون والله المُستعان عَنْ هٰذَا الخير العظيم، فَهٰذِه نِعمةٌ عظيمة تستوجب مِنَّا الشُكر.

وَمِمَّا يُعين عَلَىٰ حضور هٰذِه المجالس وعَلَىٰ الاستمرار في الطلب استحضارُ الأجر، واستحضارُ الفضل الَّذِي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمجالس الْعِلْم، ومن أنفع ما يُذكر في هٰذَا الباب ذلكم الحَدِيْث العظيم الَّذِي أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وفيه: أَن رَجُلًا قَدِم عَلَىٰ أبي الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ بدمشق، فَالرَّجُلُ قَدِم عَلَىٰ أبي الدرداء وأبو الدرداء في دمشق والرَّجُلُ قَدِم من المدينة.

فَقَالَ أبو الدرداء -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما أقدمك يا أخي؟ فَقَالَ: حديثٌ بلغني أنك تُحدثِه عَنْ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَمّا قَدِمت لتجارة؟ قَالَ: لا، قَالَ: قَالَ: أَمّا قَدِمت لحاجة؟ قَالَ: لا، قَالَ: أَمّا قَدِمت إِلَّا لهذا الحَدِيْث؟ قَالَ: نعم.

قَالَ: فإني سمعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلَ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، أَلَا إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، أَلَا إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

فاللهَ أسأل أَن يجعلنا من هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِروا في الحَدِيْث، أَن يجعلنا ممن يسلك طريق الْعِلْم يُريد بذلك وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يجعلنا من أهل الْعِلْم الَّذِينَ ينالون هٰذَا الفضل العظيم.

هٰذِه النُّصُوص أَيُّهَا المُكرمون نصوصٌ مُهمة تُعين الْإِنْسَان تُعين طالب الْعِلْم عَلَىٰ التزام هٰذَا الطريق وبذل الجُهد فيه, واستحضارُ أجور الطاعات من أعظمِ ما ينفع في التزام الطاعة، فمن عَلِم الأجر واظب عَلَىٰ الذِّكْر، إن عَلِمت أجر الشيء أجر الطاعة فَإِن عِلْمَك هٰذَا يُورثك الحِرص عليها، ومن هُنَا أَلّف أهل الْعِلْم في فضائل الطاعات.

مثل هٰذِه النُّصُوص جميلٌ أَن تُذكر في مثل هٰذِه المشاريع الْعِلْمية الَّتِي تُنجز ويطلب إنجازها وقتًا رُبَمَا يكون فيه شيءٌ من الطول فاستحضروها دائمًا، والله أسأل أَن يُثبتنا جميعًا عَلَىٰ الْعِلْم النافع والعمل الصالح وأن يزيدنا خيرًا كَثِيْرًا.

وبعد هٰذَا أَيُّهَا المُكرمون أذكر نِقاط قبل أَن أبدأ بالتعليق عَلَىٰ المتن، أقول أولًا: هٰذِه الدروس دروسٌ مُهمة وَهِيَ فُرصة لا لأني أنا الشارح أبدًا، وَإِنَّمَا هِيَ فُرصة لأنها مجموعة من الْكُتُب العقيدة الَّتِي تجعلك عَلَىٰ فهمٍ ودراية في هٰذَا الْعِلْم.

ثُمَّ إنها بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ تُنجز في وقتٍ مُحدد ولا تطلب منك كثيرَ وقت، فالترتيب يُبين أنها سَتُنجز في ثلاثة فصولٍ دراسية، الفصل هٰذَا ثُمَّ الفصل الْثَّانِي ثُمَّ الفصل اَلْأَوَّل من العام القادم بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

والفصل الْثَّانِي من العام القادم رُبَمَا يشتمل عَلَىٰ **(متن التدمرية)** فَقَطْ، وفي هذين الفصلين سَنُنجز أكثر هٰذِه الْكُتُب، فَهٰذِه فُرصة أَن تُنجز هٰذِه الْكُتُب عَلَىٰ هٰذَا الترتيب وكُلها كُتُبٌ مُهمة في هٰذَا الفن هٰذَا أولًا.

ثانيًا: المنهج المُتبع في شرح هٰذِه الْكُتُب؛ المنهج المُتبع أَيُّهَا المُكرمون سنشرح هٰذِه الْكُتُب شرحًا مُختصرًا، وَهٰذَا لا يَعْنِي أننا سَنُخِل بمباحث هٰذِه الْكُتُب إذ الشرح المُختصر المُراد بِهِ التركيز عَلَىٰ الأصول المذكورة في كُل كِتَاب وَالْمَسَائِل المُهمة.

ففي كُل متن من هٰذِه المتون بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ نُركز عَلَىٰ الأصول المذكورة في كُل متن وعَلَىٰ الْمَسَائِل المُهمة، بهذه الطريقة نُنجز الْكِتَاب من دون إخلال، مَثَلًا الْكِتَاب اَلْأَوَّل **(عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة)** الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سيذكر جُملةً وسنقرأ جُملةً اَللَّيْلة بِإِذْنِ اللهِ من الآيات الَّتِي وردت فيها أسماءُ وصِفَاتٌ لله عَزَّوَجَلَّ.

مُراد الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هٰذِه الآيات بيان ما اشتملت عَلَيْهِ من أسماء وصِفَات، هُنَاكْ صِفَات النِزاعُ حولها مشهور وكبير، فَهٰذِه الَصِّفَات نتحدث حولها ونُعطيها قدرًا من التعليق والشرح، وَهُنَاكْ أسماء يكاد يكون أهل الْعِلْم يكاد يكون الجميع مُتفقًا عَلَىٰ مدلولها، فَحِينَئِذٍ هٰذِه لا نُعلِقُ عليها.

وَهٰذَا لا يَعْنِي أننا قَدْ قصرنا في الشرح، لِأَنَّ المُراد هُوَ ضبط القاعدة الكُلية وضبط الأمثلة المُهمة، أَمَّا الأمثلة الَّتِي دونها في الأهمية فَإِن مشيتها دون تعليق فالأمر في هٰذَا سهل، واضح أَيُّهَا المكرمون؟ حَتَّى الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرحه رُبَمَا فوت بعض الْمَسَائِل الجُزئية الَّتِي وُجِدت في كتابه.

هٰذِه الطريقة بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ هِيَ الطريقة الَّتِي سنعتمدها في التعليق عَلَىٰ الْكُتُب كُلها، وبذا نستطيع أَن نُنجز كُل كِتَابٍ بوقتٍ قصير مع عدم الإخلال في الشرح، الْكِتَابُ الْأَوَّل نبدأ بهذا الْكِتَاب، وما مضى من الوقت غَير مُحتسب سنبدأ الوقت من هٰذِه اللحظة.

هٰذَا الْكِتَاب أَيُّهَا المُكرمون كِتَابٌ جميل رتبه الشَّيْخُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ ترتيب حديث جبريل المعروف، وفيه: أَن جبريل سأل النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْإِيمَان، فبين النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أركان الْإِيمَان المعروفة.

وابن أبي العِز الحَنفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(شرح الطحاوية)** بين أَن أنسب ترتيبٍ لكُتب المُعتقد هُوَ أَن تُرَتَب عَلَىٰ وفق ما جاء في حديث جبريل، وَهٰذَا ما فَعله الشَّيْخ/ مُحَمَّد بْنَ صالح العُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَّا أَنَّهُ أضاف بعض المباحث الَّتِي اعتاد الكاتبون في المُعتقد عَلَىٰ أَن يتطرقوا لها كمبحث الصَّحَابَة، طيب تفضل شَيْخ.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الْأَنْبِيَاء والْمُرْسَلِين نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، قَالَ الإِمَام/ مُحَمَّد بْنَ صالح العُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كِتَابه **(عقيدةُ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة)**: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ولا عدوان إِلَّا عَلَىٰ الظالمين، وَأَشْهَدُ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شريك له الْمَلِك الحَقّ الْمُبِين ورسوله خاتم النبيين وإمام الْمُتقين، صَلى الله عَلَيْهِ وعَلَىٰ آله وأصحابه ومن تَبعهم بإحسانٍ إِلَىٰ يوم الدِّين أَمَّا بعد: فَإِن الله تَعَالَىٰ أرسل رسوله مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهُدى ودين الحق، رحمةً للّعَالَمِينَ، وقدوة للعاملين، وحُجة عَلَىٰ الْعِبَاد أَجْمَعِيْنَ.

(الشرح)

أحسنت عندكم: **"وحُجَة عَلَىٰ الْعِبَاد أَجْمَعِيْنَ"**، هل النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجة عَلَىٰ الْمَلَائِكَة؟ هل النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسِل إِلَىٰ الْمَلَائِكَة؟ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرسل ورسالته شاملةٌ للّإنسِ والجِن وَهٰذَا معلومٌ من الدِّين بالضرورة.

هل أُرسل النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للّمَلَائِكَة؟ مَسْأَلَةٌ فيها خِلاف، والمعروف المشهور أَن الْمَلَائِكَة غَير مشمولين بالرِّسَالَة، وَهٰذَا الَّذِي يُقرره ابْن تَيْمِيَّة ويُقرره جَمعٌ من أهل الْعِلْم، ومن أهل الْعِلْم من ذهب إِلَىٰ أَن الْمَلَائِكَة مشمولون بالرِّسَالَة منهم السيوطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أشار إِلَىٰ هٰذَا في رسالةٍ له في **(الإسراء وَالْمِعْرَاج)**.

لما كانت هٰذِه الْكَلِمَة من الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مُوهِمة لكون النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُجةً عَلَىٰ الإنِس والجِنِ والْمَلَائِكَة غيرها الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَذَكَرَ هٰذَا في شرحه فَقَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين يَقُول هٰذَا في شرحه يَقُول: **"هكذا جاء في عبارة كثيرٍ من العُلَمَاء حُجة عَلَىٰ الْعِبَاد أَجْمَعِيْنَ، وَهٰذَا يقتضي أَن يكون رَسولًا مُرسلًا حَتَّىٰ إِلَىٰ الجِن وَحَتَّىٰ إِلَىٰ الْمَلَائِكَة وَحَتَّىٰ إِلَىٰ جميع الخَلق، ولكن إرساله إِلَىٰ الجِن أمرٌ معلوم وإرساله إِلَىٰ الْمَلَائِكَة فيه نَظر؛ ولهذا لو قِيلَ بَدل هٰذِه العبارة: وَحُجة عَلَىٰ من أُرسِل إليهم أَجْمَعِيْنَ لَسَلِمنا من هٰذَا**

الإشكال، وَهُوَ أنه هل هُوَ مُرسَلٌ إِلَىٰ الْمَلَائِكَة أم لا؟ لأننا لَيْسَ عندنا عِلْمٌ أَنَّهُ أُرسِل إِلَىٰ الْمَلَائِكَة وهم لَا شَكَّ من عباد الله".

إِذًا تستطيعون أن تكتبوا هُنَا: قَالَ الشَّيْخ في شرحه: **"وَحُجة عَلَىٰ من أُرسِل إليهم أَجْمَعِيْنَ"**، ليدفع ما تُوهِمه العبارة المُثبتة من كونه مُرسلًا إِلَىٰ الْمَلَائِكَة، وَحُجة عَلَىٰ من أُرسِل إليهم أَجْمَعِيْنَ، طيب تفضل.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَحُجة عَلَىٰ الْعِبَاد أَجْمَعِيْنَ بَين بِهِ وبما أنزل عَلَيْهِ من الْكِتَاب وَالْحِكْمَة كُل ما فيه صلاح الْعِبَاد، واستقامة أحوالهم في دِينهم ودُنياهم من العقائد الصَّحِيْحة، والأعمال القويمة، والأخلاق الفاضلة، والآداب العالية.

فترك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمته عَلَىٰ المَحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إِلَّا هالك؛ فسار عَلَىٰ ذَلِكَ أمته الَّذِينَ استجابوا لله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهُم خِيرة الخلق، من الصَّحَابَة والتابعين وَالَّذِينَ اتبعوهم بإحسان، فقاموا بشريعته، وتمسكوا بِسُنَّتِه، وعضوا عليها بالنواجذ: عقيدةً، وعبادةً، وخُلقًا، وأدبًا، فصاروا هم الطائفة الَّذِينَ لا يزالون عَلَىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حَتَّىٰ يأتي أمر الله تَعَالَىٰ وهُم عَلَىٰ ذَلِكَ.

(الشرح)

أحسنت قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"بَين بِهِ"**، أي بَين اللهُ عَزَّوَجَلَّ بنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **"وبما أنزل عَلَيْهِ من الْكِتَاب وَالْحِكْمَة"**، الله عَزَّوَجَلَّ يَقُول: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، الْحِكْمَةُ السُّنَّة فالْقُرْآنُ مُنزل وَالسُّنَّةُ مُنزلة بنص الْقُرْآن: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وفي هٰذِه الجُملة تفصيل سأدعه طلبًا للاختصار.

قَالَ: **"بَين بِهِ وبما أنزل عَلَيْهِ من الْكِتَاب وَالْحِكْمَة كُل ما فيه صلاح الْعِبَاد، واستقامة أحوالهم في دِينهم ودُنياهم من العقائد الصَّحِيْحة، والأعمال القويمة، والأخلاق الفاضلة، والآداب العالية".**

الله عَزَّوَجَلَّ يَقُول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بين في كِتَابه ما يحتاج إليه الخلق في أمور دينهم، فلا يحتاجون إِلَىٰ غَير كِتَابه وَسُنَّة نبيه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وذلكم المُشرك قَالَ لسلمان الفارسي: يُعلمكم نبيكم يُعلمكم كُل شيء حَتَّىٰ الخِراءة؟ ما استحى سلمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورَد وأحسن الإجابة فَقَالَ: **"نعم يُعلِمنا أَن لا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وأن لا نستقبل القِبْلة، وأن لا نستنجي بعظمٍ وروث"**.

فَالنَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بشريعةٍ كاملة لا يحتاج الْإِنْسَانُ إِلَىٰ غَير كِتَاب الله وَإِلَىٰ غَير سُنَّة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيان الشرع، والشَّرِيعَةُ جاءت بأصول وببيان أحكام الجُزئيات ولكن هٰذَا لا يَعْنِي أَن تجد كُل حُكمٍ لِمَسْأَلَةٍ جُزئيةٍ قَدْ نُص عَلَيْهِ بعينه.

فالشَّرِيعَةُ لم تنص عَلَىٰ كُل الجُزئيات، ولو نصت الشَّرِيعَة عَلَىٰ كُل الجُزئيات لكانت أضعاف أضعاف ما بين أيدينا اليوم؛ وَإِنَّمَا جاءت الشَّرِيعَةُ بالكُليات وبأحكام بعض الجُزئيات، وما لم يُوجد من الجُزئيات منصوصًا عَلَيْهِ بعينه فَإِنَّهُ يُؤخذ من حُكم نظيره، أو يندرجُ تَحْتَ أصلٍ كُلي.

وَهٰذَا من المُهم أَن يُعرف وبذا نعرفُ معنى هٰذَا الَّذِي قَالَ الشَّيْخ/ مُحَمَّد بْنَ صالح العُثيمين، ومعنى قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، لِأَنَّ البعض رُبَمَا ينظر في مَسْأَلَةٍ جُزئية وينظر في نصوص الشرع فلا يجد أَن الشَّرِيعَة قَدْ نصت عَلَىٰ هٰذِه الْمَسْأَلَة الجُزئية، فيحتار في فهم مثل هٰذِه النُّصُوص الَّتِي تُبين أَن الشَّرِيعَة قَدْ بَيَّنَت كُل شيء، فيُقَال: **"كُل مَسْأَلَةٍ جُزئية لم يُوجد بيان حُكمها منصوصًا عَلَيْهِ فَإِنَّها تندرجُ تَحْتَ أصلٍ كُلي"**.

النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءه رجل فَقَالَ له: يا رَسُول الله ما حُكم البِتع والمِزر؟ يسأله عَنْ البِتع والمزر عَنْ نبيذ العسل ونبيذ الشعير، ما حُكم البِتع والمِزر؟ مَاذَا قَالَ له النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «أنهى عَنْ كُل مُسكرٍ يُسكِرُ عَنْ الصَّلَاة».

هل أجابه فَقَالَ له: البِتعُ حلال أم المِزرُ حلال، أَمَّا أجاب بقاعدة كُلية؟ أجاب بقاعدة كُلية فَحِينَئِذٍ النبيذُ إن كان بِتعًا أو كان مِزرًا أو كان غَير ذَلِكَ يندرجُ تَحْتَ هٰذِه القاعدة الكُلية، إن كان مُسكرًا فَإِنَّهُ ينهى عنه، وإن لم يكن مُسكرًا فَإِنَّهُ لا ينهى عنه، وهكذا أحكامُ الكثير من الجُزئيات لا تجدُ نصًا مُعينًا في بيان حُكم هٰذِه الجُزئية، وَإِنَّمَا تجد حُكمه مُندرجًا تَحْتَ قاعدةٍ كُلية، تفضل يا شَيْخ.

(المتن)

ونحن ولله الحمد عَلَىٰ آثارهم سائرون، وبسيرتهم المُؤيدة بالْكِتَاب وَالسُّنَّة مُهتَدون، نَقُول ذَلِكَ تحدثًا بنعمة الله، وبيانًا لما يجب أن يكون عَلَيْهِ كُل مؤمن، ونسأل الله تَعَالَىٰ أن يُثبتنا وإخواننا المُسْلِمِين بالقول الثابت في الحياة الدُّنْيَا وفي الْآخِرَة، وأن يهب لنا منه رحمة إِنَّه هُوَ الوهاب.

ولأهمية هٰذَا الموضوع وتفرق أهواء الخلق فيه أحببت أن أكتب عَلَىٰ سبيل الاختصار عقيدتنا: **(عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة)** وَهِيَ: **"الْإِيمَانُ بالله، وملائكته، وَكُتبه، ورُسُلِه، واليوم الآخَر، والْقَدَر خيره وشره"**، سائلاً الله تَعَالَىٰ أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، مُوافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده.

(الشرح)

أحسنت الْمُصَنِّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ذَكَرَ في هٰذِه الْمُقدمة أَن الله عَزَّوَجَلَّ بين لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحَق، بِمَا أنزل عَلَيْهِ من الْقُرْآن والْحِكْمَة، ثُمَّ بين أَن السَّلَف أخذوا عَنْ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن الصَّحَابَة أخذوا عَنْ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن من بعدهم أخذ عنهم، وهكذا إِلَىٰ أَن وصلنا هٰذَا الْعِلْم فكتب الشَّيْخ هٰذِه العقيدة عَلَىٰ وَفق ما كان عَلَيْهِ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعون.

لِمَاذَا بدأ الشَّيْخُ هٰذَا الْكِتَاب بهذه الْمُقدمة؟ ليُبين أمرًا مُهمًا وَهُوَ إن كان الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ بين بنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما تحتاجه الأمة من أمور دينها فَلَا بُدَّ وأنه قَدْ بين لهم أمور الْمُعتَقد، فَهٰذِه الأمور المكتوبة أمورٌ موروثة بالدليل الصَّحِيْح من الْقُرْآن وَالسُّنَّة، فلا مجال للعَبث

ولا مجال للابتداع، والتحاكم يكون لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويكون لسُّنَّة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فيها.

هٰذَا أمرٌ أَيُّهَا المُكرَم لَا بُدَّ أَن تضبطه وأن تعرفه وأن تستحضره في المُعتقد، وَهُوَ أَن هٰذَا المُعتقد مأخوذٌ من سُّنَّة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن كِتَاب ربنا عَلَىٰ وفق ما كان عَلَيْهِ أصحابُ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومن بعدهم من أهل الْعِلْم.

حَتَّىٰ لا يبقى مجال لعبث العابثين الَّذِينَ صاروا يعتمدون في أمور المُعتقد عَلَىٰ ما يصلون إليه بعقولهم المُجردة عَنْ النظر في كِتَاب الله وفي سُّنَّة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ثُمَّ إن وجدوا في الْقُرْآن وَالسُّنَّة ما يعضد ما وصلوا إليه بعقولهم أخذوه، أخذوه اعتضادً لا اعتمادً، وما خالف عقولهم من الْقُرْآن وَالسُّنَّة كذبوه أو أَوَّلوه، ويزعمون أَنَّهم أهلُ العقل وأهلُ الرأي، والعقلُ والرأي لا يخرجان عَنْ كِتَاب الله وعن سُّنَّة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وَهُنَا أمر سنعتمده أَيُّهَا المُكرمون في شرح هٰذَا الْكِتَاب وما بعده وأرجوا أَن تنتبهوا لهذا، لَنْ نتطرق لعقائد أهل الْبِدَع بالشرح إِلَّا إن تطرق صاحب الْكِتَاب لبيان عقائدهم، وَهٰذَا أمر مُهم جِدًّا في طلبك لعِلْم المُعتقد.

البعض لا يُحسِن هٰذَا وتُصبح عنده رغبة في الاطلاع عَلَىٰ عقائد أهل الْبِدَع، فرُبَمَا تجده يُتقن قول المُبتدعة في الْمَسْأَلَة المُعينة وإذا سألته عَنْ قول أَهْل السُّنَّةِ فيها لم يُجِب، وَهٰذَا قَدْ وجدته من عددٍ ممن طلب هٰذَا الفَن.

فبعضهم فِيمَا أذكر تحدث معي في مَسْأَلَة دقيقة من مَسَائِل الْكَلَام، وأنا أعرفُ أَن مُستواه الْعِلْمي لا يليق بأن يتكلم في هٰذِه الْمَسْأَلَة، فأردت أَن أنبهه لهذا فَقُلْت: طيب وما قول أهل السُّنَّة في هٰذِه الْمَسْأَلَة؟ فَقَالَ: لا أدري، فعرف قول أهل الْبِدَع ولم يعرف قول أهل السُّنَّة.

ففي طلبك للّعِلْم احرص أولًا عَلَىٰ أَن تعرف عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، وعند بحث أي مَسْأَلَة قُل أولًا: ما قول أَهْل السُّنَّةِ فيها؟ بعد هٰذَا إن أردت أَن تَطلِع عَلَىٰ أقوال غيرهم فَاطلِع؛ ولكن بعد أَن تضبط مُعتقدك بأدلته.

ومن هُنَا لا يحسن بطالب الْعِلْم الَّذِي يتعلم العقيدة أَن يتعلم أقوال أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة وأقوال أهل الْبِدَع في آن واحد رُبَمَا يختلط عَلَيْهِ الأمر، فأولًا يتعلم أقوال أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة.

نتعرض لأقوال أهل الْبِدَع إن تعرض إليها المُؤَلِّف ولا نُطيل، واعرف أنك بأخذك لأقوالهم من هٰذِه الْكُتُب لَنْ تُتقن أقوالهم، اتقان أقوال أهل الْبِدَع يحتاج إِلَىٰ أسلوبٍ خاص وَإِلَىٰ دراسة خاصة؛ ولكن بعِلْمك بهذا المُعتقد الصَّحِيْح تستطيع دفع فسادهم ودفع أخطائهم، لِأَنَّك إن عرفت الحق فيكفيك أَن تُقرِر الحق لدفع الباطل.

⇦ وَهُنَا قاعدتان جليلتان:

◀ **القَاعدةُ الأُوْلَىٰ** : أَن المرء عَلَيْهِ أَن يبدأ بالأهم فالأهم، فالرَّجُلان اللذان كانا مع يوسف في السِجن سألاه عَنْ مَاذَا؟ كُلٌّ منهما سأل عَنْ رؤيا رآها، يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما أجابهم عَنْ تأويل الرُؤيا قَالَ: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾ [يوسف: ٣٩]؟ بدأ بالأهم.

هُنَا أخذ من هٰذَا السِعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ هٰذِه القاعدة وَهِيَ: **"أَن يُبدأ بالأهم فالأهم"**، وَهٰذِه القاعدة قاعدة في العلوم الدِّينية وفي الحياة الدُّنْيَوية وفي عبادتك وتقربك لله عَزَّوَجَلَّ، تبدأُ دائمًا بالأهم فالأهم، فَهٰذَا يقتضي أَن تبدأ أولًا بتعلم عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في الأبواب المُتنوعة قبل أَن تأخذ بالاطلاع عَلَىٰ عقائد أهل الْبِدَع.

◀ **القَاعدةُ الثَّانِيَة**: **"إذا اتضح الحق لَمْ يَبق للمُعارضة مجال"**، وَهٰذِه أَيْضًا ذكرها السِعدي -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في **(القواعد الحِسان)** وذكرها في **(تيسير الكريم الرحمن)**، عند قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠].

قَالَ: إذا ظهر الحق، الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لم يَبق للمُعارضة مجال، لِمَاذَا أقول هٰذَا هُنَا؟ أقول هٰذَا لتعلم أنك بتعلمك للعقيدة الصَّحِيْحة تستطيع أَن تدفع الأقوالَ الباطلة، فأنت بين

الحق في الْمَسْأَلَة فَإِن بَيَّنَت الحق ظهر الحق فالباطل لا يبقى له مجال، فبتعلمك للعقيدة الصَّحِيْحة تستطيع رد الباطل وإن لم تتعلمه لِأَنَّ معك الحق، إِذًا لِمَاذَا أتعلم الباطل؟

نَقُول: لَا شَكَّ أَن اطلاعك عَلَىٰ الباطل يُقوي حُجتك عندما تُبين الحق وتُبين زيف الباطل ولكن هٰذَا لا تفعله الآن، الآن عليك أَن تتعلم العقيدة الصَّحِيْحة في الأبواب المتنوعة، ثُمَّ بعد ذَلِكَ إن وجدت من نفسك رغبة في أَن تطلع عَلَىٰ بعض المناهج الْمُنحرفة لِتُبين فسادها فهذا أمرٌ له وقته.

واضح أَيُّهَا الْمُكرمون؟ هٰذَا مُهم لِأَنَّ الكثير من طُلاب الْعِلْم عندما يتعلم هٰذِه العقيدة ثُمَّ تُعرض بعض مَسَائِل الْكَلَام يُصبح في نفسه رغبة للاطلاع عَلَىٰ هٰذِه المباحث، فتجده ينصرف للقراءة في هٰذِه الْكُتُب ولم يضبط الْمُعتقد بعد.

بل بعضهم رُبَمَا، رُبَمَا أقول: يُوجد عنده شيء لَيْسَ بطيب وَهُوَ أَنَّهُ يرى أَن هٰذَا من الْعِلْم السهل، وأن من درس مثل هٰذِه العلوم وعقائد أهل السُّنَّة الواضحة فَإِن هٰذَا لم يبلغ التحقيق والتدقيق في الْمُعتقد، وَإِنَّمَا الْمُحقق والْمُدقِق هُوَ الَّذِي يُناقش القضايا الْكَلَامية ويُبطلها ويتوسع في هٰذَا.

وَهٰذَا لَيْسَ بصحيح اضبط عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة وتحتاج منك إِلَىٰ وقت، ثُمَّ أفضل لك أَن تضبط الْقُرْآن وتفسيره، وأن تضبط الحَدِيْث وعلومه، وأن تضبط الْفِقْه هٰذَا أنفع لك وأنفع لقلبك؛ لكن بعضهم رُبَمَا يجد من نفسه أَنَّهُ إن قرأ في كُتب هَؤُلَاءِ وفي نقاشهم يجد أَنَّهُ ذا قُدرة وأن هٰذَا الشيء الَّذِي يُحبه فَهٰذَا شيءٌ آخر.

طيب عمومًا الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بين أَنَّهُ أَلّف هٰذَا الْكِتَاب لأهمية هٰذَا الموضوع ولكثرة من خاض في هٰذِه المواضيع بالباطل، ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: عقيدتنا تفضل شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عقيدتنا: الْإِيمَان بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليوم الآخر والْقَدَر خيره وشره، فنؤمن بربوبية الله تَعَالَىٰ، أي: بِأَنَّهُ الْرَّبُّ الخالق المالك المُدبر لجميع الأمور.

(الشرح)

أحسنت: "**عقيدتنا: الْإِيمَانُ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليوم الآخر والْقَدَر خيره وشره**"، عقيدتنا العقيدة من العَقد أَيُّهَا المُكرمون والعَقد في اللُّغَة هُوَ الرَبط، فالعقيدة هِيَ المَسَائِل العقدية الَّتِي يربط المُسْلِم قلبه عليها فيكون إيمانه بِهِ قويًا.

قَالَ: "**الْإِيمَانُ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ واليوم الآخر والْقَدَر خيره وشره**"، هٰذِه أركان الْإِيمَان وقد ذُكِرت في الْقُرْآن في قوله تَعَالَىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَذُكِرت أَيْضًا في حديث عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فبدأ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ ببيان الْإِيمَانِ بالله عَزَّوَجَلَّ، فسَيُبين الشَّيْخ أَن الْإِيمَان بالله عَزَّوَجَلَّ هُوَ الْإِيمَانُ بربوبيته وبألوهيته وبأسمائه وَصِفَاته، فَقَالَ: "**فنؤمن بربوبية الله تَعَالَىٰ، أي: بِأَنَّهُ الْرَّبُّ الخالق المَالك المُدبر لجميع الأمور**".

الْإِيمَان بالربوبية أَيُّهَا المُكرمون أوجز أن تَقُول: "**هُوَ إفراد الله بأفعاله**"، هٰذَا أوجز الْإِيمَان بالربوبية هُوَ إفرادُ الله عَزَّوَجَلَّ بأفعاله، الشَّيْخ عندما قَالَ: "**بِأَنَّهُ الْرَّبُّ الخالق المَالك المُدبر لجميع الأمور**"، لا يُريد الحصر لا يُريد أَن الْإِيمَان بالربوبية هُوَ مُجرد الْإِيمَان بِأَنَّهُ الْرَّبُّ الخالق المَلِك المُدبر، وَإِنَّمَا ذَكَرَ هٰذِه الأوصاف لأنها أخص أوصاف الْرَّبّ وإليها يعود ما سواها.

إِذًا الشَّيْخُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لا يُريد حصر الربوبية بهذه الأوصاف، وَإِنَّمَا اقتصر عَلَىٰ هٰذِه الأوصاف لأنها أخص أوصاف الْرَّبّ، ولأن ما سواها يعود إِلَيْهَا، وأخصر من هٰذَا وأوجز أَن تَقُول: "**توحيد الله بالربوبية هُوَ: إفراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأفعاله**"، فهو الخالق لا خالق غيره وَهُوَ الرازق وَهُوَ المُدبر وَهُوَ المُحيي وَهُوَ المُميت إِلَىٰ آخره.

طيب بِأَنَّهُ الْرَّبّ، الْرَّبّ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥]، وَالْرَّبُّ بمعنى المُربي، المُربي لعباده بالنِعم، هُنَا أمر سنهتم بِهِ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وعليكم أَن تعتنوا بِهِ، وَهٰذَا الأمر يندرج تَحْتَ قاعدة نعتني بالقواعد أَيُّهَا المُكرمون.

من أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ أوصافٌ تَرِدُ بمعنيين:

عام.

وخاص.

هٰذِه الأوصاف احرص عَلَىٰ أَن تجمعها في موضعٍ واحد، كُلما يمر معك وصفٌ من أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ يُقسمه أهل الْعِلْم إِلَىٰ عام وخاص فاكتبه، حَتَّىٰ تُجمع لك هٰذِه الأوصاف إذ هٰذِه الأوصاف الَّتِي تُقسم إِلَىٰ عام وخاص تُعينك عَلَىٰ فهم النُّصُوص الَّتِي وردت فيها، فتعرف أنها وردت في هٰذَا النَّصّ بالمعنى العام، وتعرف أَنها وردت في هٰذَا النَّصّ بالمعنى الخاص.

من اعتنى بهذا شَيْخُ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة، ابْن القيم، السِعدي، هَؤُلَاءِ الثلاثة لهم عِناية ظاهرة في هٰذِه الأوصاف، وأنا سأحرص في الدروس عَلَىٰ ذِكر شيء من هٰذَا، مَثَلًا الْرَّبّ الْرَّبّ ربوبية الْرَّبّ نوعان من ذَكَرَ هٰذَا؟ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر **(الحَموية)**، والسِعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(تيسير الكريم الرحمن)**، والسِعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(القواعد الحِسان)** بين أَن ربوبية الله نوعان:

ربوبيةٌ عامة.

وربوبيةٌ خاصة.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، هٰذِه ربوبية عامة فالله عَزَّوَجَلَّ يُربي خلقه كُلهم بالنِعم كافرهم ومُؤمنهم.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢٢]، هٰذِه ربوبية خاصة.

الربوبية العامة فيها هِداية الدِلالة والإرشاد، فالله عَزَّوَجَلَّ يُرشد عباده كُلهم لمنافعهم الدُّنْيَوية يرزقهم كُلهم بِمَا يُحقق بِهِ مصالحهم الدُّنْيَوية، أَمَّا الربوبية الخاصة فتقتضي هِداية

التوفيق والإلهام، هٰذِه التوفيق للطاعات هٰذِه الربوبية الخاصة؛ إِذًا الربوبية جاءت في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة بمعنيين اثنين:

مَعنًى عام.

وَمعنًى خاص.

نص عَلَىٰ هٰذَا شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في آخر **(الفُتيا الحَموية)**، وبين هٰذَا السِعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(تفسير الفاتحة)** وفي **(القواعد الحِسان)**.

"بِأَنَّهُ الْرَّبّ"، الْرَّبُّ اسمٌ من أسماء الله، الخالق اسمٌ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وَهٰذَا معروف: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، وَمَعْنَاه المُوجِد للمخلوقات من العَدم.

المَلِك اسمٌ من أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ بمعنى ذي السُلطة العُليا الَّتِي لَيْسَ فوقها سُلطة، المُدبر صَنيع الشَّيْخ يُوهم أَن المُدبر اسمٌ من أسماء الله والمُدبر لَيْسَ اسمًا من أسماء الله.

فالشيخ هُنَا يُريد الإخبار لا يُريد التسمية، لِأَنَّ المُدبر لم يرد بصِيغَة الاسم وَإِنَّمَا وَرد بصِيغَة الْفِعْل: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]، والقاعدة الَّتِي سنتطرق إِلَيْهَا: **"بأن أسماء الله لا تُؤخذ من أفعاله"**، طيب اقرأ يا شَيْخ.

(المَتن)

ونُؤمن بألوهية الله تَعَالَىٰ، أي: بِأَنَّهُ الإله الحق وكُل مَعبودٍ سِواه باطل.

(الشَرح)

هٰذَا من الْإِيمَان بالله، الْإِيمَانُ بالله أَن تُؤمن بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصِفَاته، **"بِأَنَّهُ الإله"**، الإله اسمٌ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ عِند جَمع من أهل الْعِلْم منهم ابْن القيم وابن عُثيمين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وبعض أهل الْعِلْم لم يذكره في أسماء الله.

ومن أدلة كونه اسمًا قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، هٰذِه استدل بها بعض من يُثبت هٰذَا الاسم، قَالَ ابْن تَيْمِيَّة: **"الإله هُوَ الَّذِي يُأله فَيُعبد محبةً وإنابةً وإجلالًا وإكرامًا"**، إِذًا الإله اسمٌ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ: **"وكُل مَعبودٍ سِواه باطل"**، إِذًا الألوهية هِيَ: **"إفرادُ الله عَزَّوَجَلَّ بأفعال المخلوقين"**، هٰذَا أخصر وأوضح:

الربوبية قُلْنَا: **"إفراد الله بأفعاله"**.

الألوهية: **"إفراد الله بأفعال المخلوقين"**، فلا تُصلي إِلَّا لله، ولا تُزكي إِلَّا لله، ولا تصوم إِلَّا لله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، الإله قُلْنَا: اسمٌ من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ.

وَهٰذَا التَّوْحِيد أَيُّهَا المُكرمون توحيد الإلهية باعتبار نسبته إِلَىٰ الله، وتوحيد الْعِبَادَة باعتبار نسبته إِلَىٰ الْعِبَاد، فهو باعتبار الْعِبَاد وأنهم يُوحدون الله عَزَّوَجَلَّ ويُفردونه بالعبادة يُسمى توحيد الْعِبَادَة، وباعتبار أَن الله عَزَّوَجَلَّ هُوَ الإله يُسمى توحيد الإلهية.

قَالَ الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ويُقَال له: توحيد الْعِبَادَة باعتبارين: فباعتبار اضافته إِلَىٰ الله يُسمى توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إِلَىٰ الخلق يُسمى توحيد الْعِبَادَة"**، طيب تفضل.

(المتن)

قَالَ: ونُؤمن بأسمائه وصِفَاته، أي: بِأَنَّهُ له الْأَسْمَاء الْحُسْنَى والصِّفَات الكَاملة العُليا.

ونُؤمن بوحدانيته في ذَلِكَ، أي: بِأَنَّهُ لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائه وصِفَاته، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

(الشرح)

طيب: **"ونُؤمن بأسمائه وصِفَاته"**، الله عَزَّوَجَلَّ له أسماء: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله عَزَّوَجَلَّ له صِفَات وأدلة كَون لله عَزَّوَجَلَّ صِفَاتٍ كثيرة، ويكفي أَن تَتَدبر الْقُرْآن فالْقُرْآن مملوءٌ بصِفَاتِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولكن لما خالف المُخالفون وأخذوا يُنازعون في كون لله عَزَّوَجَلَّ وصَفًا احتجنا إِلَىٰ أَن نذكر هٰذِه الْأَدِلَّة الخاصة في أَن لله عَزَّوَجَلَّ صِفَة، وَإِلَّا فالْقُرْآن مملوء بالصِّفَات من يذكر نصًا عَلَىٰ أَن لله عَزَّوَجَلَّ صِفَة؟ هل ذُكِر الوصف بالْقُرْآن هكذا أو في السُّنَّة؟ يذكر أحدكم شَيْئًا برفع اليد، في الْقُرْآن جاء إن لله صِفَة؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: «لَيْسَ يُشبِهُ شيء»، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، أي الوصف الْأَعْلَى.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [محمد: ١٥]، أي وصف الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ.

اضبطوا هٰذَا لِأَنَّ البعض إذا قُلْت له: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ [الفاتحة: ٢، ٣] هٰذَا وصفان يُنازع في مثل هٰذَا، ويقول لك: هذان اسمها وليس وصفين، فتحتاج إِلَىٰ أَن تأتي بالنُّصُوص الدَّالَّة عَلَىٰ أَن لله عَزَّوَجَلَّ صِفَة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠].

السُّنَّة فيها حديثٌ صريحٌ واضح صريحٌ صَحِيْح في **(الصَّحِيْحَيْنِ)** جاء فيه لفظ الصِّفَة لله عَزَّوَجَلَّ من يذكرها أَيُّهَا المكرمون؟

الطالب: **"إنها صِفَة الرحمن"**.

الشَّيْخ: "**إنها صِفَة الرحمن**"، الرَّجُل الَّذِي أرسل النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَرية وجعل عليهم أميرًا، فكان هٰذَا الأمير يُصلي بهم ويختم كُل صلاةٍ بـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، فاستغربوا فِعْله.

فلما رجعوا أخبروا النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بصنيعه، فَقَالَ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**سَلوه لأي شيءٍ يصنع هٰذَا؟**»، فَقَالَ: "**إنها صِفَة الرحمن فأنا أُحب أَن أقرأ بها**"، فَقَالَ: «**أخبروه بِأَنَّهُ الله يحُبه**».

فَقَالَ: "**إنها صِفَة الرحمن**"، الله عَزَّوَجَلَّ له أسماء والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ له أوصاف، وأسماؤه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حُسْنَى، حُسْنَى مُؤنث أحسن حُسْنَى أي بلغت في الْحُسْنِ كماله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، الْحُسْنَى مُؤنث أحسن أي بلغت في الْحُسْنِ كماله، فأسماء الله بلغت في الْحُسْنِ كماله، والاسمُ الحَسن هُوَ الَّذِي يدل عَلَىٰ وصفٍ حسن.

فأسماء الله حُسْنَى من جِهَةِ اللَّفْظ ومن جِهَةِ المعاني الَّتِي تدل عليها، واضح أَيُّهَا المُكرمون فَهِمنا ما المُراد بكون أسماء الله حُسْنَى؟ أي حُسْنَى من جِهَةِ اللَّفْظ وحُسْنَى من جِهَةِ المعاني الَّتِي تشتملُ عليها.

"**والصِّفَات الكاملة**"، صِفَاتُ الله عَزَّوَجَلَّ كاملة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

طيب أَيُّهَا المُكرمون الآن عرفنا توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهيةِ، توحيد الْأَسْمَاء وَالصِّفَات أَن تُثبت لله الْأَسْمَاء الْحُسْنَى وَالصِّفَات العُليا، وتَقطعُ المُشابهة بين الله وبين خَلقه.

قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُٱللَّهُ: "**ونُؤمن بوحدانيته في ذَلِكَ، أي: بِأَنَّهُ لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته ولا في أسمائِهِ وصِفَاته**"، قال الله تَعَالَىٰ: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥].

هٰذِه الربوبية هٰذِه الآية اشتملت عَلَىٰ الربوبية والألوهية والأسماء وَالصِّفَات، رَبُّ هٰذِه الربوبية: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [مريم: ٦٥].

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ﴾ [مريم: ٦٥]، هٰذَا توحيد الْعِبَادَة.

﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، أي لا سَمِيّ له أي لا مُماثل له هٰذَا توحيد الْأَسْمَاء وَالصِّفَات.

إِذًا لِمَاذَا جاء الشَّيْخُ بهذه الآية؟ لِأَنَّ الآية مُشتملَةٌ عَلَىٰ توحيد الربوبية والألوهية والأسماء وَالصِّفَات.

طيب فلا نُثبت لله شريكًا لا في ربوبيته فلا نَقُول: هُنَاكْ خالق مع الله، ولا في إلهيته لا نَقُول: هُنَاكْ معبودٌ مع الله يستحق أَن يُعبد مع الله، ولا في أسمائه وصِفَاته فلا نَقُول: يَدُ الله كَيد فُلَان وسَمع الله كسمع فُلَان، فلا نُدِخل الإشراك لا في الربوبية ولا في الألوهية ولا في الْأَسْمَاء وَالصِّفَات تفضل شَيْخ.

قبل أَن يتفضل القارئ بالقراءة الآن أَيُّهَا المُكرمون الآن سأذكر بعض المُهمات، لِأَنَّ الشَّيْخ سيشرع الآن في ذِكر الآيات، الآن الشَّيْخ مَاذَا فَعل؟ نعرف صَنيع الشَّيْخ، الشَّيْخ بين لك أَن عقيدتنا عقيدةٌ في أركان الْإِيمَان فذكرها، ثُمَّ بين لك الْإِيمَان بالله عَزَّوَجَلَّ وأنه يكون بالإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصِفَاته، وأن لا تجعل له شريكًا في ذَلِكَ.

الآن ما الَّذِي سيفعله الشَّيْخ؟ سيذكر جُملةً من النُّصُوص الْقُرْآنِيَّة والأَحَادِيْث النَّبَوِيَّة، لِمَاذَا؟ ليُبين لك أننا نُؤمن بالْأَسْمَاء وَالصِّفَات الَّتِي اشتملت عليها هٰذِه النُّصُوص، فيطلب منك أَن تتأمل كُل آية وكُل حديث وتعرف الْأَسْمَاء والأوصاف الَّتِي اشتملت عليها كُل آية وكُل حديث وتُؤمن بهذه الْأَسْمَاء والأوصاف.

نحن منهجنا حَتَّىٰ نستطيع قطع الْكِتَاب بالمُدة المُقررة، وَقُلْت لكم: بِأَنَّهُ بِإِذْنِ اللهِ مَنهجٌ غَير مُخِل لَنْ نتعرض لكُلِ اسمٍ ووصفٍ بالشرح، وَإِنَّمَا سأُركز عَلَىٰ بعض الْمَسَائِل وبعض الأوصاف الَّذِي كَثُر النِقاش فيها.

الشَّيْخ بعد هٰذَا سيذكر لك أننا عَلَيْنَا أَن نحترز من محذورين عظيمين، ويتكلم حِيْنَئِذٍ عَنْ مَسْأَلَة التشبيه والتعطيل، وَالَّذِي أراه مُناسبًا أَن نُقدِم الحَدِيْث حول منهج أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في التعامل مع الصِّفَات، ثُمَّ نفهم هٰذِه الآيات عَلَىٰ وفق هٰذَا المَنهج، لا أَن نُؤخر المَنهج إِلَىٰ ما بعد هٰذِه الآيات والأَحَادِيْث.

وَهٰذَا الَّذِي فَعله شَيْخُ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة في **(الواسطية)**، شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة في **(الواسطية)** بين أولًا أننا نُثبت النُّصُوص وأننا نُثبت دلالة النُّصُوص عَلَىٰ الْأَسْمَاء وَالصِّفَات من غَير تكييفٍ ولا تمثل، ومن غَير تشبيه ولا تَعطيل ثُمَّ سَرد النُّصُوص، فأنا سأُقدِم الآن بالكلام حول التشبيه والتكييف والتأويل والتحريف والتعطيل، ثُمَّ نقرأ النُّصُوص هٰذِه ونُعلِق عَلَىٰ بعض ما فيها من أسماء وصِفَات.

وقبل ذَلِكَ أَيْضًا أذكر أمرًا مُهمًا: لِأَنَّ الَصِّفَات الَّتِي سنقرأها وستمر معنا منها صِفَات فِعْلية، منها صِفَات معنوية، منها صِفَات خبرية، فَلَا بُدَّ أَن نأخذ تقسيم الَصِّفَات، الآن أخذنا أربعًا وأربعين دقيقة الوقت المُقرر كم يا شَيْخ تقريبًا؟ راح نتعبهم بالصورة هٰذِه يا شَيْخ ساعة ونص زين يا إخوان ولا واجد؟ واجد، ساعة ونصف زين.

طيب القاعدة: ما يقوم بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الَصِّفَات أنواع، اضبطوا هٰذَا بهذا اللَّفْظ ما يقوم بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الَصِّفَات أنواع:

◀ النَوع الْأَوَّل: صِفَاتُ معنى، وَهِيَ الَّتِي لا تنفكُ عَنْ ذات الله: **"كالْعِلْمِ، والقُدرةِ"**، إِلَىٰ آخره.

◀ النَوع الْثَّانِي : صِفَاتٌ خَبرية، كاليدين والوجه والقَدم.

وضابط الَصِّفَات الخَبرية حَتَّىٰ تعرفوه، أهل الْعِلْم يَقُولون: **"الَصِّفَاتُ الخَبرية نظريها في الناس أبعاضٌ وأجزاء، ولا يُقَال: إنها في حق الله بعضٌ وجُزء، إذ البعضُ ما يصح أَن ينفصل عَنْ الكُل وَهٰذَا لا يُقَالُ في حق الله"**.

إِذًا ما هِيَ الَصِّفَة الخبرية؟ هِيَ الَّتِي نظيرها في المخلوقين بعض وجُزء، وَهِيَ في حق الله لا يُقَال: إنها بعض وجُزء، لِأَنَّ البعض ما يصح أَن ينفصل عَنْ الكُل وَهٰذَا لا يُقَالُ في حق الله.

نُمثِل: اليد الله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بأن له يدين كريمتين، اليد نظيرها في المخلوقين بعض أليس كَذَلِكَم؟ إِذًا هِيَ صِفَةٌ خَبرية، الوجه الله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بأن له وجهًا، الوجه نظيره في المخلوقين بعض وجُزء إِذًا هِيَ صِفَةٌ في حق الله صِفَةٌ خَبرية، هل يصح أَن نَقُول: هِيَ في

حق الله بعضٌ وجُزء؟ لا، لِأَنَّ البعض والجُزء ما صح أَن ينفصل عَنْ الكُل وَهٰذَا لا يُقَالُ في حق الله.

إِذًا ما يَقُوم بذات الله عَزَّوَجَلَّ من الصِّفَات أنواع:

- **النَوع الأَوَّل**: صِفَاتُ معنى، وَهِيَ الَّتِي لا تنفكُ عَنْ ذات الله.
- **النَوع الثَّانِي** : صِفَاتٌ خَبرية، وَهِيَ الَّتِي نظريها في الناس أبعاضٌ وأجزاء، وَهِيَ أَيْضًا لا تنفكُ عَنْ ذات الله عَزَّوَجَلَّ.
- **النَوع الثَّالِث**: صِفَاتٌ فِعْلية، وَهِيَ المُتعلقة بالمشيئة فَمَتَىٰ شاء فَعَل وَمَتَىٰ شاء لم يفعل.

كالغضب فَمَتَىٰ شاء الله أَن يغضب غَضِب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وكالمجيء مَتَىٰ شاء الله أَن يجيء جاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، اضبطوا هٰذَا.

الآن عندما ستمر معنا صِفَات تعرف أنت هل هٰذِه صِفَةٌ كُل الصِّفَات تقوم بذات الله، هل هُنَاكْ صِفَات لله لا تَقُوم بذاته؟ لا، الصِّفَة هِيَ الَّتِي تقوم بالموصوف لذلك قدمت فقُلْت: ما يقوم بذات الله، فالصِّفَاتُ الْفِعْلية قائمةٌ بذاته، الصِّفَات الخبرية قائمةٌ بذاته، الصِّفَات المعنوية قائمةٌ بذاته، كُلها قائمة بذات الله عَزَّوَجَلَّ.

عندما نقرأ النُّصُوص الآن ستعرف أَن هٰذِه الصِّفَة صِفَةٌ ذاتيةٌ معنوية، وأن هٰذِه الصِّفَة صِفَةٌ ذاتيةٌ خبرية، وأن هٰذِه الصِّفَة صِفَةٌ ذاتيةٌ فِعْلية، واضح أَيُّهَا المُكرمون هٰذَا الأمر الْأَوَّل.

الأمر الثَّانِي: في بيان المُراد للتحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل، التحريف لُغَةً التغيير، أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة قاعدتهم: **"أنهم يُثبتون الصِّفَات الَّتِي دلت عليها النُّصُوص الْقُرْآنية والأَحَادِيْث النَّبَويَّة من غَير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غَير تكييفٍ ولا تمثيل"**.

اضبطوا هٰذِه القاعدة هٰذَا منهج أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة العظيم في نصوص الصِّفَات، اضبطوا هٰذَا المنهج أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يُثبتون صِفَات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الواردة في الآيات

الْقُرْآنية والواردة في الأَحَادِيْث النَّبَويَّة من غَير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غَير تكييفٍ ولا تمثيل.

إِذًا عَلَيْنَا أَن نعرف ما هُوَ التحريف وما هُوَ التعطيل؟ وما هُوَ التكييف وما هُوَ التمثيل؟ حَتَّىٰ نفر من هٰذِه الأوصاف المذمومة الَّتِي لا يُقِر بِهَا أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة.

ما هُوَ التحريف؟ التحريفُ لُّغَة اكتبوا: **"التغيير"**، واصطلاحًا: **"تغيير النَّصّ لفظًا أو معنًى"**، تغيير النَّصّ لفظًا أهل الْبِدَع يأتون إِلَىٰ النَّصّ لَيْسَ كُل أهل الْبِدَع لكن منهم من يأتي إِلَىٰ النَّصّ يجد أَن الْقُرْآن أو السُّنَّة قَدْ أثبت لله عَزَّوَجَلَّ وصفًا فيُحرِف النَّصّ وَهٰذَا نادر قليل يَعْنِي، يُحرِف النَّصّ يُغير النَّصّ.

مثل قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى اللَّهُ فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضَمة، قَالَ هُوَ حَرف غَيّر فَقَالَ: **"كَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى"**، هُنَا من الْمُكلِم؟ مُوسَى واضح لينفي صِفَة الْكَلَام عَنْ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هٰذَا تحريف لفظي واضح أَيُّهَا الْمُكرمون؟ وَهٰذَا التحريف اللَّفْظ تحريفٌ يتغير معه الْمَعْنَى، وَهُنَاكْ تحريف لفظي لا يتغير معه الْمَعْنَى، وَهٰذَا التحريف اللَّفْظي الَّذِي لا يتغير معه الْمَعْنَى إِنَّمَا يصدر من الْجُهّال لا يصدر عَنْ عِلْم مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة: ٢]، يَقُول: **"الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"**، غَير الضَمة إِلَىٰ الفَتحة هٰذَا تحريف لا يتغير معه الْمَعْنَى، فَهٰذَا يصدر عَنْ الْجُهّال أَمَّا الْأَوَّل فيصدر عَنْ من يُرِيد أَن يُغير الْمَعْنَى.

واضح حرفنا التحريف أَيُّهَا الْمُكرمون؟ عرفنا التحريف اللَّفْظي الَّذِي يتغير معه الْمَعْنَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، التحريف اللَّفْظي الَّذِي لا يتغير معه الْمَعْنَى.

هُنَاكْ تحريف معنوي هٰذَا ثالث أنواع التحريف، فيأتي إِلَىٰ اللَّفْظ هٰذَا اللَّفْظ يدل عَلَىٰ معنًى في اللُّغَة فيجعل له معنًى غَير معروفٍ في اللُّغَة أو لا يُناسب السِّيَاق، اللَّفْظة يكون لها معنًى في اللُّغَة لفظة ترد في الْقُرْآن أو ترد في السُّنَّة ولها معنًى لغوي معروف فيُحدِث لهٰذِه اللَّفْظة معنًى غَير معروف، أو يستعملها في معنًى ثابتٍ لها لكنه لا يُناسب السِّيَاق.

مثلُ اليد أُطلقت عَلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ولها معنًى معروفٌ في اللُّغَة، فيقول: اليد المُطلقة عَلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في النُّصُوص بمعنى القُدرة أو النِعمة، فَهٰذَا حَرف أي غَير المَعْنَى الثابت لهٰذِه اللَّفْظة في اللُّغَة.

فَإِن قِيلَ: اليد استعملت في اللُّغَة بمعنى القُدرة؟ نَقُول: نعم استعملت اليد في اللُّغَة بمعنى القُدرة؛ ولكن هٰذَا السِّيَاق المُعين لا يَجُوز معه أَن تُفسَر اليد بالقُدرة، واضح أَيُّهَا المُكرمون؟

إِذًا التحريف هُوَ التغيير والتحريفُ يكون في اللَّفْظ وَالْمَعْنَى، يكون في اللَّفْظ مع تغيير المَعْنَى، ويكون في اللَّفْظ مع عدم تغيير المَعْنَى، ويكون في المَعْنَى، واضح أَيُّهَا المُكرمون؟ هٰذَا التحريف فأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا يُحرفون، يحملون النَّصّ عَلَىٰ المَعْنَى الثابت له في اللُّغَة الَّذِي يُناسبه السِّيَاق.

طيب التعطيل؛ التعطيل أَيُّهَا المُكرمون التفريغ والإخلاء لُّغَةً، التعطيل لُّغَةً: **"التفريغ والإخلاء"**، وفي الاصطلاح: **"إنكار ما يجب لله تَعَالَىٰ من الْأَسْمَاء وَالصِّفَات، أو إنكار بعض أسماء الله وصِفَاتِه"**.

التعطيل في الاصطلاح: **"إنكار ما يجب لله تَعَالَىٰ من الْأَسْمَاء وَالصِّفَات، أو إنكار بعض أسمائِه وصِفَاتِه"**، إِذًا هُوَ نوعي:

تَعطيل كُلي.

أو تَعطيل جُزئي.

فكُل من نفى عَنْ الله عَزَّوَجَلَّ وصفًا من الأوصاف الَّتِي دل عليها كِتَابه، أو دلت عليها سُنَّة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقد عَطل الله عَزَّوَجَلَّ عَنْ هٰذَا الوصف، وَهٰذَا هُوَ الإخلاء أي أخلا الله عَزَّوَجَلَّ عَنْ أَن يكون مُتصفًا بهذا الوصف.

فأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا يُعطِلون إن ورد وصفٌ لله عَزَّوَجَلَّ في نصٍ من النُّصُوص في قُرآن أو سُنَّة فإنهم يُثبتون هٰذَا الوصف لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، إِذًا أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا يُحرفون ولا يُعطِلون.

طيب التكييف: **"هُوَ حِكاية كيفية الَصِّفَة"**، كقول القائل: يدُ الله عَلَىٰ هيئة كذا وكذا، هٰذَا جَعل ليد الله كيفيةً مُعينة فنَقُول: هٰذَا قَدْ كَيّف، أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا يُكيفون لا يذكرون كيفيات صِفَات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيُثبتون الْمَعْنَى ولكن لا يُكيفون.

فيقولون: الله عَزَّوَجَلَّ له يدان كريمتان ويقفون هُنَا، لا يأخذون يُبينون كيفية هاتين اليدين، يقفون مع النُّصُوص الأوصاف المذكورة في النُّصُوص يذكرون الأوصاف المذكورة في النُّصُوص ويُؤمنون بها، أَمَّا ما زاد عَلَىٰ ذَلِكَم فلا يُثبتونها.

إِذًا هم يُؤمنون بالكيفية ولكن لا يذكرونها، إذ نفي الكيفية يَعْنِي نفي الَصِّفَة لا يوجد صِفَة إِلَّا ولها كيفية، إِذًا نُؤمن بأن صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ لها كيفيات ولكن لا نعرف هٰذِه الكيفيات ننفي الْعِلْم بها.

لما جاء رجل لمالك فسأله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾ [طه: ٥]، كيف اسْتَوَى؟ قَالَ مالك: **"الاستواء معلوم"**، أي الاستواء له معنًى في اللُّغَة نعرفه عَلَا وصَعد واستقر معانٍ مُثبتة للّاستواء إِذًا الاستواء معلوم، قَالَ: **"والكيف مَجهول"** لم يقل: لا كَيف لاستوائه قَالَ: **"الكيف مجهول"**، فنفى الْعِلْم بالكيف لم يَنفِ الكيف: **"والسؤال عنه بِدَعة"**.

ف أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة لا يُكيفون بمعنى أنهم لا يَقُولون: إن صِفَة الله عَلَىٰ الكيفية الْمُعينة فيُحدِدُون كيفية، ولا يسألون عَنْ كيفية صِفَات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

☚ قاعدة من باب الاستطراد: **"الْعِلْمُ بكيفية الَصِّفَة فرعٌ عَنْ الْعِلْمِ بكيفية الذات"**، فَإِذا كانت كيفية الذات مجهولة فكيفية الَصِّفَة مجهولة، فَإِذا قَالَ لك القائل: كيف يَدُ الله؟ إذا قَالَ لك القائل: اشرح لي كيفية يد الله؟ قُل له: اشرح لي كيفية ذات الله، سيقول لك: لا أدري، فقل له: وأنا لا أدري، لِأَنَّ الْعِلْم بكيفية الَصِّفَةِ فرعٌ عَنْ الْعِلْمِ بكيفية الذات، فلما كانت الذاتُ غَير مُدركةِ الكيفية فالَصِّفَةُ لا تُدرك كيفيتها، واضح أَيُّهَا الْمكرمون هٰذَا استطراد.

طيب التمثيل: **"التمثيلُ إثباتُ مثيلٍ للشيء"**، كأن يَقُول: يد الله كيد زيد، هُنَا جَعل ليد الله مثيلًا، ما الفَرق بين التكييف والتمثيل؟ التكييف أَن تَقُول: يد الله عَلَىٰ كيفية كذا

وكذا دون أَن تُحدِد مُشابهًا ومثيلًا، فتأخذ تصف الكيفية دون أَن تربط الكيفية بمُشابه ونظير.

والتمثيل تصف الكيفية وتجعل للكيفية مُشابهًا ونظيرًا، هٰذَا الفَرق بين التكييف والتمثيل، فالتمثيل إثباتٌ للكيفية مع إثبات المُشابِه، وَأَمَّا التكييف إثباتٌ للكيفية من غَير إثباتِ مُشابه، فالتمثيل تكييفٌ وزيادة.

التمثيل إثبات الكيفية مع إثبات المُشابه، فتقول: يد الله كيد زيد هٰذَا أثبت الكيفية وأثبت مُشابهًا، لأننا عرفنا الآن كيفية اليد أنها كيد زيد، وَهٰذَا قولٌ خطير وكُفر هٰذَا التمثيل؛ أَمَّا التكييف يَقُول: يد الله كذا وكذا دون أَن يربطها بمُشابه فَحِيْنَئِذٍ نَقُول: هٰذَا كَيّف ولم يُمثل، وفي الْمَسْأَلَة مزيد تفصيل ومُناقشة ولن أذكر شَيْئًا أكثر من هٰذَا.

إِذًا أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يُثبتون الْمَعْنَى، كُل ما تَرِد فهم يُؤمنون بمعناها، الْمَعْنَى كيف نعرفه في اللُّغَة؟ الْقُرْآن أَيُّهَا المُكرمون عربي وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عربي، فَهٰذِه الألفاظ الَّتِي تَكَلَّمَ اللهُ بها والألفاظ الَّتِي تَكَلَّمَ بها النَّبِيُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألفاظٌ لها مدلولاتٌ في لُّغَة الْعَرَب فنفهمها وفق الوضع اللُّغَوي الْعَرَبي، نفهم الَصِّفَة نفهم معناها ونقطعُ التكييف ونقطعُ التمثيل، ولا نُخلي اللَّفْظ عَنْ مدلوله فَنُعطِل ولا نُحرِف اللَّفْظ عَنْ مدلوله هٰذِه عقيدتنا.

▪ **نُمثِل بِصِفَة**: الله عَزَّوَجَلَّ السميع فنُثبت السمع في اللُّغَة، ما معنى السمع في اللُّغَة؟ إدراك المسموعات، عرفنا ما معنى السميع؟ إدراك المسموعات وفق الوضع اللغوي، كيف يسمع الله؟ اللهُ أَعْلَم، هل لسمعه كيفية؟ نعم.

السميع بمعنى إدراك المسموعات؟ نعم، هل هُوَ بمعنى إدراك المعلومات؟ لا خطأ لِأَنَّ السميع بمعنى إدراك المسموعات لا بمعنى إدراك المعلومات، فأثبتنا اللَّفْظة عَلَىٰ الوضع اللُّغَوي ولم نُكيف ولم نُمثل ولم نُعطِل ولم نُحرِف.

جاءك أحدهم فَقَالَ: السميع بمعنى إدراك المعلومات، هٰذَا مَاذَا فَعل؟ حَرّف جعل للسميع معنًى غَير الْمَعْنَى الثابت له في اللُّغَة.

جاءك أحدهم فَقَالَ: السميع سَمع الله عَزَّوَجَلَّ كسَمع فُلَان، نَقُول: هٰذَا مَثّل.

جاء أحدهم فَقَالَ: السميع سَمع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ هيئة كذا وكذا مِمَّا لم يُدرك في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة فَهٰذَا نَقُول: كَيْف.

أَمَّا من قَالَ: السميع هُوَ المُدرِكُ للمسموعات جاء بالمعنى اللُّغوي ولم يذكر كيفية ولم يذكر مُشابهًا، هل لسمع الله كيفية؟ نعم، نعلمها؟ هٰذِه عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة نمشي وفق هٰذَا المُعتقد عَلَىٰ كُل ما نجد مِمَّا يُثبت لله عَزَّوَجَلَّ، فكُل الصِّفَات الآن الَّتِي ستمر معنا نُجريها عَلَىٰ وفق هٰذَا المُعتقد، نعلم المَعْنَى وفق الوضع اللُّغَوي ننفي التكييف وننفي التشبيه لا نُعطِل ولا نُحرِف، طيب تفضل اقرأ يا شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمن بِأَنَّهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(الشرح)

هٰذِه الآية الأُوْلَى: لو أننا أردنا أَن نذكر الأوصاف الَّتِي وردت فيها ونُناقش كُل وَصف استغرقت درسًا، وأذكر الشرح الْأَوَّل لي عَلَىٰ هٰذَا الْكِتَاب شرحت هٰذِه في درس؛ ولكن ذاك الدَّرْس كان يَعْنِي فيه نوع من السِعة.

فالآن لَنْ نذكر شَيْئًا نَقُول: هٰذِه الآية اشتملت عَلَىٰ أسمَاءٍ وأوصافٍ لله عَزَّوَجَلَّ، فأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة يُؤمنون بهذه الْأَسْمَاء وَهٰذِه الأوصاف عَلَىٰ نحو ما بَيَّنْتُ لكم قبل قليل، وأكتفي باسمين اثنين الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

"الْحَيُّ الْقَيُّوم"، وردا مقرونين في ثلاث آيات: في **(البقرة)** وفي **(آل عِمران)** وفي **(طه)**: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١]، وَإِنَّمَا اقتصرت عَلَىٰ هذين الاسمين في التعليق لكون هذين الاسمين قَدْ قِيلَ: إنهما الاسم الأعظم.

وممن ذهب إِلَىٰ هٰذَا ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وَهذان الاسمان عليهما مدارُ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وأوصافه، فالْحَيُّ بمعنى صاحب الحياةِ الكاملة الَّتِي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء، ولا يتخللها سِنَةٌ وَلَا نَوْم.

وَهٰذَا الاسم يستلزم صِفَات الكمال لِأَنَّ النقص في صِفَةٍ من الَصِّفَات يستلزم النقص في الحياة، فلما كانت حياته كاملة اقتضى هٰذَا أَن تُثبت له الَصِّفَات الكاملة عَلَىٰ وجه الكمال، بين هٰذَا ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وابن القيم وابن أبي العِّز الحَنفي.

والْقَيُّوم يُفيد أمرين اثنين: أَنَّهُ القائم بنفسه المُقيم لغيره، وَهٰذَا يُفيد كمال قُدرته وكما غِناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إِذًا الله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه الْحَيّ الْقَيُّوم وهذان الاسمان قِيلَ: إنهما الاسمُ الأعظم الَّذِي إذا سُئِل بِهِ اللهُ أعطي وإذا دُعِيَ بِهِ أجاب، وممن ذهب إِلَىٰ هٰذَا ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وَهٰذَا الاسمان يُفدان وصفين عَلَيْهما مدارُ أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ، تفضل شَيْخ.

(المتن)

قَالَ: وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

(الشرح)

أحسنت هٰذِه آياتٌ عظيمة اشتملت عَلَىٰ أسماءٍ وأوصافٍ للرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأقتصر عَلَىٰ فائدتين ثِنتين:

◆ **الأُوْلَىٰ**: قوله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، فيه إثباتُ صِفَة الْعِلْم لله عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ ذَكَرْتُ لكم أنني سأعتني بالَصِّفَاتِ الواردة عَلَىٰ معنيين عام وخاص واعتنوا بها.

عِلْمُ الله عَزَّوَجَلَّ نوعان:

عام.

وخاص.

بين هٰذَا ابْن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بعض رسائله، الْعِلْمُ العام ورد في نصوص والأصل في النُّصُوص الدلالة عَلَىٰ الْعِلْم العام، فقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر: ٢٢]، يُفيد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العام فالله عَزَّوَجَلَّ يَعلمُ الْغَيْبِ وَيعلمُ الشَّهَادَةِ.

من يذكر دليلًا يدل عَلَىٰ الْعِلْم الخاص؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: ﴿عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٥]، جميل صح.

الطالب: ...

الشَّيْخ: لا، تفضل شَيْخ.

الطالب: ...

الشَّيْخ: لا، هٰذَا يُفيد الْعِلْم العام يا شَيْخ: أَن من عِلْمه إذا كان يعلم السِّر فهو من باب أَوْلَىٰ طيب: ﴿عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: ١١٥]، واضح ودليل دليل نافع ومن أوضح ما يكون أَيْضًا قول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعرف الله في الرَخاء يعرفك في الشِدّة**».

لَنْ أتكلم حول المعرفة، المعرفة فيها تفصيل، ابْن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذهب إِلَىٰ أَن المعرفة بمعنى الْعِلْم، عندما يَقُول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تعرف الله في الرَخاء يعرفك في الشِدّة**»، هل المُراد أَنَّهُ يعلم بحالِك فَقَطْ، أم هُوَ عِلْمٌ يترتب عَلَيْهِ التوفيق والتسديد والحِفظ؟ إِذًا هُوَ عِلْمٌ خاص.

واضح قَالَ ابْن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**الْمَعْنَى أَن الْعَبْد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه وَصِحته، فقد تعرف بذلك إِلَىٰ الله وكان بينه وبينهُ معرفة، فعرفه ربه في الشِدة وعرف له عمله في الرخاء، وَهٰذِه أَيْضًا معرفةٌ خاصة تقتضي القُرب من الله عَزَّوَجَلَّ ومحبته لعبده ...**"، إِلَىٰ آخره.

◆ الثَّانِيَة: قَالَ: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢]، هذان اسمان لَنْ أتحدث حولهما بالتفصيل اسمان يدلان عَلَىٰ وصف الله عَزَّوَجَلَّ بالرحمة، والرَّحْمَنُ أبلغُ في الدلالة عَلَىٰ رحمة الله من اسم الله الرَّحِيم.

ورحمة الله تنقسم إِلَىٰ قسمين:

عامة.

وخاصة.

الرحمة العامة: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢]، هٰذِه رحمة عامة.

الرحمة الخاصة من يذكر أمثلة للرحمة الخاصة؟

الطالب: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

الشَّيْخ: ممتاز: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣].

طيب إِذًا رحمة الله عَزَّوَجَلَّ عامة وخاصة، فالله عَزَّوَجَلَّ يرحم الْكَافِر، الْكَافِر يعيشُ في رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن رحمة الله الخاصة لا ينالها إِلَّا المُؤْمِنونَ، طيب تفضل شَيْخ.

وَهٰذَا التفصيل ذَكَرَه الشَّيْخ/ السِعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وَقُلْت لكم من له عناية في هٰذَا الباب: ابْن تَيْمِيَّة وابن القيم والسِعدي.

قَالَ السِعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، من العالم العلوي والسُفلي البر والفاجر المُؤْمِن والْكَافِر، فلا مخلوق إِلَّا وَقَدْ وصلت إليه رحمة الله وغَمره فضله وإحسانه، و لكن الرحمة الخاصة المُقتضية لسعادة الدُّنْيَا وَالْآخِرَة لَيْسَت لكُل أحد، ولهذا قَالَ عنها: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، هٰذِه الرحمة الخاصة.

(المَتن)

قَالَ: وَنُؤمن بأن له مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

(الشرح)

من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: القدير، والقدير هُوَ ذو القُدرة الَّتِي لا يُعجزها شيء، والله عَزَّوَجَلَّ من أسمائه أَيْضًا القادر والمُقتدر، فالله عَزَّوَجَلَّ القادر والمُقتدر والقدير.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَنُؤمن بِأَنَّهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١١، ١٢].

(الشرح)

طيب هٰذِه الآية تحتاج إِلَىٰ بسط ولكن أَنا سأختصر سأوجز الْكَلَام، وأرجو أَن يكون الْكَلَامُ واضحًا مع إيجازه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١١، ١٢].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، الكاف هٰذِه أَيُّهَا الْمكرمون الأصل في الكاف أنها بمعنى الشبه كاف التشبيه، عندما تَقُول: زَيْدٌ كخالد أي زَيْدٌ يُشبِه خالد فَهِيَ بمعنى يُشبه.

طيب إذا قُلْنَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، يكون الْمَعْنَى لَيْسَ يُشبه مِثلَه شيء، إِذًا له مِثل وَهٰذَا المِثل لا يُشبِهُ شيء فوقع الإشكال، عرفنا الإشكال: أَن الكاف في اللُّغَة بمعنى يُشبِه فَإِذا قُلْت: زَيْدٌ كخالد أي زَيْدٌ يُشبه خالدًا.

فَإِذا أخذنا هٰذَا الْمَعْنَى وحملنا عَلَيْهِ هٰذِه الآية يُصبح معنى الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي لَيْسَ يُشبِه مِثْلَه شَيْء إِذًا له مِثْلٍ وَهٰذَا المِثل لا يُشبِهُ شيء فوقع الإشكال، إذ ظاهرُ الآية يُفيد أَن لله مِثلًا وَهٰذَا المِثْلُ لَيْسَ يُشبِه شيء.

فمن أهل الْعِلْم من قَالَ: الكافُ زَائِدَة، إذا قَالُوا لك: زَائِدَة أي لا تُفيد الْمَعْنَى الَّذِي تُفيده في الأصل، وَإِنَّمَا هِيَ لمُجرد التوكيد فـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي لَيْسَ مِثْلِهِ شَيْء، الكاف لا معنى لها وَإِنَّمَا تُفيد التوكيد، هٰذَا قول لبعض أهل الْعِلْم.

وإذا دار الأمر في التَّفْسِير بين أمرين: بين أَن يُحمل اللَّفْظ عَلَىٰ مَعْنَاه الأصلي، وعَلَىٰ إعمال مَعْنَاهُ الأصلي، وبين أَن يكون لمُجرد التوكيد فالأَوْلَىٰ أَن يُحمل اللَّفْظ عَلَىٰ مَعْنَاه الأصلي وتُوجهوا الآية.

وَهٰذَا هُوَ الصَّحِيْح: أَن الكاف عَلَىٰ مَعْنَاها الأصلي، إِذًا ما معنى الآية؟ التَّصَرُّف يكون في لفظة مِثل، مِثل لها معنًى بِهِ يَصحُ فَهم الآية وَهُوَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي لَيْسَ كذاته شيء فالْعَرَبُ تُطلِق لفظ المِثل وتُريد بِهِ الشيء نفسه.

يَقُول: لَيْسَ كَمِثْلِكِ شَيْء، لَيْسَ مِثْلُك شَيْء أي لَيْسَ كذاتك شيء، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، أي فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ فأُطلِق المِثْلُ عَلَىٰ الشيء نفسه.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف: ١٠]، أي عَلَيْهِ ذاته وَهُوَ الْقُرْآن، فيُطلق في اللغة المِثْلُ ويُراد بِهِ الشيءُ ذاته، فلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء أي لَيْسَ كَالله شَيْء أي لَيْسَ يُشبِهُ اللهَ شَيْء فزال الإشكال، عرفنا الإشكال وعرفنا الجواب؟ إِذًا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، أي لَيْسَ يُشبِه اللهَ شيءٌ.

وَهٰذَا الْمَعْنَى بينه جَمع من أهل الْعِلْم، هٰذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَته لكم، وممن بينه في مواضع الشَنقيطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(أضواء البيان)**، طيب تفضل شَيْخ.

(المتن)

قَالَ: ونُؤمن بِأَنَّهُ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

(الشرح)

هٰذِه الآية اشتملت عَلَىٰ إثبات الرَّزْقَ لله عَزَّوَجَلَّ، فَرق بين الرَّزْقَ والرِّزْقَ، الرَّزْقَ هُوَ فِعْلُ الله اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَرزق فَفِعْله، وَهٰذَا خطأ شائه فيقولون لك: نُثبِت لله عَزَّوَجَلَّ الرِّزْقَ وَهُوَ يُريد فِعْل الله، إذا كان فِعْل الله عَلَيْهِ أَن يَقُول: ونُثبِت لله عَزَّوَجَلَّ الرَّزْقَ، أي أَن الله عَزَّوَجَلَّ رازقٌ؛ وَأَمَّا الرِّزْقَ فَهِيَ النِعمة الَّتِي يرزقها الله عَزَّوَجَلَّ الْإِنْسَان.

عرفنا الفَرق بين الرِّزْقَ والرَّزْقَ فَالَّذِي يُثبت لله عَزَّوَجَلَّ وصفًا هُوَ الرَّزْقَ، فاللهُ عَزَّوَجَلَّ هُوَ الرازق وَرَزْقَ الله عَزَّوَجَلَّ نوعان:

عَام.

وَخاص.

بين هٰذَا السِعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في مُقدمة تفسيره، فَقَالَ: **"وَرَّزقهُ لعباده نوعان: رَّزْقَ عام يشمل البَر والفاجر والأولين وَالآخَرين، وَرَّزْقَ خاص وَهُوَ رَّزْقَ القلوب وتغذيتها بالْعِلْمِ والْإِيمَانِ وَالرِّزْقَ الحَلال"**.

(المتن)

قَالَ: وَنُؤمن بِأَنَّهُ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [لأنعام: ٥٩].

(الشرح)

﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، هٰذِه الآية فيها سِعةُ عِلْم الله عَزَّوَجَلَّ فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَسِع كُل شيءٍ عِلْمًا، وَالشَّيْخُ هُنَا سيذكر آيةً تُفسِر هٰذِه الآية، الآية الثَّانِية تُفسِر هٰذِه الآية فَهُنَا ذَكَرَ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ما هِيَ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ؟ هِيَ الَّتِي سيذكرها في الآية الثَّانِيَة، اقرأ شَيْخ.

(المتن)

قَالَ: وَنُؤمِن بأن الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

(الشرح)

هٰذِه مَفَاتِحُ الْغَيْبِ الَّتِي جاءت في الآية السابقة، في الدَّرْس القادم بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ سَنُنجز التعليق عَلَىٰ كُل الآيات والأَحَادِيْث المُتعلقة بالصِّفَات، ثُمَّ يبقى لنا مجلسان نُتِم الْكِتَاب.

بذا تم الدَّرْس من أراد أَن ينصرف فله ذَلِكَ، ومن عنده سؤال فليتفضل بِهِ اللي عنده سؤال برفع اليد أَيُّهَا المُكرمون، السؤال يتعلق بالمُعتقد يَعْنِي يتعلق بِمَا نحن فيه تفضل.

الطالب: ...؟

الشَّيْخ: ظَهر موجود أي نعم الْأَسْمَاء المُثبتة للاستواء عَلَا وارتفع وصعد وظَهر واستقر، كُلها ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وَذَكَرَ هٰذَا الْمَعْنَى ابْن تَيْمِيَّة في **(بيان تلبيس الْجَهْمِيَّة)** نقله عَنْ بعض السَّلَف طيب.

الطالب: ...؟

الشَّيْخ: يذكر الشَّيْخ/ لِمَاذَا يذكر الآيات؟ يذكر الآيات لأنها مُشتملة عَلَىٰ الَصِّفَات وليربطك بالدليل، فلم يذكر الَصِّفَة فَقَطْ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الآية لتأخذ منها صِفَة ولتعرف الدليل الَّذِي تُستفاد منه هٰذِه الَصِّفَة نعم الله يفتح عليكم تفضل.

الطالب: ...؟

الشَّيْخ: الَصِّفَة الخَبرية قُلْنَا: هِيَ الَّتِي نظريها في الناس أبعاض وأجزاء، الآن اليد صِفَة ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ في النُّصُوص ما الَّذِي يُقابلها في الْإِنْسَان؟ اليد من الْإِنْسَان أليست بعضًا منه؟

إِذًا اليد صِفَة ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، يُقابلها في الْإِنْسَان جُزءٌ منه فنقول: هِيَ في حق الْإِنْسَان جُزء، هل نَقُول: هِيَ في حق الله جُزء؟ لا، وَهٰذَا حَتَّىٰ يَعْنِي نعرف صِفَات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وَحَتَّىٰ نُفرق بين الَصِّفَات المعنوية وَالَصِّفَات الْفِعْلية، فيكون في هٰذَا مَزيد ضبط وتدقيق في فَهم النُّصُوص.

الطالب: ...؟

الشَّيْخ: كُل صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ، الله عَزَّوَجَلَّ فَطر الْإِنْسَان عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مَوصوفٌ بالكمال، فأدلةُ اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بالصِّفَات الْقُرْآن وَالسُّنَّة والعَقل وَالفِطْرَة، بين هٰذَا جَمع من أهل الْعِلْم منهم ابْن أبي العِّز الحَنفي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وبين وجه دلالة الفِطْرَة عَلَىٰ اتصاف الله عَزَّوَجَلَّ بِصِفَات الكمال.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الْأَنْبِيَاء والْمُرْسَلِين نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ اغفر لشيخنا ومشايخه وجميع الْمُسْلِمِين.

قَالَ الإِمَامُ/ مُحَمَّد بْنَ صالح العُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كِتَابه **(عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة)**: وَنُؤمن بأن الله يتكلم بِمَا شَاء مَتَىٰ شاء كَيف شَاء:

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢].

وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢٧].

(الشرح)

أحسنت الْمُصَنِّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يذكر الآيات والأَحَادِيْث المُتضمنة لأسماء وأصاف الرَّبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَهٰذِه النُّصُوص الَّتِي ذكرها تتعلقُ بِصِفَةِ الْكَلَام، وعقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلمُ بحرفٍ وصوتٍ مسموعٍ وأن كلامه غَير مخلوق.

هٰذِه عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرف وَصوتٍ مسموعٍ، وأن كلامه غَير مخلوق، هٰذِه العقيدة سنُلاحظ دلالة النُّصُوص عليها.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: "**وَنُؤمن بأن الله يتكلم بِمَا شَاء**"، أي بأي كلامٍ يُريده كونيًا كان أو شرعيًا.

"**مَتَىٰ شاء**"، أي في وقتٍ يُريده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

"**كَيف شَاء**"، يَعْنِي عَلَىٰ الكيفية الَّتِي يشاءُها، والكيفيةُ نُؤمن بها ولكن لا نعلمها.

إِذًا اللهُ يتكلم بِمَا شاء مَتَىٰ شاء كيف شاء، الآن نذكر أدلة الشَّيْخ الَّتِي ذكرها ونُبين دلالتها عَلَىٰ المُعتقد الَّذِي ذكرناه، وَهُوَ أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرفٍ وصوتٍ مسموع وأن كلامه غَير مخلوق.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، كَلَّمَ اللَّهُ من المُتكلِم؟ اللَّهُ فكَلَّمَ فِعْلٌ واللَّهُ الفاعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففاعل الْكَلَام هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إِذًا هٰذِه الآيةُ فيها أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم، وَهُنَا أمر سأُركِز عَلَيْهِ في هٰذَا الدَّرْس وَهُوَ: موانع المجاز، لِأَنَّ الَصِّفَات الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة في الْقُرْآن وَالسُّنَّة حَملوها عَلَىٰ المجاز، والمجاز الْكَلَامُ فيه طويل نفيًا وإثباتًا اختلف فيه العُلَمَاء.

عَلَىٰ القول بوجود المجاز وَهٰذَا قولٌ لعددٍ من أهل الْعِلْم، عَلَىٰ القول بوجوده هُنَاكْ موانع تمنع إرادة المجاز، سأذكر عددًا منها هُنَا فَهٰذِه تنفعك في فهم النُّصُوص، وتنفعك عند مُناقشة من ينفي صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ بدعوى المجاز.

فَهُنَا هٰذِه الآية لو قِيلَ لك: إن الْكَلَام أُسنِد إِلَىٰ الله عَلَىٰ سَبِيل المجاز، فتقول له: هُنَاكْ ما يمنع المجاز وَهُوَ تأكيد الْكَلَام، فتأكيد الْكَلَام يمنع إرادة المجاز، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، فتكْلِيم مصدرٌ مُؤكِدٌ والمصدر المُؤكِد يمنع إرادة المجاز.

من نص عَلَىٰ هٰذَا؟ ابْن قُتيبة في **(تأويل مُشكِل الْقُرْآن)**، وابن قُتيبة من كِبار عُلَمَاء اللُّغَة، وَهُوَ عالمٌ في هٰذَا الباب وفي غيره عَلَىٰ المَنهج السَّلَفي في كِتَابه **(تأويل مُشكِل الْقُرْآن)**، وكلامه بين يدي أنقله.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: **"ونُبيّن له أَيْضًا أن أفعال المَجاز لا تُخرّج منها المصادر ولا تُوكّد بالتِكرار، فتَقُول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تَقُول: أراد الحائط أن يسقط إرادةً شديدة"**، هٰذَا لا يصلح فيه التوكيد ما كان عَلَىٰ سَبِيل يَقُول ابْن قُتيبة: لا يصلح فيه التوكيد.

يَقُول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: واللهُ تَعَالَىٰ يَقُول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، **"فَوكّد بالمصدر معنى الْكَلَام، ونفى عنه المجاز"**، إِذًا التوكيد يمنع إرادة المجاز.

إِذًا من المُتكلِم هُنَا؟ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والْكَلَامُ لَا بُدَّ وأَن يكون بلفظ واللَّفْظ مُشتملٌ عَلَىٰ حروف، وَلَا بُدَّ أَن يكون مسموعًا ليحصل الإفهام، إِذًا هٰذِه الآية تدل عَلَىٰ مُعتقد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة وَهُوَ أَن الله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ مسموع.

طيب بعضهم مَاذَا قَالَ؟ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، تَكَلَّمَنا عَنْ التحريف اللَّفْظي وقُلنا: من التحريف اللَّفْظي تحريفٌ ينتتج عنه تحريفٌ معنوي.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، حرفها بعضهم تحريفًا لفظيًا فَقَالَ: **"وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا"**، وَحِينَئِذٍ يكون الفاعل موسى ويُكون المُكلَم الله والمُتكلِم موسى.

فلما حرف بعضهم هٰذِه الآية أتبعها الشَّيْخ بآيةٍ لا يستطيعون تحريفها، وَهِيَ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هٰذِه لا تُحَرَّف فَإِن استطاعوا أَن يُحرفوا الأُوْلَى لا يستطيعون أَن يُحرفوا الثَّانِيَة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَرَبُّهُ فاعل مرفوع وَهُوَ المُكلِم.

مَاذَا قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؟ قَالَ: **"أتينا بهذه الآية بعد الَّتِي قبلها لِأَنَّ مِن المُعْتَزِلَة مَن حَرّف الآية الأُوْلَى لفظًا، فكان يقرأ: وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا ليقع التكليمُ من موسى إِلَىٰ الله، فأتينا بالآية الَّتِي بعدها، فقوله: كَلَّمَهُ رَبُّهُ صريحًا"**.

هٰذَا لنعرف لِمَاذَا رَتب الشَّيْخ الْأَدِلَّة عَلَىٰ هٰذَا الترتيب؟ رَتب الْأَدِلَّة عَلَىٰ هٰذَا الترتيب لِأَنَّ الدليل الْأَوَّل وقع فيه التحريف اللَّفْظي، فأراد أَن يرد عليهم بأنكم إن حرفتم هٰذِه فكيف تفعلون بالثَّانِيَة؟

طيب: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أَيْضًا تُفيد أَن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتكلم بحرفٍ وصوتٍ مسموع.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، النِداء أيها المُكرمون يكون بصوتٍ مُرتفع، قَالَ الشَّيْخ: **"كيف شاء"** كيف شاء أي أراد أَن يتكلم بصوتٍ مُرتفع، أراد أَن يتكلم بصوتٍ مُنخفض فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قادرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ.

إذًا: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ [مريم: ٥٢]، إثباتُ التكليم بصوتٍ مُرتفع.

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، المُناجاة الْكَلَامُ بصوتٍ خَفي.

فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتكلم بصوتٍ مُرتفع، الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتكلم بصوتٍ خَفي.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخ: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، جاء بهذه الآية ليُبين سِعة كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكثرة كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بحيث لو كانت البِحارُ كُلها مِدادًا وكانت الأشجارُ كُلها أقلامًا لنفدت البحار وتكسرت الأشجار ولم ينفد كلامُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

بقي شيء وَهُوَ الدليل عَلَىٰ أَن كلام الله غَير مخلوق، واضح هٰذِه لم يُذكر لها دليلٌ صريح في هٰذِه الآيات، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، الْأَمْرُ يكون بالكلام فعطف الله عَزَّوَجَلَّ الْأَمْر عَلَىٰ الْخَلْق والعَطف يقتضي المُغايرة، فدل هٰذَا عَلَىٰ أَن كلامه غَير مخلوق.

وَهٰذَا واضح تَقُول: جاء زَيدٌ وعمرو هٰذَا يُفيد أَن زيدًا غَير عمرو، إِذًا العَطف يقتضي المُغايرة والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يَقُول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، إِذًا عندنا خلقٌ وعندنا أمر والأمر يكون بالكلام فكلام الله غَير الْخَلْق فكلام الله غَير مخلوق.

دليلٌ آخر: الَصِّفَة بحسب الموصوف فَالْإِنْسَانُ مخلوقٌ وصِفَته مخلوقة، والله عَزَّوَجَلَّ غَير مخلوق فصِفَته غَير مخلوقة، إِذًا الَصِّفَة بحسب الموصوف، الْإِنْسَان مخلوق صِفَته مخلوقة، الله غَير مخلوق فكلامه غَير مخلوق، فالفَرقُ بين كلام الله وكلام خَلقه كالفَرقُ بين الله وبين خَلقه، طيب اقرأ يا شَيْخ.

(المتن)

وَنُؤمِن بأن كَلِماته أتم الكلمات، صِدقًا في الأخبار وعَدلًا في الْأَحْكَام وحُسنًا في الحَدِيْث، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧].

وَنُؤمِن بأن الْقُرْآن الكَرِيم كلام الله تَعَالَىٰ، تَكَلَّمَ به حقًا وألقاه إِلَىٰ جِبريل، فنزل به جِبريل عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

(الشرح)

أحسنت بعض ما نذكره رُبَمَا تكون له نصوص وأدلة أوضح؛ لكن أتركها من باب الاختصار، فمَثَلًا أنا أمثل بشيء مَثَلًا قُلْنَا: إن كلام الله حرف وأخذنا هٰذَا من هٰذِه الْأَدِلَّة، هُنَاكَ أَدِلَّة صريحة مَثَلًا: «**الٓمٓ أَقُولُ** : ﴿الم ﴿١﴾﴾ [البقرة: ١]، **حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَا مٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ** »، هٰذَا فِي الْقُرْآن والْقُرْآن كلام الله فاللهُ عَزَّوَجَلَّ يتكلمُ بحرفٍ وصوت.

ونقول: الأحرف الْمُقطعة الَّتِي فِي أَوَّل الْقُرْآن، وَهٰذَا أمرٌ تتابع عَلَيْهِ أهل الْعِلْم يدل عَلَىٰ أَن الله يتكلمُ بحرف؛ ولكني رُبَمَا أفوت بعض الْأَدِلَّة الَّتِي لم يذكرها الشَّيْخ طلبًا للاختصار.

"وَنُؤمِن بأن كَلِمَاته أتم الكلمات، صِدقًا فِي الأخبار وعَدلًا فِي الْأَحْكَام"، الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كلامه إِمَّا أَن يكن إخبارًا وَإِمَّا إن يكون إنشاءً، فما كان من كلام الله إخبارٌ فهو أصدق الأخبار، وما كان من كلام الله إنشاءً فَإِنَّهُ أصدقُ وأعدل الأوامر والنواهي، وَهٰذَا دل عَلَيْهِ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صِدْقًا أي في الأخبار، عَدْلًا أي في الأوامر والنواهي.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، فأخبارهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كُلها أخبارٌ صادقة.

ذكرت لكم في الدَّرْس السابق: أَن طالب الْعِلْم في الْمُعتقد عَلَيْهِ أَن يعتني بِمَا قِيلَ فيه من أوصاف الله: إِنَّه عامٌ وخاص، وَأَيْضًا عَلَيْهِ أَن يعتني بِمَا قِيلَ فيه من أوصاف الله: إِنَّهُ

شرعيٌ وقَدري، اعتنوا بهذا لِمَاذَا؟ حَتَّىٰ تفهموا النُّصُوص الَّتِي تَرِد فيها صِفَات، وسنذكر جُملة وأنا سألتزم هٰذَا في الْكِتَاب ورُبَمَا أفوت شَيْئًا أَيْضًا طلبًا للاختصار.

الآن الكلمات تنقسم إِلَىٰ: كلمات كونية وشرعية، ممن ذَكَرَ جُملةً مِمَّا ينقسم من أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ كوني وشرعي في موضعٍ واحد ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(الفُرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)**، في الثُلث الأخير من الْكِتَاب تَجدون ابْن تَيْمِيَّة ساق في صفحتين أو أكثر مجموعةً من أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ الَّتِي يُقَال فيها: **إنها تنقسم إِلَىٰ قسمين**:

شرعي.

وكوني.

ومن بديع قوله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله ابْن القيم تلميذه في كِتَابه **(شفاء العَليل)**، فنقل هٰذَا الموضع من كلام شَيْخ الإِسْلَام في الَّذِي ذَكَرَه في **(الفُرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)**، لأنه جَمعٌ نفيس ويُفيد طالب الْعِلْم.

فكلمات الله عَزَّوَجَلَّ كونيه وشرعية، ما الكلمات الكونية؟ اكتبوا هٰذِه الجُملة، قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"هِيَ الَّتِي كَون بها الكائنات، فلا يَخرج بَرٌ ولا فَاجر عن تكوينه ومَشيئته وقُدرته"**.

إِذًا الكلمات الكَونية كلماتٌ كَون الله عَزَّوَجَلَّ بها كَون بها الكائنات، وَهٰذِه الكلمات هِيَ الَّتِي استعاذ بها النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهٰذَا أمر سنتطرق إليه بتفصيل في كِتَاب **(التَّوْحِيد)** بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

لِأَنَّ الاستعاذة بالكلمات أَن تُريد أَن تستعيذ بكلمات لا يتجاوزهن بَرٌ ولا فاجر، فَهٰذِه هِيَ الكلمات الكَونية الَّتِي لا يتجاوزها بَرٌ ولا فاجر، إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا فيقول له: كُن فيكون، هٰذِه الكلمات الكَونية الَّتِي كَون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها ما يُحب ولا يُحب.

طيب الكلمات الدِّينية اكتبوا قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"هِيَ كُتُبه المُنزلة وما فيها من أمره ونهيه، فأطاعها الأَبرار، وعصاها الفُجّار"**، الكلمات الكَونية هل يستطيع الفُجّار أَن لا يُطيعوها؟ لا، هِيَ واقعةٌ بهم شاءوا أم أَبَوا.

أَمَّا الكلمات الشَّرْعِيَّة فالْقُرْآن يتجاوزه الفاجر ولا يعمل بأوامره ولا ينتهي عند نواهيه، هٰذَا الفَرق بين الكلمات الكونية والشرعية، والنُّصُوص جاءت بهذا وجاءت بهذا، وستمر معنا أمثلة بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الْكُتُب القادمة.

الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بعد أَن تَكَلَّمَ عَنْ كلام الله قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن الْقُرْآن الكَريم كلام الله تَعَالَىٰ"**، وَهٰذَا من ترتيب الشَّيْخ حَتَّىٰ يفهم الطالب مَسْأَلَة كلام الله اضبطوا هٰذَا، مَسْأَلَةُ الْقُرْآن فَرعٌ عَنْ مَسْأَلَة الْكَلَام، فمن أصاب المُعتقد الصَّحِيْح في كلام الله فَإِنَّهُ يُصيب المُعتقد الصَّحِيْح في الْقُرْآن، ومن أخطأ المُعتقد الصَّحِيْح في كلام الله فَإِنَّهُ يُخطئ المُعتقد الصَّحِيْح في الْقُرْآن.

كُل الْفِرَقِ الَّتِي ضلت في الْكَلَام ضلت في الْقُرْآن، وأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة اهتدوا إِلَىٰ الصواب في الْكَلَام فاهتدوا إِلَىٰ الصواب في الْقُرْآن، واضبطوا هٰذَا وَهُوَ التفريق بين الْأَدِلَّة على أَن الْقُرْآن غَير مخلوق وبين الْأَدِلَّة عَلَىٰ أَن الْكَلَام غَير مخلوق، كيف تستدل لهذا وكيف تستدل لهذا؟ طيب وسُنبين الآن.

قَالَ: **"هٰذِه عقيدتنا"** أَيُّهَا المُكرمون ذَكَرَها الشَّيْخ: **"وَنُؤمِن بأن الْقُرْآن الكَريم كلام الله تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ به حقًا"**، فكلامه بِهِ لَيْسَ من باب المَجاز وَإِنَّمَا قَدْ تَكَلَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِهِ حقًا، وقوله: **"حقًا"** ليدفع قول أُولَئِكُم الَّذِين يَقُولون: إن الْقُرْآن عبارة عَنْ كلام الله وليس هُوَ كلام الله.

وأنا قُلْت لكم: لَنْ أتطرق إِلَىٰ المُعتقدات الفاسدة عَلَىٰ وجه التفصيل وَإِنَّمَا إشارة، وَالشَّيْخ هُنَا قَالَ: **"حقًا"** ليرد كلام هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولون: بأن الله عَزَّوَجَلَّ ما تَكَلَّمَ بالْقُرْآن، وَإِنَّمَا الْقُرْآن هُوَ عبارة عَنْ كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ: **"وألقاه إِلَىٰ جِبريل، فنزل به جِبريل عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"**، إِذًا هٰذِه عقيدتنا أَيُّهَا المُكرمون في الْقُرْآن أَن الْقُرْآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ نزل بِهِ جِبريل من الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الآن ننظر في الْأَدِلَّة ودلالتها عَلَىٰ ما قَرر الشَّيْخ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، رُوحُ الْقُدُسِ جِبريل مِنْ رَبِّكَ هٰذَا يدل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن نَزل بِهِ جِبريل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، الرُّوحُ الْأَمِينُ أي جِبريل عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، إِذًا الْقُرْآن سَمِعَه جِبريل من الله عَزَّوَجَلَّ فنزل بِهِ عَلَىٰ قلب مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولن أُفصِل أكثر من هٰذَا ولكن سأذكر بعض الْأَدِلَّة:

- **أولاً**: ما الدليل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن كلام الله؟ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] كَلَامُ اللَّه هُنَا الْقُرْآن، إِذًا الله عَزَّوَجَلَّ بين في كتابه أَن الْقُرْآن كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذَا من الْقُرْآن.
- **من السُّنَّة**: قَالَ البُخَارِيّ: «**وكَذَلِكَ تواترت الأخبارُ عَنْ النَّبِيّ ♀: أَن الْقُرْآنَ كلامهُ**».

إِذًا الأخبار مُتواترة في أَن الْقُرْآن كلام الله منها قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا رَجُلٌ يحملني إِلَىٰ قومه فَإِن قُرَيشًا قَدْ منعوني أَن أُبلِغ كلام ربي عَزَّوَجَلَّ**».

فكلام ربي في هٰذَا الحَدِيْث: «**ألا رَجُلٌ يحملني إِلَىٰ قومه فَإِن قُرَيشًا قَدْ منعوني أَن أُبلِغ كلام ربي عَزَّوَجَلَّ**»، كلام ربي أي الْقُرْآن.

إِذًا هٰذَا الدليل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَيرُ مخلوق، تَكَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ وألقاه إِلَىٰ جِبريل ذَكَرَ الشَّيْخ الْأَدِلَّة، فنزل بِهِ جِبريل عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَدِلَّة عَلَىٰ ذَلِكُم، ما الدليل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَيرُ مخلوق من يأتي بدليل؟

الطالب: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣﴾ [الرحمن: ١ - ٣]، فَرق بين الخلق والتعليم.

الشَّيْخ: زين.

الطالب: ...

الشَّيْخ: ممتاز هُوَ هذَا الدليل وَقُلْت لكم: مَسْأَلَة الْقُرْآن مبنيةٌ عَلَىٰ مَسْأَلَة الْكَلَام، فترجع إِلَىٰ مَسْأَلَة الْكَلَام فتَقُول: الْكَلَامُ غَير مخلوق والْقُرْآن من كلام الله فالْقُرْآنُ غَير مخلوق، فتستدل بأن الْقُرْآن الْكَلَام غَير مخلوق: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَرق بين الْخَلْق وَالْأَمْر.

ثُمَّ تَقُول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فأثبت أَن الْقُرْآن كَلَامُه، وإذا كان الْقُرْآن كلامه وكلامه غَير مخلوق فالْقُرْآنُ غَير مخلوق.

دليل آخر ذَكَرَهُ ابْن قُدامة وغيره: **"أجمع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ أَنه لا يُحلَف بمخلوق، وأجمعوا عَلَىٰ جواز الحَلِف بالْقُرْآن، فدل هذَا عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَير مخلوق"**، واضح الدليل؟ أجمعوا عَلَىٰ جواز الحَلِف بالْقُرْآن، والأدلة جاءت بِالنَّهْي عَنْ الحَلِف بالمخلوقين فدل هذَا عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَير مخلوق، طيب أَيُّهَا المكرمون اقرأ يا شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن الله عَزَّوَجَلَّ عَلِيٌّ عَلَىٰ خلقه بذاته وَصِفَاته، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

(الشرح)

المُصَنِّف انتقل بعد مَسْأَلَة الْكَلَام إِلَىٰ مَسْأَلَة العلو، علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوعان:

عَلوٌ معنوي.

وَعَلوٌ ذاتي.

فعلو الله عَزَّوَجَلَّ المَعنوي يَقُول بِهِ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة ويقول بِهِ غيرهم، أَمَّا العلو الذاتي فقد نافاه طوائفُ كثيرة ويُؤمن بِهِ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة واتفقوا عَلَىٰ اثباته، وَهذَا العلو علو الله عَزَّوَجَلَّ الذاتي دل عَلَيْهِ الْقُرْآن ودلت عَلَيْهِ السُّنَّة، ودل عَلَيْهِ العَقلُ ودلت عَلَيْهِ الفِطْرَة.

حَتَّىٰ من يُكذب بعلو الله عَزَّوَجَلَّ الذاتي تجد في أفعاله ما يُكذِب تكذيبه، فتجده عندما يذهل عَنْ مُعتقده يطلب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العلو، فَهٰذَا أمرٌ فطَر الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ الناس وأدلته كثيرة؛ فالأمر كما قَالَ ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

يَا قومنا وَالله إن لقولنا

أَلف تدل عَلَيْهِ بل أَلفَانِ

فالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كثيرةٌ جِدًّا نذكر بعضها:

◄ **أولًا**: الْأَدِلَّة عَلَىٰ علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الْقُرْآن اسمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الْعَلِيّ، فاسمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الْعَلِيّ يدل عَلَىٰ اتصافه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعلو، هٰذَا النوع الْأَوَّل من أدلة الْقُرْآن.

◄ **النوع الثَّانِي من أدلة الْقُرْآن**: النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فوق، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

◄ **من أنواع أدلة الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ العلو في الْقُرْآن**: نزول الْأَشْيَاء منه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

◄ **من أدلة الْقُرْآن عَلَىٰ علو الله عَزَّوَجَلَّ**: صعود الأمور إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وعروج الْأَشْيَاء إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

◄ **من أدلة الْقُرْآن عَلَىٰ أَن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العلو**: التصريح بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في السماء: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦].

⇦ **أمَّا السُّنَّة فالسُّنَّة أدلة السُّنَّة عَلَىٰ العلو أيضًا كثيرة**: فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ»، وَالْأَعْلَىٰ أي العالي أي أَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العلو.

«**ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء**»، والأدلةُ كثيرة وأجمع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ هٰذَا، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام: "**إن السَّلَف مُجمعون عَلَىٰ ذَلِكَ**".

والعقل أَيْضًا يدل عَلَىٰ علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وَذَلِكُم لِأَنَّ السُّفل نَقصٌ والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُنزه عَنْ النقص.

⇦ **أمَّا دلالة الفِطرة فظاهرة جِدًّا**: إذ يطلب الْإِنْسَانُ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُستشعرًا علوه.

(المتن)

قَالَ: وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

واستواؤه عَلَىٰ العرش: عُلُوُّه عليه بذاته عُلوًّا خاصًا يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إِلَّا هُوَ جَلَّوَعَلَا.

(الشرح)

الآن قُلْنَا: الصِّفَات القائمة بذات الله عَزَّوَجَلَّ أنواع:

- صِفَاتٌ معنوية.
- صِفَاتٌ ذاتية.
- صِفَاتٌ فِعْلية.

وقُلْنَا: الصِّفَات الْفِعْلية هِيَ الَّتِي تتعلقُ بمشيئة الله، فَمَتَىٰ شاء فَعل وَمَتَىٰ شاء لم يفعل، أليس كَذَلِكُم؟ الاستواء من صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ الْفِعْلية الذاتية، فالاستواء فعلٌ وأفعال الله عَزَّوَجَلَّ قائمةٌ بذاته إذ كُل الصِّفَات قائمة بذات الله عَزَّوَجَلَّ فالصِّفَة تقوم بالموصوف.

فقُلْنَا: ما يقوم بذات الله من الَصِّفَات أنواع:

- معنوية.
- خبرية.
- فِعْلية.

الاستواء من الَصِّفَات الْفِعْلية، طيب وَهِيَ قائمةٌ بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حالها سائر الَصِّفَات، ما معنى الاستواء؟ الَّذِي ورد في كلام أهل الْعِلْم خمسةُ معانٍ وقفت عليها في كلام شَيْخ الإِسْلَام، ومن المعاني الَّتِي ذكرها شَيْخ الإِسْلَام بل كُلها ينسبها شَيْخ الإِسْلَام لأهل الْعِلْم أذكرها من كلامه.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَوَى إِلَىٰ السَّمَاءِ ارْتَفَعَ"**، هٰذَا الْمَعْنَى اَلْأَوَّل اسْتَوَى بمعنى ارتفع.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى عَلَىٰ الْعَرْشِ: عَلَا عَلَىٰ الْعَرْشِ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الْثَّانِي: عَلَا عَلَىٰ الْعَرْشِ.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: وَقَالَ البغوي أَيْضًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: **"اسْتَقَرَّ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الْثَّالِث.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: **"صَعِدَ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الرَّابِع.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَقَالَ غَيْرُ هَؤُلَاءِ: اسْتَوَى أَيْ ظَهَرَ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الخَامِس.

هٰذِه خمسةُ معانٍ للاستواء بين شَيْخ الإِسْلَام أَن العُلَمَاء يَقُولون بها ونسبها إليهم:

اَلْأَوَّل: ارتفع.

الْثَّانِي: علا.

الْثَّالِث: استقر.

الرَّابِع: صَعد.

الخَامِس: ظهر.

قَالَ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَقَدْ ذكرت لكم قبل: أهمية العِناية بِمَا ينقسم من صِفَات الله إِلَىٰ عام وخاص، قَالَ ابْن عُثيمين: **"واستواؤه عَلَىٰ العرش: عُلُوُّه عَلَيْهِ بذاته عُلوًّا خاصًا يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إِلَّا هُوَ جَلَّ وَعَلَا"**.

إِذًا عُلُوّ الله عَزَّوَجَلَّ نوعان:

- عَلوٌ عام عَلَىٰ كُل شيء.
- وَعَلوٌ خاص عَلَىٰ الْعَرْش.

من سبق ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ هٰذَا التقسيم؟ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(شرح حديث النزول)**، وَهٰذَا نقل نَفيس أَيُّهَا المُكرمون قَالَ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الاستواء عُلُوٌّ خاص، فكُل مُستوٍ عَلَىٰ شيءٍ عالٍ عَلَيْهِ، وليس كُل عالٍ عَلَىٰ شيءٍ مُستوٍ عَلَيْهِ"**، واضح هٰذَا كلام ابْن تَيْمِيَّة في **(شرح حديث النزول)**.

فابْن تَيْمِيَّة يُبين أَن الاستواء علوٌ خاص، وَذَكَرَ أمرًا مُهمًا: لَيْسَ كُل من عَلَا شيء فهو مُستوٍ عَلَيْهِ، ولكن كُل من اسْتَوَى عَلَىٰ شيء فهو عالٍ عَلَيْهِ.

فالشَّيْخ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقرب العلو الخاص بمِثَال ولله المثل الأعلى؛ ولكن يُبين في المخلوقين إمكان تصور العلو العام والعلو الخاص في المخلوقين، فتصوره في باب الخلق يتضح فيقول: لو أَن رَجُلًا وضع كُرسيًا عَلَىٰ السطح وجلس عَلَىٰ الكُرسي فَعُلُوه عَلَىٰ الكرسي عُلُوٌّ وَعُلُوه عَلَىٰ سائر البيت عُلُوٌّ عام.

يَقُول الشَّيْخ ابْن عُثيمين: العُلُو الخاص عَلَىٰ الْعَرْش هُوَ استواءه عَلَيْهِ، ويظهر ذَلِكَ بالْمِثَال فمَثَلًا لو أَن إنسانًا عَلَىٰ كُرسيٍ في السَطح فَهُنَا عُلُوٌّ عام وعُلُوٌّ خاص فكونه عَلَىٰ الكُرسي هٰذَا عُلُوٌّ خاصٌ بالكُرسي وكونه عاليًا عَلَىٰ البيت كُله فَهٰذَا عُلُوٌّ عام، وعُلُو الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ كُل المخلوقات عام وعُلُوه عَلَىٰ الْعَرْش خاص، طيب فالشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أَن ذَكَرَ عُلُو الله العام، ذَكَرَ عُلُوه الخاص طيب اقرأ شَيْخ.

(المتن)

ونؤمن بأنه تَعَالَىٰ مع خلقه وَهُوَ عَلَىٰ عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويُدَبِر أمورهم، يرزق الفَقير، ويجبر الكسير، يُؤتي المُلْك من يشاء، وينزع المُلْك مِمن يشاء، ويُعِز من يشاء، ويُذِل من يشاء، بيده الخَير وَهُوَ عَلَىٰ كُل شيءٍ قدير.

ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة؛ وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ولا نَقُول كما تَقُول الحلولية من الجَهْمِيَّة وغيرهم: إِنَّه مع خلقه في الْأَرْض، ونرى أن من قَالَ ذَلِكَ فهو كافر أو ضال، لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

(الشرح)

أحسنت المُصَنِّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يذكر الآيات والأَحَادِيْث المُتضمنة لأسماء وأصاف الْرَّبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَهٰذِه النُّصُوص الَّتِي ذكرها تتعلقُ بِصِفَةِ الْكَلَام، وعقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلمُ بحرفٍ وصوتٍ مسموعٍ وأن كلامه غَير مخلوق.

هٰذِه عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فعقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرف وَصوتٍ مسموعٍ، وأن كلامه غَير مخلوق، هٰذِه العقيدة سنُلاحظ دلالة النُّصُوص عليها.

قَالَ الشَّيْخُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وَنُؤمن بأن الله يتكلم بِمَا شَاء"**، أي بأي كلامٍ يُريده كونيًا كان أو شرعيًا.

"مَتَىٰ شاء"، أي في وقتٍ يُريده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

"كَيف شَاء"، يَعْنِي عَلَىٰ الكيفية الَّتِي يشاءُها، والكيفيةُ نُؤمن بها ولكن لا نعلمها.

إِذًا اللهُ يتكلم بِمَا شاء مَتَىٰ شاء كيف شاء، الآن نذكر أدلة الشَّيْخ الَّتِي ذكرها ونُبين دلالتها عَلَىٰ المُعتقد الَّذِي ذكرناه، وَهُوَ أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرفٍ وصوتٍ مسموع وأن كلامه غَير مخلوق.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، كَلَّمَ اللَّهُ من المُتكلِم؟ اللَّهُ فكَلَّمَ فِعْلٌ واللَّهُ الفاعل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ففاعل الْكَلَام هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

إِذًا هٰذِه الآيةُ فيها أَن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يتكلم، وَهُنَا أمر سأُركِز عَلَيْهِ في هٰذَا الدَّرْس وَهُوَ: موانع المجاز، لِأَنَّ الَصِّفَات الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة في الْقُرْآن وَالسُّنَّة حَملوها عَلَىٰ المجاز، والمجاز الْكَلَامُ فيه طويل نفيًا وإثباتًا اختلف فيه العُلَمَاء.

عَلَىٰ القول بوجود المجاز وَهٰذَا قولٌ لعددٍ من أهل الْعِلْم، عَلَىٰ القول بوجوده هُنَاكْ موانع تمنع إرادة المجاز، سأذكر عددًا منها هُنَا فَهٰذِه تنفعك في فهم النُّصُوص، وتنفعك عند مُناقشة من ينفي صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ بدعوى المجاز.

فَهُنَا هٰذِه الآية لو قِيلَ لك: إن الْكَلَام أُسنِد إِلَىٰ الله عَلَىٰ سَبِيل المجاز، فتقول له: هُنَاكْ ما يمنع المجاز وَهُوَ تأكيد الْكَلَام، فتأكيد الْكَلَام يمنع إرادة المجاز، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قَالَ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، فتكْلِيم مصدرٌ مُؤكِدٌ والمصدر المُؤكِد يمنع إرادة المجاز.

من نص عَلَىٰ هٰذَا؟ ابْن قُتيبة في **(تأويل مُشكِل الْقُرْآن)**، وابن قُتيبة من كِبار عُلَمَاء اللُّغَة، وَهُوَ عالمٌ في هٰذَا الباب وفي غيره عَلَىٰ المَنهج السَّلَفي في كِتَابه **(تأويل مُشكِل الْقُرْآن)**، وكلامه بين يدي أنقله.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: **"ونُبيّن له أَيْضًا أن أفعال المَجاز لا تُخرّج منها المصادر ولا تُوكّد بالتِكرار، فتَقُول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تَقُول: أراد الحائط أن يسقط إرادةً شديدة"**، هٰذَا لا يصلح فيه التوكيد ما كان عَلَىٰ سَبِيل يَقُول ابْن قُتيبة: لا يصلح فيه التوكيد.

يَقُول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: واللهُ تَعَالَىٰ يَقُول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، **"فَوكّد بالمصدر معنى الْكَلَام، ونفى عنه المجاز"**، إِذًا التوكيد يمنع إرادة المجاز.

إِذًا من المُتكلِم هُنَا؟ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والْكَلَامُ لَا بُدَّ وأَن يكون بلفظ واللَّفْظ مُشتملٌ عَلَىٰ حروف، وَلَا بُدَّ أَن يكون مسموعًا ليحصل الإفهام، إِذًا هٰذِه الآية تدل عَلَىٰ مُعتقد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة وَهُوَ أَن الله يتكلم بحرفٍ وصوتٍ مسموع.

طيب بعضهم مَاذَا قَالَ؟ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، تَكَلَّمَنا عَنْ التحريف اللَّفْظي وقُلنا: من التحريف اللَّفْظي تحريفٌ ينتتج عنه تحريفٌ معنوي.

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤]، حرفها بعضهم تحريفًا لفظيًا فَقَالَ: **"وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا"**، وَحِينَئِذٍ يكون الفاعل موسى ويُكون المُكلَم الله والمُتكلِم موسى.

فلما حرف بعضهم هٰذِه الآية أتبعها الشَّيْخ بآيةٍ لا يستطيعون تحريفها، وَهِيَ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هٰذِه لا تُحَرَّف فَإِن استطاعوا أَن يُحرفوا الأُوْلَى لا يستطيعون أَن يُحرفوا الثَّانِيَة: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فَرَبُّهُ فاعل مرفوع وَهُوَ المُكلِم.

مَاذَا قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ؟ قَالَ: **"أتينا بهذه الآية بعد الَّتِي قبلها لِأَنَّ مِن المُعْتَزِلَة مَن حَرّف الآية الأُوْلَى لفظًا، فكان يقرأ: وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تَكْلِيمًا ليقع التكليمُ من موسى إِلَىٰ الله، فأتينا بالآية الَّتِي بعدها، فقوله: كَلَّمَهُ رَبُّهُ صريحًا"**.

هٰذَا لنعرف لِمَاذَا رَتب الشَّيْخ الْأَدِلَّة عَلَىٰ هٰذَا الترتيب؟ رَتب الْأَدِلَّة عَلَىٰ هٰذَا الترتيب لِأَنَّ الدليل الْأَوَّل وقع فيه التحريف اللَّفْظي، فأراد أَن يرد عليهم بأنكم إن حرفتم هٰذِه فكيف تفعلون بالثَّانِيَة؟

طيب: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أَيْضًا تُفيد أَن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرفٍ وصوتٍ مسموع.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، النِداء أيها المُكرمون يكون بصوتٍ مُرتفع، قَالَ الشَّيْخ: **"كيف شاء"** كيف شاء أي أراد أَن يتكلم بصوتٍ مُرتفع، أراد أَن يتكلم بصوتٍ مُنخفض فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ.

إِذًا: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ [مريم: ٥٢]، إثباتُ التكليم بصوتٍ مُرتفع.

﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: ٥٢]، المُناجاة الْكَلَامُ بصوتٍ خَفي.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بصوتٍ مُرتفع، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بصوتٍ خَفي.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخ: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، جاء بهذه الآية ليُبين سِعة كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكثرة كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، بحيث لو كانت البِحارُ كُلها مِدادًا وكانت الأشجارُ كُلها أقلامًا لنفدت البحار وتكسرت الأشجار ولم ينفد كلامُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

بقي شيء وَهُوَ الدليل عَلَىٰ أَن كلام الله غَير مخلوق، واضح هٰذِه لم يُذكر لها دليلٌ صريح في هٰذِه الآيات، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، الْأَمْرُ يكون بالكلام فعطف الله عَزَّوَجَلَّ الْأَمْر عَلَىٰ الْخَلْق والعَطف يقتضي المُغايرة، فدل هٰذَا عَلَىٰ أَن كلامه غَير مخلوق.

وَهٰذَا واضح تَقُول: جاء زَيدٌ وعمرو هٰذَا يُفيد أَن زيدًا غَير عمرو، إِذًا العَطف يقتضي المُغايرة والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يَقُول: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، إِذًا عندنا خلقٌ وعندنا أمر والأمر يكون بالكلام فكلام الله غَير الْخَلْق فكلام الله غَير مخلوق.

دليلٌ آخر: الَصِّفَة بحسب الموصوف فَالْإِنْسَانُ مخلوقٌ وصِفَته مخلوقة، والله عَزَّوَجَلَّ غَير مخلوق فصِفَته غَير مخلوقة، إِذًا الَصِّفَة بحسب الموصوف، الْإِنْسَان مخلوق صِفَته مخلوقة، الله غَير مخلوق فكلامه غَير مخلوق، فالفَرقُ بين كلام الله وكلام خَلقه كالفَرقُ بين الله وبين خَلقه، طيب اقرأ يا شَيْخ.

(المَتن)

وَنُؤمِن بأن كَلماته أتم الكلمات، صِدقًا في الأخبار وعَدلًا في الْأَحْكَام وحُسنًا في الحَدِيْث، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

وَنُؤمِن بأن الْقُرْآن الكَريم كلام الله تَعَالَىٰ، تَكَلَّمَ به حقًا وألقاه إِلَىٰ جِبريل، فنزل به جِبريل عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

(الشرح)

أحسنت بعض ما نذكره رُبَمَا تكون له نصوص وأدلة أوضح؛ لكن أتركها من باب الاختصار، فمَثَلًا أنا أمثل بشيء مَثَلًا قُلْنَا: إن كلام الله حرف وأخذنا هٰذَا من هٰذِه الْأَدِلَّة، هُنَاكَ أَدِلَّة صريحة مَثَلًا: «**الٓمٓ أَقُولُ** : ﴿الم ﴿١﴾﴾ [البقرة: ١]،**حَرْفٌ ،وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ،وَلَا مٌ حَرْفٌ ،وَمِيمٌ حَرْفٌ** »، هٰذَا فِي الْقُرْآن والْقُرْآن كلام الله فاللهُ عَزَّوَجَلَّ يتكلمُ بحرفٍ وصوت.

ونقول: الأحرف الْمُقطعة الَّتِي فِي أَوَّل الْقُرْآن، وَهٰذَا أمرٌ تتابع عَلَيْهِ أهل الْعِلْم يدل عَلَىٰ أَن الله يتكلمُ بحرف؛ ولكني رُبَمَا أفوت بعض الْأَدِلَّة الَّتِي لم يذكرها الشَّيْخ طلبًا للاختصار.

"وَنُؤمِن بأن كَلِماته أتم الكلمات، صِدقًا في الأخبار وعَدلًا في الْأَحْكَام"، الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كلامه إِمَّا أَن يكن إخبارًا وَإِمَّا إن يكون إنشاءً، فما كان من كلام الله إخبارٌ فهو أصدق الأخبار، وما كان من كلام الله إنشاءً فَإِنَّهُ أصدقُ وأعدل الأوامر والنواهي، وَهٰذَا دل عَلَيْهِ قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، صِدْقًا أي في الأخبار، عَدْلًا أي في الأوامر والنواهي.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، فأخباره سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كُلها أخبارٌ صادقة.

ذكرت لكم في الدَّرْس السابق: أَن طالب الْعِلْم في الْمُعتقد عَلَيْهِ أَن يعتني بِمَا قِيلَ فيه من أوصاف الله: إِنَّه عامٌ وخاص، وَأَيْضًا عَلَيْهِ أَن يعتني بِمَا قِيلَ فيه من أوصاف الله: إِنَّهُ شرعيٌ وقَدري، اعتنوا بهذا لِمَاذَا؟ حَتَّىٰ تفهموا النُّصُوص الَّتِي تَرِد فيها صِفَات، وسنذكر جُملة وأنا سألتزم هٰذَا في الْكِتَاب ورُبَمَا أفوت شَيْئًا أَيْضًا طلبًا للاختصار.

الآن الكلمات تنقسم إِلَىٰ: كلمات كونية وشرعية، ممن ذَكَرَ جُملةً مِمَّا ينقسم من أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ كوني وشرعي في موضعٍ واحد ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(الفُرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)**، في الثُلث الأخير من الْكِتَاب تَجدون ابْن تَيْمِيَّة ساق في صفحتين أو أكثر مجموعةً من أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ الَّتِي يُقَال فيها: إنها تنقسم إِلَىٰ قسمين:

شرعي.

وكوني.

ومن بديع قوله -رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقله ابْن القيم تلميذه في كِتَابه **(شفاء العَليل)**، فنقل هٰذَا الموضع من كلام شَيْخ الإِسْلَام في الَّذِي ذَكَرَه في **(الفُرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)**، لأنه جَمعٌ نفيس ويُفيد طالب الْعِلْم.

فكلمات الله عَزَّوَجَلَّ كونيه وشرعية، ما الكلمات الكونية؟ اكتبوا هٰذِه الجُملة، قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"هِيَ الَّتِي كَون بها الكائنات، فلا يَخرج بَرٌّ ولا فَاجر عن تكوينه ومَشيئته وقُدرته"**.

إِذًا الكلمات الكَونية كلماتٌ كَون الله عَزَّوَجَلَّ بها كَون بها الكائنات، وَهٰذِه الكلمات هِيَ الَّتِي استعاذ بها النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهٰذَا أمر سنتطرق إليه بتفصيل في كِتَاب **(التَّوْحِيد)** بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

لِأَنَّ الاستعاذة بالكلمات أَن تُريد أَن تستعيذ بكلمات لا يتجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر، فَهٰذِه هِيَ الكلمات الكَونية الَّتِي لا يتجاوزها بَرٌّ ولا فاجر، إذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ شَيْئًا فيقول له: كَن فيكون، هٰذِه الكلمات الكَونية الَّتِي كَون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها ما يُحب ولا يُحب.

طيب الكلمات الدِّينية اكتبوا قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"هِيَ كُتُبه المُنَزلة وما فيها من أمره ونهيه، فأطاعها الأَبرار، وعصاها الفُجّار"**، الكلمات الكَونية هل يستطيع الفُجّار أَن لا يُطيعوها؟ لا، هِيَ واقعةٌ بهم شاءوا أم أَبَوا.

أَمَّا الكلمات الشَّرْعِيَّة فالْقُرْآن يتجاوزه الفاجر ولا يعمل بأوامره ولا ينتهي عند نواهيه، هٰذَا الفَرق بين الكلمات الكونية والشرعية، والنُّصُوص جاءت بهذا وجاءت بهذا، وستمر معنا أمثلة بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الْكُتُب القادمة.

الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بعد أَن تَكَلَّمَ عَنْ كلام الله قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن الْقُرْآن الكَرِيم كلام الله تَعَالَىٰ"**، وَهٰذَا من ترتيب الشَّيْخ حَتَّىٰ يفهم الطالب مَسْأَلَة كلام الله اضبطوا هٰذَا، مَسْأَلَةُ الْقُرْآن فَرعٌ عَنْ مَسْأَلَة الْكَلَام، فمن أصاب المُعتقد الصَّحِيْح في كلام الله فَإِنَّهُ يُصيب المُعتقد الصَّحِيْح في الْقُرْآن، ومن أخطأ المُعتقد الصَّحِيْح في كلام الله فَإِنَّهُ يُخطئ المُعتقد الصَّحِيْح في الْقُرْآن.

كُل الْفِرَقِ الَّتِي ضلت في الْكَلَام ضلت في الْقُرْآن، وأَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة اهتدوا إِلَىٰ الصواب في الْكَلَام فاهتدوا إِلَىٰ الصواب في الْقُرْآن، واضبطوا هٰذَا وَهُوَ التفريق بين الْأَدِلَّة على أَن الْقُرْآن غَير مخلوق وبين الْأَدِلَّة عَلَىٰ أَن الْكَلَام غَير مخلوق، كيف تستدل لهذا وكيف تستدل لهذا؟ طيب وسُنبين الآن.

قَالَ: **"هٰذِه عقيدتنا"** أَيُّهَا المُكرمون ذَكَرَها الشَّيْخ: **"وَنُؤمِن بأن الْقُرْآن الكَرِيم كلام الله تَعَالَىٰ تَكَلَّمَ به حقًا"**، فكلامه بِهِ لَيْسَ من باب المَجاز وَإِنَّمَا قَدْ تَكَلَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِهِ حقًا، وقوله: **"حقًا"** ليدفع قول أُولَئِكُم الَّذِين يَقُولون: إن الْقُرْآن عبارة عَنْ كلام الله وليس هُوَ كلام الله.

وأنا قُلْت لكم: لَنْ أتطرق إِلَىٰ المُعتقدات الفاسدة عَلَىٰ وجه التفصيل وَإِنَّمَا إشارة، وَالشَّيْخ هُنَا قَالَ: **"حقًا"** ليرد كلام هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُولون: بأن الله عَزَّوَجَلَّ ما تَكَلَّمَ بالْقُرْآن، وَإِنَّمَا الْقُرْآن هُوَ عبارة عَنْ كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ: **"وألقاه إِلَىٰ جِبريل، فنزل به جِبريل عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"**، إِذًا هٰذِه عقيدتنا أَيُّهَا المُكرمون في الْقُرْآن أَن الْقُرْآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ نزل بِهِ جِبريل من الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الآن ننظر في الْأَدِلَّة ودلالتها عَلَىٰ ما قَرر الشَّيْخ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]، رُوحُ الْقُدُسِ جِبريل مِنْ رَبِّكَ هٰذَا يدل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن نَزل بِهِ جِبريل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، الرُّوحُ الْأَمِينُ أي جِبريل عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، إِذًا الْقُرْآن سَمِعَه جِبريل من الله عَزَّوَجَلَّ فنزل بِهِ عَلَىٰ قلب مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولن أُفصِل أكثر من هٰذَا ولكن سأذكر بعض الْأَدِلَّة:

- **أولاً**: ما الدليل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن كلام الله؟ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] كَلَامُ اللَّه هُنَا الْقُرْآن، إِذًا الله عَزَّوَجَلَّ بين في كتابه أَن الْقُرْآن كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هٰذَا من الْقُرْآن.

- **من السُّنَّة**: قَالَ البُخَارِيّ: «**وكَذَلِكَ تواترت الأخبارُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: أَن الْقُرْآنَ كلامهُ**».

إِذًا الأخبار مُتواترة في أَن الْقُرْآن كلام الله منها قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا رَجُلٌ يحملني إِلَىٰ قومه فَإِن قُرَيشًا قَدْ منعوني أَن أُبلِغ كلام ربي عَزَّوَجَلَّ**».

فكلام ربي في هٰذَا الحَدِيْث: «**ألا رَجُلٌ يحملني إِلَىٰ قومه فَإِن قُرَيشًا قَدْ منعوني أَن أُبلِغ كلام ربي عَزَّوَجَلَّ**»، كلام ربي أي الْقُرْآن.

إِذًا هٰذَا الدليل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَيرُ مخلوق، تَكَلَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ وألقاه إِلَىٰ جِبريل ذَكَرَ الشَّيْخ الْأَدِلَّة، فنزل بِهِ جِبريل عَلَىٰ قلب النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ الشَّيْخُ الْأَدِلَّة عَلَىٰ ذَلِكُم، ما الدليل عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَيرُ مخلوق من يأتي بدليل؟

الطالب: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣﴾ [الرحمن: ١ - ٣]، فَرق بين الخلق والتعليم.

الشَّيْخ: زين.

الطالب: ...

الشَّيْخ: ممتاز هُوَ هٰذَا الدليل وَقُلْت لكم: مَسْأَلَة الْقُرْآن مبنيةٌ عَلَىٰ مَسْأَلَة الْكَلَام، فترجع إِلَىٰ مَسْأَلَة الْكَلَام فتَقُول: الْكَلَامُ غَير مخلوق والْقُرْآن من كلام الله فالْقُرْآنُ غَير مخلوق، فتستدل بأن الْقُرْآن الْكَلَام غَير مخلوق: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَرق بين الْخَلْقِ وَالْأَمْر.

ثُمَّ تَقُول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فأثبت أَن الْقُرْآن كَلَامُه، وإذا كان الْقُرْآن كلامه وكلامه غَير مخلوق فالْقُرْآنُ غَير مخلوق.

دليل آخر ذَكَرَهُ ابْن قُدامة وغيره: **"أجمع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ أَنه لا يُحلَف بمخلوق، وأجمعوا عَلَىٰ جواز الحَلِف بالْقُرْآن، فدل هٰذَا عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَير مخلوق"**، واضح الدليل؟ أجمعوا عَلَىٰ جواز الحَلِف بالْقُرْآن، والأدلة جاءت بِالنَّهْي عَنْ الحَلِف بالمخلوقين فدل هٰذَا عَلَىٰ أَن الْقُرْآن غَير مخلوق، طيب أَيُّهَا المُكرمون اقرأ يا شَيْخ.

(المَتن)

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنُؤمِن بأن الله عَزَّوَجَلَّ عَلِيٌّ عَلَىٰ خلقه بذاته وَصِفَاته، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

(الشرح)

المُصَنِّف انتقل بعد مَسْأَلَة الْكَلَام إِلَىٰ مَسْأَلَة العلو، علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوعان:

عَلوٌ معنوي.

وَعَلوٌ ذاتي.

فعلو الله عَزَّوَجَلَّ المَعنوي يَقُول بِهِ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة ويقول بِهِ غيرهم، أَمَّا العلو الذاتي فقد نافاه طوائفُ كثيرة ويُؤمن بِهِ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة واتفقوا عَلَىٰ اثباته، وَهٰذَا العلو علو الله عَزَّوَجَلَّ الذاتي دل عَلَيْهِ الْقُرْآن ودلت عَلَيْهِ السُّنَّة، ودل عَلَيْهِ العَقلُ ودلت عَلَيْهِ الفِطْرَة.

حَتَّىٰ من يُكذب بعلو الله عَزَّوَجَلَّ الذاتي تجد في أفعاله ما يُكذِب تكذيبه، فتجده عندما يذهل عَنْ مُعتقده يطلب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العلو، فَهٰذَا أمرٌ فطَر الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ الناس وأدلته كثيرة؛ فالأمر كما قَالَ ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

يَـــا قومنـــــــــاوَ الله إن لقولنـــــــــا

ألـــــف تـــــدل عَلَيْ ـهِ بـــــل ألفَ ـانِ

فالْأَدِلَّةُ عَلَىٰ علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كثيرةٌ جِدًّا نذكر بعضها:

◄ **أولًا**: الْأَدِلَّة عَلَىٰ علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الْقُرْآن اسمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الْعَلِيّ، فاسمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الْعَلِيّ يدل عَلَىٰ اتصافه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالعلو، هٰذَا النوع الْأَوَّل من أدلة الْقُرْآن.

◄ **النوع الثَّانِي من أدلة الْقُرْآن**: النَّصُّ عَلَىٰ أَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فوق، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

◄ **من أنواع أدلة الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ العلو في الْقُرْآن**: نزول الْأَشْيَاء منه: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩].

◄ **من أدلة الْقُرْآن عَلَىٰ علو الله عَزَّوَجَلَّ**: صعود الأمور إليه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وعروج الْأَشْيَاء إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

◄ **من أدلة الْقُرْآن عَلَىٰ أَن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العلو**: التصريح بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في السماء: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦].

⇦ **أَمَّا السُّنَّة فالسُّنَّة أدلة السُّنَّة عَلَىٰ العلو أيضًا كثيرة**: فَقَالَ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ»، وَالْأَعْلَىٰ أي العالي أي أَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في العلو.

«**ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء**»، والأدلةُ كثيرة وأجمع أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ هٰذَا، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَام: "**إن السَّلَف مُجمعون عَلَىٰ ذَلِكَ**".

والعقل أَيْضًا يدل عَلَىٰ علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وَذَلِكُم لِأَنَّ السُّفل نَقصٌ والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُنزه عَنْ النقص.

⇦ **أمَّا دلالة الفِطرة فظاهرة جِدًّا**: إذ يطلب الْإِنْسَانُ ربه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُستشعرًا علوه.

(المتن)

قَالَ: وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

واستواؤه عَلَىٰ العرش: عُلُوُّه عليه بذاته عُلوًّا خاصًا يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إِلَّا هُوَ جَلَّوَعَلَا.

(الشرح)

الآن قُلْنَا: الصِّفَات القائمة بذات الله عَزَّوَجَلَّ أنواع:

- صِفَاتٌ معنوية.
- صِفَاتٌ ذاتية.
- صِفَاتٌ فِعْلية.

وقُلْنَا: الصِّفَات الْفِعْلية هِيَ الَّتِي تتعلقُ بمشيئة الله، فَمَتَىٰ شاء فَعل وَمَتَىٰ شاء لم يفعل، أليس كَذَلِكُم؟ الاستواء من صِفَات الله عَزَّوَجَلَّ الْفِعْلية الذاتية، فالاستواء فعلٌ وأفعال الله عَزَّوَجَلَّ قائمةٌ بذاته إذ كُل الصِّفَات قائمة بذات الله عَزَّوَجَلَّ فالصِّفَة تقوم بالموصوف.

فقُلْنَا: ما يقوم بذات الله من الصِّفَات أنواع:

- معنوية.
- خبرية.
- فِعْلية.

الاستواء من الصِّفَات الْفِعْلية، طيب وَهِيَ قائمةٌ بذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حالها سائر الصِّفَات، ما معنى الاستواء؟ الَّذِي ورد في كلام أهل الْعِلْم خمسةُ معانٍ وقفت عليها في

كلام شَيْخ الإِسْلَام، ومن المعاني الَّتِي ذكرها شَيْخ الإِسْلَام بل كُلها ينسبها شَيْخ الإِسْلَام لأهل الْعِلْم أذكرها من كلامه.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: اسْتَوَى إِلَىٰ السَّمَاءِ ارْتَفَعَ"**، هٰذَا الْمَعْنَى اَلْأَوَّل اسْتَوَى بمعنى ارتفع.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: اسْتَوَى عَلَىٰ الْعَرْشِ: عَلَا عَلَىٰ الْعَرْشِ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الْثَّانِي: عَلَا عَلَىٰ الْعَرْشِ.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: وَقَالَ البغوي أَيْضًا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: **"اسْتَقَرَّ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الْثَّالِث.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: **"صَعِدَ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الرَّابِع.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: **"وَقَالَ غَيْرُ هَؤُلَاءِ: اسْتَوَى أَيْ ظَهَرَ"**، هٰذَا الْمَعْنَى الخَامِس.

هٰذِه خمسةُ معانٍ للاستواء بين شَيْخ الإِسْلَام أَن العُلَمَاء يَقُولون بها ونسبها إليهم:

اَلْأَوَّل: ارتفع.

الْثَّانِي: علا.

الْثَّالِث: استقر.

الرَّابِع: صَعد.

الخَامِس: ظهر.

قَالَ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وَقَدْ ذكرت لكم قبل: أهمية العِناية بِمَا ينقسم من صِفَات الله إِلَىٰ عام وخاص، قَالَ ابْن عُثيمين: **"واستواؤه عَلَىٰ العرش: عُلُوُّه عَلَيْهِ بذاته عُلوًّا خاصًا يليق بجلاله وعظمته، لا يعلم كيفيته إِلَّا هُوَ جَلَّ وَعَلَا"**.

إِذًا عُلُوّ الله عَزَّوَجَلَّ نوعان:

- عَلوٌ عام عَلَىٰ كُل شيء.
- وَعَلوٌ خاص عَلَىٰ الْعَرْش.

من سبق ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ هٰذَا التقسيم؟ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(شرح حديث النزول)**، وَهٰذَا نقل نَفيس أَيُّهَا المُكرمون قَالَ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الاستواء عُلُوٌّ خاص، فكُل مُستوٍ عَلَىٰ شيءٍ عالٍ عَلَيْهِ، وليس كُل عالٍ عَلَىٰ شيءٍ مُستوٍ عَلَيْهِ"**، واضح هٰذَا كلام ابْن تَيْمِيَّة في **(شرح حديث النزول)**.

فابْن تَيْمِيَّة يُبين أَن الاستواء علوٌ خاص، وَذَكَرَ أمرًا مُهمًا: لَيْسَ كُل من عَلَا شيء فهو مُستوٍ عَلَيْهِ، ولكن كُل من اسْتَوَى عَلَىٰ شيء فهو عالٍ عَلَيْهِ.

فالشَّيْخ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقرِب العلو الخاص بمِثَال ولله المثل الأعلى؛ ولكن يُبين في المخلوقين إمكان تصور العلو العام والعلو الخاص في المخلوقين، فتصوره في باب الخلق يتضح فيقول: لو أَن رَجُلًا وضع كُرسيًا عَلَىٰ السطح وجلس عَلَىٰ الكُرسي فَعُلُوه عَلَىٰ الكرسي عُلُوٌّ وَعُلُوه عَلَىٰ سائر البيت عُلُوٌّ عام.

يَقُول الشَّيْخ ابْن عُثيمين: العُلُو الخاص عَلَىٰ الْعَرْش هُوَ استواءه عَلَيْهِ، ويظهر ذَلِكَ بالْمِثَال فمَثَلًا لو أَن إنسانًا عَلَىٰ كُرسيٍ في السَطح فَهُنَا عُلُوٌّ عام وعُلُوٌّ خاص فكونه عَلَىٰ الكُرسي هٰذَا عُلُوٌّ خاصٌ بالكُرسي وكونه عاليًا عَلَىٰ البيت كُله فَهٰذَا عُلُوٌّ عام، وعُلُو الله عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ كُل المخلوقات عام وعُلُوه عَلَىٰ الْعَرْش خاص، طيب فالشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أَن ذَكَرَ عُلُو الله العام، ذَكَرَ عُلُوه الخاص طيب اقرأ شَيْخ.

(المَتن)

ونؤمن بأنه تَعَالَىٰ مع خلقه وَهُوَ عَلَىٰ عرشه، يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويُدَبِر أمورهم، يرزق الفَقير، ويجبر الكسير، يُؤتي المُلْك من يشاء، وينزع المُلْك مِمن يشاء، ويُعِز من يشاء، ويُذِل من يشاء، بيده الخَير وَهُوَ عَلَىٰ كُل شيءٍ قدير.

ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقةً؛ وإن كان فوقهم عَلَىٰ عرشه حقيقةً: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ولا نَقُول كما تَقُول الحلولية من الجَهْمِيَّة وغيرهم: إِنَّه مع خلقه في الْأَرْض، ونرى أن من قَالَ ذَلِكَ فهو كافر أو ضال، لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص.

(الشرح)

أحسنت لا يزال الشَّيْخ يُرتِب كِتَابه ترتيبًا جميلًا نافعًا، فبعد أَن ذَكَرَ العلو ذَكَرَ المَعية، وَذَلِكُم لِأَنَّ هُنَاكْ من لم يستوعب التوفيق بين العلو والمَعية، فبين بذكره هٰذَا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عالٍ وعُلُوه لا يُنافي مَعيته.

وَقَدْ سبقه لهذا شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة في **(الواسطية)** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَإِنَّهُ رَتب **(الواسطية)** عَلَىٰ هٰذَا فجعل بعد العلو المَعية، ومِمن فَعل هٰذَا الشَّيْخ/ مُحَمَّد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كِتَابه النافع **(الصِّفَات الإلهية)** فَإِنَّهُ أتبع الْكَلَام عَلَىٰ الاستواء بالْكَلَام عَلَىٰ المَعية.

وَقَالَ مُبينًا سبب هٰذَا سأقرأ كلامه هٰذَا كلام الشَّيْخ/ مُحَمَّد أمان الجامي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: **"إذا كُنا قد انْتَهَينا من الْكَلَام عَلَىٰ صِفَة استواء الله عَلَىٰ عرشه كما يليق به دون حاجته إليه ليحمله؛ بل هو الحامل سُبْحَانَهُ للْعَرْش، وما دون الْعَرْش بِقُدرته سُبْحَانَهُ بَعد هٰذَا كُلِهِ أرى من المُناسب جِدًّا: أن نتحدث عن مَعية الله تَعَالَىٰ، وقُربه من عباده كما يليق به، لما نُلاحظ من أن بعض الناس يتصورن خطأً صعوبة التوفيق بين استواء الله عَلَىٰ عرشه وأنه فوق جميع مخلوقاته، وبين قُربه من عباده، وأنه معهم حَيْثُما كانوا! عِلْمًا بِأَنَّهُ قد وردت نصوص قُرْآنية، وأخرى من الأَحَادِيْث النَّبوِيَّة لِتُثبت المَعْية والقُرْب كما أثبتت صِفَة العُلُو والفوقية"**، فلا مُنفاة بين عُلُو الله عَزَّوَجَلَّ وفوقيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

⇦ ونتكلم حول المعيّة بنقاط:

﴿ النُقطَة الأُوْلَىٰ: لفظة مَع في اللُّغَة لمُطلق المُصَاحبة فلا تقتضي امتزاجًا ولا غَير ذَلِكَ إِلَّا بقيدٍ يُفيد ذَلِكَ، فلفظةُ مع في اللُّغَة لمُطلق المُصَاحبة فَلفظةُ مع في اللُّغَة لا تُفيد الامتزاج ولا تُفيد غَير ذَلِكَ إِلَّا بقرينة بحسب السِّيَاق.

وحِيْنَئِذٍ فقد تُطلق بسِيَاقٍ مُعين وتُفيد الامتزاج، كقولك: خلطتُ الماء مع اللبن هٰذِه مَعية امتزاج، وتُطلق مَع ولا تُفيد الامتزاج وَإِنَّمَا تُفيد مُطلق المُصاحبة، فتَقُول: القائدُ مع الجيش يُوجههم فهل هٰذَا يَعْنِي أَنَّهُ معهم في موضع المعركة؟ لا، رُبَمَا يكون بينه وبينهم مسافات ولكنه يُوجههم بحسب طريقةٍ مُعينة.

إِذًا لفظة مَع لا تُفيد المُصاحبة في المكان ولا تُفيد الامتزاج وَإِنَّمَا هِيَ لمُطلق المُصاحبة، فتَرِد في سِيَاق مُعين فتفُيد الامتزاج، وتَرِد في سِيَاق مُعين وتُفيد المُصاحبة في المكان، وتَرِد في سِيَاق مُعين ولا تُفيد المُصاحبة في المكان، إِذًا لفظة مَع لمُطلق المُصاحبة هٰذِه النُقطة الأُوْلَى.

النُقطَة الثَّانِية: المَعية نوعان:

مَعيةٌ عامة.

ومَعيةٌ خاصة.

المَعية العامة تُفيد أَن الله عَزَّوَجَلَّ مع خلقه، بعِلْمه فَقَطْ؟ بعضهم يظن أَنَّهُ معهم بعِلْمه فَقَطْ، واضح بعضهم لِأَنَّ هٰذِه اللَّفْظة دارجة وَهِيَ اللهُ مع خلقه بعِلْمه، فبعضهم يظن أَن السَّلَف يُريدون بعِلْمه فَقَطْ، فنبه الشَّيْخ هُنَا عَلَىٰ شيء مُهم وَهٰذَا دائمًا يُنبه عَلَيْهِ الشَّيْخ وَهُوَ: أَن معية الله العامة لَيْسَت مَعيةً عِلْمية فَقَطْ.

فَقَالَ: "**ونُؤمِن بأنه تَعَالَىٰ مع خلقه وَهُوَ عَلَىٰ عرشه، يَعلم أحوالهم**"، إِذًا لَيْسَ بعِلْمه فَقَطْ: "**ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويُدَبِر أمورهم، وَيَرزق الفَقير، وَيَجبر الكسير، يُؤتي المُلْك من يشاء، وينزع المُلْك مِمن يشاء، ويُعِز من يشاء، ويُذِل من يشاء، بيده الخَير وَهُوَ عَلَىٰ كُل شيءٍ قدير**".

المَعيةُ العامة تُفيد أَن الله عَزَّوَجَلَّ مع خلقه بعِلْمه بِقُدرته بسمعه ببصره، دل عليها قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، هٰذِه المَعيةُ العامة.

المَعيةُ الثَّانِيَة: المَعيةُ الخاصة، وَهٰذِه خاصةٌ بعباده المُتقين: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، هٰذِه المَعية العامة تقتضي النُصرة والتأييد، هِيَ أَيْضًا مَعيةٌ بالْعِلْم بالسمع والبصر؛ لكن المَعية الأُوْلَى لا تقتضي النصر والتأييد، وَأَمَّا المَعية الخاصة فَهِيَ بهذه الصِّفَات الموجودة في المَعية العامة، وَهِيَ تَزيدُ عليها شَيْئًا وَهُوَ: أنها تقتضي النصر والتأييد.

النُقطَة الثَّالِثة: لا مُنافاة بين علو الله عَزَّوَجَلَّ وبين مَعيته العامة والخاصة لا مُنافاة، كيف هٰذَا؟ الله عَزَّوَجَلَّ أثبت له العلو وأثبت له المَعية، فنُؤمِن بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عالٍ وَهُوَ معنا حقيقةً بعِلْمِهِ وسائر ما تقتضيه معيته من الصِّفَات، لا تنافي بين هٰذَا وبين هٰذَا.

وإذا كُنا أَيُّهَا المُكرمون يَعْنِي الْعَرَب يَقُولون: لا نزال نسير والقمر معنا، القمر معهم حقيقة أم لَيْسَ بحقيقة؟ حقيقة وَهُوَ في مكانه ومعهم بنوره، وهم يرونه ومعهم في مسيرهم، إِذًا معهم القمرُ معهم حقيقة وَهُوَ في مكانه فَإِذا تُصورِت هٰذِه المَعية من مخلوق فكيف بالخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ فاللهُ عَزَّوَجَلَّ مع خلقه وَهُوَ في علوه.

قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقةً؛ وإن كان فوقهم عَلَىٰ عرشه حقيقة"**، فالله عَزَّوَجَلَّ معهم والمعية عَلَىٰ بابها معية حقيقية لِأَنَّ المَعية -كَمَا قُلْنَا-: لا تستلزم المُصاحبة بالمكان، فالله عَزَّوَجَلَّ فوق عَلَىٰ عرشه وَهُوَ مع خلقه.

قَالَ: **"ولا نَقُول كما تَقُول الحلولية من الْجَهْمِيَّة وغيرهم: إِنَّه مع خلقه في الْأَرْض"**، أنا قُلْت لكم: لَنْ أتطرق لقول المُبتدعة إِلَّا إن تعرض إليه الشَّيْخ، فقوله هُنَا: **"ولا نَقُول كما تَقُول الحلولية من الْجَهْمِيَّة وغيرهم: إِنَّه مع خلقه في الْأَرْض"**.

هٰذَا المشهور بين أهل الْعِلْم أَن الْجَهْمِيَّة يَقُولون: إن الله مع خلقه في الْأَرْض واضح هٰذَا المشهور، ابْن تَيْمِيَّة بين في **(الْإِيمَان الكبير)** أَن هٰذَا قول عوام الْجَهْمِيَّة وعُبادهم؛ وَأَمَّا نُظّار الْجَهْمِيَّة فيقولون: لا فوق ولا تَحْتَ المقولة المعروفة لا داخل العالم ولا خارجه وَلا هُوَ فوق العالم.

يَقُول شَيْخ الإِسْلَام وَهٰذَا نقل مُهم أَيُّهَا المُكرمون في فَهم مُعتقد الْجَهْمِيَّة في هٰذَا الباب، يَقُول شَيْخ الإِسْلَام: **"وَلَكِنَّ كَلَامَ السَّلَفِ كَانَ فِيمَا يَظْهَرُ لَهُمْ وَيَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ**

الْبِدَعِ كَمَا تَجِدُهُمْ فِي الْجَهْمِيَّة؛ إِمَّا يَحْكُونَ عَنْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهَذَا قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ كالنَجّارية، وَهُوَ قَوْلُ عَوَامِّهِمْ وَعُبَّادِهِمْ؛ وَأَمَّا جُمْهُورُ نُظَّارِهِمْ مِنْ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ والضِرَارية وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّمَا يَقُولُونَ: هُوَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا هُوَ فَوْقَ الْعَالَمِ".

ويُرد عليهم بالنُّصُوص المُثبِتة بأن الله عَزَّوَجَلَّ فوق، والتوفيق بين علو الله عَزَّوَجَلَّ وبين مَعيته وَهٰذَا واضح.

قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ونرى أن من قَالَ ذَلِكَ فهو كافرٌ أو ضال"، كافرٌ إن بلغته الْحُجَّة وضال إن لم تبلغه الْحُجَّة.

قَالَ الشَّيْخ في شرحه: "كافر إن بلغته الْحُجَّة وأن هٰذَا مُستحيلٌ عَلَىٰ الله أو نقصٌ في حقه".

قَالَ الشَّيْخ في شرحه: "أو ضال، إن لم يكن كَذَلِكَ"، أي إن لم تبلغه الْحُجَّة: "لأنه وصف الله بما لا يليق به من النقائص".

(ٱلمَتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بما أخبر به عنه رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّهُ ينزل كُل ليلة إِلَىٰ السماء الدُّنْيَا حين يبقى ثُلُث اَللَّيْل الآخِر، فيقول: من يدعوني فأَستجيب له؟ من يسألني فأُعطيه؟ من يَستغفرني فأغفر له؟».

(ٱلشرح)

ولا يزال الشَّيْخ يُرتِب كِتَابه ترتيبًا طيبًا، فبعد أَن بين عُلُو الله واستواءه وأن المَعية لا تُنافي العلو والاستواء ذَكَرَ النزول ليُبين أَنَّهُ عالٍ وإن نزل؛ فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وإن نزل فهو عَالٍ بل إن نزوله دليلٌ من أدلة عُلُوه.

قَالَ ابْن القيم في بيان أدلة العُلُو:

هٰ ذَا وسادســـــــها وســـــــابعها

النـــــزولُ كَ ذَلِكَ التنزيـــــلُ للقُ رْآنِ

وَقَالَ ابْن أبي العِز الحَنفي في بيان أدلة العُلُو الثَّانِي عشر: **"التصريحُ بنزوله كُل ليلةٍ إِلَىٰ السماء الدُّنْيَا، والنزول المعقولُ عند جميع الأُمم إِنَّمَا يكون من عُلُوٍ إِلَىٰ سُفل"**.

فالله عَزَّوَجَلَّ ينزل عَلَىٰ كيفيةٍ لا نعلمها ولكن نُؤمن بأن هُنَاكْ كيفية لنزوله، فيقوله: «**من يدعوني فأَستجيب له؟ وَمن يسألني فأُعطيه؟**»، هٰذَا نُؤمِن بِهِ ونزوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الَصِّفَات الْفِعْلية القائمة بذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وَهُوَ دليلٌ عَلَىٰ علوه إذ النزول لا يكون إِلَّا من عُلوٍ إِلَىٰ سُفل.

واختلف أهل الْعِلْم في مَسْأَلَة وَهِيَ: هل إذا نزل الله عَزَّوَجَلَّ يخلو عرشهُ أم لا يخلو؟ وَهٰذِه الْمَسَائِل أَيُّهَا المُكرمون لَا بُدَّ من بحثها وَلَا بُدَّ من التطرق إِلَيْهَا حَتَّىٰ تفهم العقيدة فَهمًا صَحِيْحًا، ولا إشكال في بحثها وَقَدْ بحثها السَّلَف وكتبوا فيها، فَلَا بُدَّ أَن تعرف الحق بدليلِهِ.

بين شَيْخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(شرح حديث النزول)** أَن الأقوال ثلاثة:

القول اَلْأَوَّل: قول من قَالَ: بأن الْعَرْش لا يخلو هٰذَا القول اَلْأَوَّل: قول من قَالَ: بأن الْعَرْش لا يخلو.

القول الْثَّانِي: قول من توقف وأنكر عَلَىٰ من قَالَ بخلو الْعَرْش وأنكر عَلَىٰ من لم يقل بخلو الْعَرْش، أنكر عَلَىٰ من قَالَ: يخلو وعَلَىٰ من قَالَ: لا يخلو، وأنكر عَلَىٰ الفريقين، إِذًا توقف وأنكر عَلَىٰ الفريقين.

القول الْثَّالِث: قول من قَالَ: لا يخلو، وَهٰذَا القول هُوَ الَّذِي يُرجحِه شَيْخ الإِسْلَام، قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"وفي الجُملة، فالقائلون بِأَنَّهُ يخلو منه الْعَرْش طائفةٌ قليلةٌ من أهل الحَدِيْث"**، إِذًا الَّذِينَ قَالُوا: إن الْعَرْش يخلو طائفةٌ قليلةٌ من أهل الحَدِيْث.

قَالَ: **"وجمهورهم عَلَىٰ أَنَّهُ لا يخلو منه الْعَرْش، وَهُوَ المأثور عن الأئمةِ المعروفين بِالسُّنَّةِ"**، وَذَكَرَ مِنهم أحمد وإسحاق بْنَ راهوية وعُثمان بْنَ سعيد الدارمي، وحُجتهم أَن الله عَزَّوَجَلَّ أخبرنا بِأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَىٰ الْعَرْش، وأخبرنا بِأَنَّهُ ينزل وما أخبرنا بِأَنَّهُ يخلو منه الْعَرْش،

فالأصلُ بقاء الأمرِ عَلَىٰ ما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَهُوَ أَنَّهُ ينزل إِلَىٰ السماء الدُّنْيَا وَهُوَ مُستوٍ عَلَىٰ عرشه نزولًا يليق بِهِ لا نعلم كيفيته ولكن نُؤمن بِهِ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنُؤمن بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حانه يأتي يوم المَعاد للفصل بين الْعِبَاد، لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٣].

(الشرح)

أحسنت هٰذِه الَصِّفَة صِفَةُ المجيء والاتيان، وَهِيَ صِفَةٌ فِعْليةٌ قائمةٌ بذات الله، كُل الَصِّفَات قائمة بذات الله، إن لم تقم بذات الله تقوم بأي شيء؟ صِفَةٌ لله ولا تقوم بذاته تقوم بأي شيء؟ فَهِيَ صِفَةٌ فِعْليةٌ ذاتية، وَهٰذَا الموضوع سنبسط فيه القول بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في الْكُتُب القادمة.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢] جَاءَ رَبُّكَ إِذًا الْفِعْل منسوبٌ لله عَزَّوَجَلَّ، فالقائمُ بالْفِعْل هُوَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، الحال هٰذِه صَفًّا صَفًّا من الْمَلَائِكَة فالْمَلَائِكَة يأتون صفوفًا اضبطوا هٰذَا، قَالَ ابْن كثيرة: **"وَجاءت الْمَلَائِكَةُ صفوفًا صفوفًا، فالحالُ من الْمَلَائِكَة"**.

طيب أَيُّهَا المُكرمون هٰذَا الْمَعْنَى الَّذِي دل عَلَيْهِ هٰذَا اللَّفْظ، المجيء لفظ أليس كَذَلِكُم؟ اللَّفْظُ لَا بُدَّ أَن يدل عَلَىٰ معنى، الْمَعْنَى الَّذِي دل عَلَيْهِ هٰذِه اللَّفْظ نفهمه وفق لُّغَة الْعَرَب، نحن فهمنا المجيء بِمُجرد أن يُطلق لفظ المجيء نفهمه.

قاعدة: **"المَعنى إن عُبر عنه بألفاظٍ مُختلفة فَإِن ذَلِكُم يمنع إرادة المجاز"**، المَعنى إن عُبر عنه بألفاظٍ مُختلفة فَإِن هٰذَا يمنع إرادة المجاز، فَإِذا جاءك جاءٍ وَقَالَ لك: المُراد بالمجيء مجيءُ أمره؛ تَقُول له: لِأَنَّ المجيء جاء بلفظ الإتيان أَيْضًا، وَالْمَعْنَى المُعين إذا عُبر عنه بأكثر من لفظ فَإِن التعبير بأكثر من لفظٍ ينفي احتمال المجاز.

طيب قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، إِذًا جاء هٰذَا الْمَعْنَى بلفظ المجيء وجاء بلفظ الإتيان.

ونَزيده قاعدةٌ أخرى لنمنع المجاز مَنعًا قويًا، فنقول له قاعدةٌ أخرى: **"تَقسيمُ الَّذِي أُضيف إليه الْفِعْل أو الوصف إِلَىٰ أقسام يمنع إرادة المَجاز"**.

الآن: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، الآن الإتيان لاحظوا قُسِم من نُسِب إليه الإتيان إِلَىٰ أقسام: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فَإِن قَالَ: الإتيان لَيْسَ إتيان الله؟ نَقُول له: يمتنع هٰذَا لِأَنَّ الله ذَكَرَ إتيان الْمَلَائِكَة، وَذَكَرَ إتيان الآيات، فلم يَبق إِلَّا أَن يكون الإتيان المنسوبُ إليه إتيانًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والقاعدة: **"تَقسيمُ الَّذِي أُضيف إليه الْفِعْل أو الوصف إِلَىٰ أقسام يمنع إرادة المَجاز"**.

وَهُنَا الوصفُ والْفِعْلُ أُضيف إِلَىٰ أقسام فأُضيف إِلَىٰ الآيات وأُضيف إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأُضيف إِلَىٰ الْمَلَائِكَة، فَهٰذَا التقسيم لمن أُضيف إليه الْفِعْل يمنعُ إرادة المجاز.

أنا قُلْت لكم: سأُركز هُنَا في هٰذَا الدَّرْس عَلَىٰ القواعد الَّتِي يمتنع معها المجاز، ذكرنا كم قاعدة الآن؟ ثلاث قواعد طيب وَقُلْت لكم: اعتنوا بِمَا يُقسم من صِفَات الله إِلَىٰ عام وخاص، وَإِلَىٰ كوني وشرعي، وَإِلَىٰ مُطلق ومُقيد.

قَالَ ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"والإتيانُ والمَجيءُ من الله تَعَالَىٰ نوعان: مُطلقٌ ومُقيد"**، اضبطوا هٰذَا وَهٰذَا مُهم: **"الإتيان في الْقُرْآن وَالسُّنَّة فهو إِمَّا إتيانُ عذاب أو إتيان رحمة، وإذا أُطلِقَ فهو إتيانُ الله"**، الإتيان والمَجيء في الْقُرْآن وَالسُّنَّة إذا ورد الإتيان مُطلقًا فهو إتيانُ الله، وإذا وردَ مُقيدًا فهو إتيانُ العذاب أو الرحمة.

نذكر أمثلة: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢]، هٰذَا لَيْسَ المُراد بِهِ إتيان الله عَزَّوَجَلَّ وَإِنَّمَا إتيانٌ يُفيد الرحمة: ﴿جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الأعراف: ٥٢].

﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ [المؤمنون: ٧١]، هٰذَا إتيانُ الله؟ لَيْسَ إتيان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأنه إتيان مُقيد.

قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، هٰذَا إتيان عذاب واضح: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢].

إِذًا الإتيان إن جاء مُقيدًا فهو إِمَّا إتيان رحمة أو إتيان عذاب تفهم هٰذَا من السِّيَاق، وإذا جاء الإتيان مُطلقًا فهو إتيان الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢]، إِلَىٰ آخر ما هُنَالِكْ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧].

وَنُؤمِن بأن إرادته تَعَالَىٰ نوعان:

كونية: يقع بها مراده ولا يلزم أن يكون محبوبًا له، وَهِيَ الَّتِي بمعنى المشيئة كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣].

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤].

وشرعية: لا يلزم بها وقوع المُراد، ولا يكون المُراد فيها إِلَّا مَحبوبًا له، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

(الشرح)

طيب الحَدِيْث الآن حول الإرادة: وَنُؤمِن بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٧]، فالله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بالإرادة كما دلت عليها هٰذِه الآية، فكُل ما أراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فَإِنَّهُ يفعله.

قَالَ الشَّيْخ: **"وَنُؤمِن بأن إرادته تَعَالَىٰ نوعان"**:

كونية: الإرادةُ الكونية قَالَ: **"يقع بها مُراده"**، إِذًا الإرادةُ الكونية لَا بُدَّ أَن تقع، الإرادة الكونية كُل ما أراده الله كونًا فَلَا بُدَّ أَن يقع هٰذَا الأمر الْأَوَّل.

الأمر الثَّانِي: **"ولا يلزم أن يكون محبوبًا"**، إِذًا الإرادةُ الكونية قَدْ يُريد الله عَزَّوَجَلَّ كونًا ما يُحبه، وَقَدْ يُريد كونًا ما لا يُحبه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وَهٰذَا الْكَلَام فيه تفصيل طويل؛ ولكن هٰذِه الكُليات نافعة هُنَا.

قَالَ: **"وَهِيَ الَّتِي بمعنى المشيئة"**، إِذًا المشيئة لا تَرِد بمعنى الإرادة الشَّرْعِيَّة اضبطوا هٰذَا وَهٰذَا نبه عَلَيْهِ شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المشيئةُ لا تَرِد بمعنى الإرادة الشَّرْعِيَّة وَإِنَّمَا المشيئةُ بمعنى الإرادة الكَونية، فكُل ما شاء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وقوعه لَا بُدَّ أَن يقع، كُل ما تقوله في الإرادة الكونية قُلْه في المشيئة، طيب هٰذَا بالنسبة للإرادة الكونية.

قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]، هٰذِه إرادة كونية.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: ٣٤]، إرادة الإغواء هٰذَا مِمَّا يُحبه الله؟ إِذًا هِيَ إرادة كونية.

وشرعية: قَالَ: **"لا يلزم مِنها وقوع المُراد"**، إِذًا الشَّرْعِيَّة قَدْ يقع المُراد بها وَقَدْ لا يقع، **"ولا يكون المُراد فيها إِلَّا مَحبوبًا له"**، إِذ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لا يشرع إِلَّا ما يُحب ولا يُريد شرعًا إِلَّا ما يُحب، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ شرعًا يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَىٰ الخلق كلهم؛ ولكن هل في الحقيقة تاب اللهُ عَلَىٰ الخلق كلهم؟ لا، إِذًا هٰذِه الإرادة وقعت أم لم تقع؟ لم تقع، إِذًا هِيَ إرادةٌ شرعية.

هٰذَا الفَرق بين الإرادة الشَّرْعِيَّة والإرادة الكَونية باختصار يُناسب هٰذَا الشرَح المُوجز عَلَىٰ هٰذَا الْكِتَاب، والْكَلَام فيه مَزيدُ بَسطٍ ولكن نكتفي بهذا تفضل يا شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن مُراده الكَوني والشَرعي تابعٌ لِحكمته، فكُل ما قضاه كونًا أو تعبد به خلقه شرعًا فَإِنَّهُ لِحكمة وعَلَىٰ وَفق الْحِكْمَة، سواءٌ عَلِمْنا منها ما نعلم، أو تقاصرت

عقولنا عَنْ ذَلِكَ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨]؟ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠]؟

(الشرح)

أحسنت يا شَيْخ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوفٌ بالْحِكْمَة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَقَدْ دلت عَلَىٰ هٰذَا هٰذِه الْأَدِلَّة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ٨]؟ فَأَحْكَمِ تُفيد اتصاف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالْحِكْمَة.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾ [المائدة: ٥٠]؟ فحُكم الله عَزَّوَجَلَّ أحسن حُكمٍ وما كان حُكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحسن حُكمٍ إِلَّا لأنه حُكمٌ مَبنيٌ عَلَىٰ حِكمة، فالله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بالْحِكْمَة والْحِكْمَة فيها كلامٌ غير هٰذَا ولكن نكتفي بهذا.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ يُحِب أولياءه وهم يحبونه:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

(الشرح)

هٰذِه الصِّفَة صِفَةٌ قائمةٌ بذات الله عَزَّوَجَلَّ وَهِيَ صِفَةٌ فِعْلية، فمن شاء اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَن يُحبه أحبه، ومن لَم يشأ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَن يُحبه لم يُحبه، والله عَزَّوَجَلَّ يُحِب ويُحَب كما أفادت الآيةُ الأُوْلَىٰ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكذا الثَّانِيَة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَأَمَّا الْثَّالِثة وَالرَّابِعة وَالخَامِسة ففيها إثبات أَن الله تَعَالَىٰ يُحِب، طيب تفضل شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال، ويكره ما نهى عنه منها: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦].

وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ يرضى عن الَّذِينَ آمنوا وعملوا الصالحات: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٨].

(الشرح)

هٰذَا فيه صِفَة الرِضى والكُره، فاللهُ عَزَّوَجَلَّ يرضى ورِضاهُ صِفَةٌ ذاتيةٌ قائمةٌ بذاته وَهِيَ صِفَةٌ فِعْلية، وكُرهه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كَذَلِكُم، والله عَزَّوَجَلَّ يرضى عَنْ الأعمال ويرضى عَنْ العاملين.

فالآيةُ الأُوْلَى تُفيد رِضاهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عَنْ الأعمال قَالَ: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

والآيةُ الثَّالِثة تُفيد رِضاهُ عَلَىٰ العاملين: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [البينة: ٨].

والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يكره وَهٰذِه الآية تدل عَلَىٰ هٰذَا، وَهُوَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، هٰذِه قاعدة نُجريها في كُل الصِّفَات.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ يغضب عَلَىٰ من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم: ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦].

(الشرح)

الله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بالغضب والغضب صِفَةٌ فِعْلية قائمةٌ بذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وقبل هٰذَا القاعدة السابقة الَّتِي ذكرتها لكم وَهِيَ: **"أن المُعين إن عُبِر عنه بأكثر من لفظٍ فَإِنَّهُ يمنع إرادة المَجاز"**، من أمثلتها صِفَةُ الكُره فقد جاء الكُره وصفًا لله عَزَّوَجَلَّ بأكثر من لفظ يدل عَلَيْهِ.

فَقَالَ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إن الله إذا أبغض عبدًا نادى جِبريل، فَنادى جِبريل: إن الله يُبغِض فُلَانًا فأبغضوه**».

وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الصف: ٣]، كَبُرَ مَقْتًا والمَقْت هُوَ أشدُ الكُره، فالكُره ورد في أوصاف الله عَزَّوَجَلَّ بأكثر من لفظ، وَهٰذَا يمنع إرادة المَجاز فمن قَالَ: إن غضب الله عَزَّوَجَلَّ أُطلِق عَلَيْهِ عَلَىٰ وجه المَجاز يُقَال له: إن إطلاق هٰذَا الْمَعْنَى عَلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأكثر من لفظٍ يدل عَلَيْهِ يمنع إرادة المَجاز.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُٱللَّهُ:

وَنُؤمِن بأن للهِ تَعَالَىٰ وجهًا موصوفًا بالجلال والإكرام: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧].

(الشرح)

من الأوصاف الثابتة لله عَزَّوَجَلَّ الوجه، والوجهُ صِفَةٌ ذاتيةٌ خبرية، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٧]، فالله عَزَّوَجَلَّ له وصفٌ هُوَ وجههُ ووجههُ موصوفٌ بِأَنَّهُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

والمُبتدعة وغيرهم ناقشوا في دلالة هٰذِه الآية ونقاشهم لَيْسَ هٰذَا محله فنكتفي بهذا، بأن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ موصوفٌ بأن له وجهٌ كريم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وَنُؤمِن بأن للهِ تَعَالَىٰ يدين كريمتين عظيمتين: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

(الشرح)

طيب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موصوف بأن له يدين كريمتين، نتحدث حول هٰذِه الصِّفَة في نُقاط:

النُّقطة الأُوْلَى: بيان الْأَدِلَّة عَلَىٰ إثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الدليل الْأَوَّل ذَكَرَ الشَّيْخ فَقَالَ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، هٰذَا يُفيد عَلَىٰ أَن لله عَزَّوَجَلَّ يدين موصفتان بالبسط: ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

الدليل الْثَّانِي: قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ لإبليس: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؟ فَهٰذَا أَيْضًا دليلٌ عَلَىٰ أَن لله عَزَّوَجَلَّ يدين.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَمِينُ اللهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، قَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ**»، فَالنَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هٰذَا الحَدِيْث أَيْضًا يُثبت لله عَزَّوَجَلَّ يدين.

النُّقطة الثَّانِيَة: دفع توهم تعارض الْأَدِلَّة المُثبتة لصِفَة اليد، فصِفَةُ اليد وردت بلفظ المُفرد، ووردت بلفظ المُثنى، ووردت بلفظ الجَمع، فرُبَمَا يتوهم المُتوهم تعارض الْأَدِلَّة المُثبتة لصِفَة اليد، فكيف تدفعُ هٰذَا التَوهم؟ ندفع هٰذَا التوهم:

أولًا: الثابت لله عَزَّوَجَلَّ يدان وعَلَىٰ هٰذَا اتفاق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، فنحتاج إِلَىٰ التوفيق بين ما جاء بلفظ المُفرد، وبين ما جاء بلفظ المُثنى، وبين ما جاء بلفظ الجَمع.

أَمَّا ما جاء بلفظ المُفرد فقوله تَعَالَىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، القاعدة عند أهل الْعِلْم: "**أَن المُفرد المُضاف يَعم**"، فَبِيَدِهِ يد مُفرد مُضاف إِلَىٰ الضَمير فيعم كُل ما

ثبت لله من يد والثابت لله يدان، بذا وفقنا بين اليد حال كونها مُفردة واليد حال كونها مُثنى، فالمُفرد المُضاف يَعم، فبِيَدِهِ المُلْك مُفرد مُضاف يَعم كُل ما ثبت لله عَزَّوَجَلَّ من يد.

التوفيق بين الجَمع والمُثنى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ [يس: ٧١]، لنا وجهان في التوفيق:

الوجه الأَوَّل: إن أقل الجَمع اثنان وَهٰذَا قول لبعض أهل الْعِلْم أقل الجَمع اثنان: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]، الخِطاب لآدم وحواء خاطبهم بالجَمع، فاستدل بهذه الآية بعض أهل الْعِلْم عَلَىٰ أَن الجَمع أقله اثنان هٰذَا وجه؛ فَحِينَئِذٍ لا مُنافاة بين ورود اليد بلفظ الجَمع وبين إثبات يدين كريمتين لله عَزَّوَجَلَّ، ونقول: ما ورد بلفظ الجَمع فالمُراد بِهِ أقل الجمع وأقل الجمع اثنان.

الوجه الثَّانِي: أَن الْعَرَب إن أضافت إِلَىٰ الجَمع جَمعت من باب المُناسبة والمُشاكلة، إذا أضافت المُثنى إِلَىٰ الجَمع جَمعته، وَهُنَاكْ وجه ثالث أَنَّهُ عَلَىٰ سَبِيل التعظيم.

النُقطة الثَّالِثَة: **"إذا جاءت الَصِّفَة في النُّصُوص عَلَىٰ صورٍ متنوعة فَإِن هٰذَا يمنع إرادة المجاز"**، إذا جاءت الصور في النُّصُوص عَلَىٰ وجوهٍ متنوعة فَإِن هٰذَا ينفي إرادة المجاز، هٰذِه القاعدة الرَّابِعة عَلَىٰ مَنع إرادة المجاز.

فجاءت اليد مذكورةً عَلَىٰ وجوه متنوعة جاءت مُفردة، وجاءت مُثناة، وجاءت مجموعة، ثُمَّ جاءت موصوفة بالبسط والقبض وبغير ذَلِكَ، فَهٰذَا كُله يمنع أَن يكون المُراد منها المجاز، واضح اضبطوا هٰذِه القواعد فَإِنَّها نافعة في الرد عَلَىٰ من حَمل هٰذِه الَصِّفَات عَلَىٰ المجاز.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن للهِ تَعَالَىٰ عَينين اثنتين حقيقيتين لقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقال النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

وأجمع أَهْل السُّنَّةِ عَلَىٰ أن العينين اثنتان، ويؤيده قول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الدجال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**».

(الشرح)

طيب الْكَلَام حول صِفَة العينين في نِقاط:

أولًا: اتفق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ أَن لله عَزَّوَجَلَّ عينين لا أكثر ولا أقل، قَالَ ابْن القيم: "**فَهٰذَا الأشعري والناسُ قبله وبعده ومعه لم يفهموا من الأعين أعينًا كثيرة عَلَىٰ وجه، ولم يفهموا من الأيدي أيديًا كَثِيْرة عَلَىٰ شِق واحد حَتَّىٰ جاء هٰذَا الْجَهْمِيّ ...**"، إِلَىٰ آخره.

فَهٰذَا الْكَلَام لابن القيم يُفيد الاتفاق والاتفاق قَدْ نقله الأشعري، فَهٰذِه صِفَات العَين واليد من الَصِّفَات الَّتِي يُثبتها مُتقدمو الأَشَاعِرَة، والعَين وأن لله عَزَّوَجَلَّ عينين مِمَّا ذَكَرَ الإجماع عَلَىٰ أَن لله عَزَّوَجَلَّ عينين الأَشعري أبو الحسن الأشعري -رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

النُقطة الثَّانِيَة: الْأَدِلَّة عَلَىٰ أَن موصوفًا بالعين هٰذِه الَّتِي ذكرها الشَّيْخ -رَحِمَهُٱللَّهُ: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه: ٣٩].

وقال النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الدجال: «**إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور**»، هٰذَا الحَدِيْث استدل بِهِ أهل الْعِلْم عَلَىٰ أَن لله عينين، لِأَنَّ الله لو كان أكثر من عينين لكان هٰذَا أظهر في التمييز فيقول: إن الله له أكثر من عينين والدجال له عينان، فكان هٰذَا أظهر في التمييز فلما ترك النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هٰذَا مع كونه أظهر للتمييز بالعَور دل عَلَىٰ أَن الله عَزَّوَجَلَّ له عينين؛ ولكنهما عينان كريمتان بينما الدجال عيناه فيهما ما فيهما مِمَّا ذَكَرَ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبينه، هٰذِه النُقطة الثَّانِيَة.

النُقطة الثَّالِثة: في التوفيق بين الْأَدِلَّة المُثبتة للعين، في اليدين جاءت اليدان بلفظ الجَمع والمُثنى والمُفرد، العينان وردا في الْقُرْآن بلفظ المُفرد والجَمع، فما ورد بلفظ المُفرد يُقَال فيه ما قِيلَ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وما ورد بلفظ الجَمع يُقَال ما قِيلَ في قوله تَعَالَىٰ: ﴿بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢]، فبذا نختصر القول فيها.

النُّقطة الرَّابعة: في دفع تشغيب بعض أهل الْبِدَع، يَقُولون: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، الباء هُنَا للظَرفية يُشغبون عَلَىٰ أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة فيقولون: هل تَقُولون أنتم هٰذَا؟

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، تَقُولون هٰذَا بِأَنَّ الباء تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا أي أَنها وَالعِيَاذُ بِالله تجري في عين الله عَزَّوَجَلَّ؟ هكذا يُشغبون ومن المُهم أَن تعرف كيف تُجيب عَنْ هٰذَا التشغيب.

فـ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، الباء هُنَا للمُصاحبة الباء تَرِد في اللُّغَة الْعَرَبِيَّة للمُصاحبة وَهٰذَا بينه أهل الْعِلْم، وبين الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَن قوله تَعَالَىٰ:﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، الباءُ للمُصاحبة وليست للظَرفية، فَهٰذِه السفينة كانت تجري بحِفظ الله عَزَّوَجَلَّ مصحوبة بحِفظ الله عَزَّوَجَلَّ وبرعايته وبمرأى منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ: **"وأجمع أَهْل السُّنَّةِ عَلَىٰ أن العينين اثنتان"**، وَقُلْت لكم: ممن ذَكَرَ الإجماع أبو الحسن الأشعري، وَأَيْضًا يُستفاد من كلام ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ويؤيده قول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن الدجال إنه أعور"**، واضح بَيَّنْتُ لكم وجه الدَلالة.

لِمَاذَا الشَّيْخ جاء بهذا الحَدِيْث هُنَا: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»؟ من يستطيع أَن يُجيب عَنْ هٰذَا السؤال؟ لِمَاذَا الشَّيْخ جاء بهذا الحَدِيْث هُنَا؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: لا، نحن نُؤمن بأن الله يسمع نُثبت الأذن لله؟ ما نُثبتها، ننفيها؟ ما ننفيها، إِذًا كما أَن السَمع لا يستلزم الأُذن فالبصر لا يستلزم العين؛ بل جاء بهذا ليُبين أَنَّهُ يُبصر بعينيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

النُقطة الخَامِسة: قَالَ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَذْهَبَ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين قَالَ: **"قوله: مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ، هٰذَا تمثيلٌ عظيمٌ جِدًّا فدل ذَلِكَ أَيْضًا عَلَىٰ أَن هاتين العَينين يُبصر بهما جَلَّوَعَلَا، لِأَنَّ العَينين هما أداةُ الإبصار ولو لم يرد مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ ما كُنا نعقل إِلَّا أَن للّعينين إبصارًا، وَإِلَّا لكانت هذان العينان ناقصان"**.

يَقُول: يَعْنِي لو أَن النُّصُوص لم ترد بهذا لفهمنا هٰذَا، فكيف وَقَدْ جاءت النُّصُوص بهذا؟ هل صرح بعض أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة بهذا الْمَعْنَى قبل الشَّيْخ/ مُحَمَّد بْنَ صالح العُثيمين؟ نعم صَرح ابْن خُزيمة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كِتَاب **(التَّوْحِيد)** صرح بهذا وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له عينان كريمتان يُبصر بهما, هٰذِه النُقطة الخَامِسة ضعوها زيدوها نُقطة.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بأن للهِ تَعَالَىٰ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

وَنُؤمِن بأن الْمُؤْمِنِيْنَ يَرون ربهم يوم القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(الشرح)

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يراه الْمُؤْمِنوْنَ في الجَنَّة وَهٰذِه عقيدةٌ اتفق عليها أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، من النَضارة أي حسنة بَهية: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، أي ترى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عِيانًا.

وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فسر النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزيادة بالنَظر إِلَىٰ وجه الله.

وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، فلما بين اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَن الْكُفَّار مَحْجُوبُونَ أفاد هٰذَا أَن الْمُؤْمِنِيْنَ غَيرُ مَحْجُوبِينَ.

وَقَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، بين عَددٌ من أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة أَنهم ينظرون إِلَىٰ كُل ما يحبون النَظر إليه.

من يُبين وجه الدلالة من الآية؟ هٰذَا آخر سؤال: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: مُمتاز حذف المَعمول يُفيد العموم هٰذِه قاعدة نافعة: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين: ٢٣]، يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أي شيء؟ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ كُل ما يحبون أَن ينظروا إليه، وأعظم ما يُحب النَظر إليه هُوَ وجهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَأَمَّا مِن السُّنَّة فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيلة البدر لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

قاعدة تمنع إرادة المَجاز: **"اتباع الخبر بأسلوبٍ مُوضِحٍ له تمنع إرادة المجاز"**، هُنَا أخبر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»، هٰذَا خبر أتبع الخبر بأسلوب وَهُوَ التمثيل: «**كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَيلة البدر**»، فَهٰذَا الاتباع بهذا الخبر يمنع إرادة المجاز، والتشبيه هُنَا تشبيهٌ للرؤية بالرؤية لا تشبيه للمرئي بالمرئي.

لِمَاذَا الشَّيْخ جاء بهذه الآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣]؟ لِيُبين أَن الرؤية لَيْسَت تُفيد الإحاطة فنحن نرى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا نُحيط بِهِ، وعدم الإحاطة لا يَعْنِي عدم الرؤية.

فنحن الآن ننظر إِلَىٰ السماء نراها ولكن لا نُحيط بها، فعدم احاطتنا بها لا يَعْنِي أننا لَنْ نَراها، ورؤيتنا إياها لا يَعْنِي أننا أحطنا بها، فَإِذا تُصور هٰذَا بالمخلوق فَيُتصور بالخالق من باب أَوْلَىٰ، فنحن نرى الله عَزَّوَجَلَّ ولا نُحيط بِهِ وعدم إحاطتنا بِهِ لا تَعْنِي أننا لم نَرهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

في الدَّرْس السابق ذكرت لكم مجموعةً من القواعد الَّتِي تمنع حَمل النَّصّ عَلَىٰ المجاز، وأقوى تِلْكُم القواعد وَهِيَ القاعدة المُتفق عَلَيْهِ هِيَ: **"أَن التوكيد يمنع حمل الآية عَلَىٰ المَجاز"**.

أَمَّا سائر القواعد فذكرتها من باب الإفادة وليست قواعد مُتَّفَقًا عَلَيْها ولكن الْعِلْمُ بها نافع، فليست قواعد مُسلَّمة ولكنها قواعد نافعة وتحتاج لمزيد من النظر والبحث والتدليل، طيب تفضل شَيْخ.

(المَتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الْأَنْبِيَاء والْمُرْسَلِين نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ اغفر لشيخنا ومشايخه وجميع الْمُسْلِمِين.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ لا مثل له لكمال صِفَاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيوميته.

وَنُؤمِن بِأَنَّهُ لا يظلم أحدًا لكمال عدله، وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده لكمال رقابته وإحاطته.

وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: لا يعجزه شيء في السَّمَاوَاتِ ولا في الْأَرْض لكمال عِلْمِهِ وقُدرته: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وَبِأَنَّهُ لا يَلحقه تَعبٌ ولا إعياء لكمال قوته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨]، أي: من تَعبٍ ولا إعياء.

(الشرح)

أحسنت يا شَيْخ هٰذِه الَصِّفَات الَّتِي ذكرها كُلها صِفَاتٌ منفية، فَهٰذَا شروعٌ من الشَّيْخ في بيان عددٍ من الَصِّفَات المَنفية بعد أَن ذَكَرَ عددًا من الَصِّفَات الثبوتية، وَهٰذِه الَصِّفَات الَّتِي ذكرها تدور عَلَىٰ ثلاثة أمور بينها الشَّيْخُ في شرحه:

- الأَمر الأَوَّل: نفي العَيب عَنْ الله تَعَالَىٰ، مثل نفي الظُّلم والعَور.
- الأَمر الثَّانِي: نفي النَقص عَنْ صِفَات كماله.

ما الفَرق بين الأمر الْأَوَّل وَالثَّانِي؟ الْأَوَّل فيه نفي صِفَة العيب مُطلقًا، الْثَّانِي فيه نفي العَيب عَنْ صِفَة الكمال، الْأَوَّل فيه نفي صِفَة العَيب مثل الظُّلم صِفَة عَيب، نَفي السِّنَة والنوم نفيُ نقص صِفَة الكمال، فصِفَة الكمال الحياة نقصها السِّنَة والنوم.

- إِذًا الأَمر الأَوَّل: نفي عَيب.
- الأَمر الثَّانِي: نفي نَقص صِفَة كمال.
- الأَمر الثَّالِث: نفي مُشابهة المخلوقين.

الشَّيْخُ بين هٰذَا في شرح؛ قبل الْكَلَام عَنْ هٰذِه الصِّفَات المَنفية نأخذ قاعدة وَهِيَ: **"أَن كُل صِفَةٍ تُنفى في الْقُرْآن أو السُّنَّة فليس المُراد مُجرد النفي، وَإِنَّمَا هُوَ نَفيٌ يتضمن إثبات كمال ضِد الوصفِ المَنفي"**.

"كُل صِفَةٍ ورد نفيها في الْقُرْآن أو السُّنَّة لَيْسَ المُراد مُجرد النفي، وَإِنَّمَا هُوَ نَفيٌ يتضمن إثبات كمال ضِد الوصفِ المَنفي"، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ النفي المُجرد لَيْسَ مدحا، إذ النفي قَدْ يكون لعدم قابلية المَحل، مثل أَن تَقُول: الجِدارُ لا يظلم فالجِدارُ غَير قابلٍ للّظُلم، فنفي الَظُلْم عَنْ الجِدار لا يُعد مدحًا.

إِذًا النفي المُجرد لَيْسَ مدحًا لِأَنَّ النفي قَدْ يكون لعدم قابلية المَحل، وَقَدْ يكون لعدم القُدرة عَلَيْهِ فالمحل قابل ولكنه غَير قادر، مِثل البيت المشهور المعروف:

قُبيلـــــــةٌ لا يغـــــــدرون بذمـــــــةٍ

ولا يظلمـــــون النـــــاس حَبـــــة خـــــردلِ

هٰذَا يُريد مَدحهم أَم ذَمهم؟ يُريد ذَمهم بدليل أَنَّهُ صغرهم والأصلُ في التصغير التحقير، فهو يُريد ذَمهم وَقَدْ نفى عنهم الَظُلْم فذمهم بِأَنَّهُمْ لا يظلمون لأنهم غَير قادرين، يُبين مدى ضعفهم وخَورِهم وجُبنهم بحيث أنهم يتركون الَظُلْم لا لأنهم يستطيعونه فلا يظلمون؛ وَإِنَّمَا لأنهم لا يستطيعون الَظُلْم أصلًا.

إِذًا هٰذَا نفيٌ هل المُراد منه المَدح؟ لا لَيْسَ المُراد منه المدح، إِذًا مُجرد النفي لَيْسَ مدحًا إذ النفيُ قَدْ يكون لعدم قابلية المَحل، أو يكون لعدم القُدرة، من هُنَا كُل نفي يَرِد في الْقُرْآن وَالسُّنَّة في حق الله عَزَّوَجَلَّ عليك أَن تتأمل: ما الوصف المُثبت من هٰذَا النفي لأنه نفيٌ يُراد منه إثبات كمال ضِده.

وَهٰذَا الأمر لا تحسبوه سهلًا نعم أَن تعرف تَقُول: هُنَا نُفِي الظُّلْم، تَقُول: هُنَا نُفِيت السِّنَةُ وَالنَوْم، تَقُول: هُنَا نُفِي أَن يكون لله مِثلٌ تَقُول هٰذَا، ولكن ما الوصف الَّذِي يُستفاد من هٰذَا النفي؟ أحيانًا تجد صعوبة في تحديد هٰذَا الوصف المُستفاد من النفي.

لذلك عليك عندما تقرأ لأحدٍ من العُلَمَاء يُبين الوصف المُستفاد من النفي أَن تُقيد هٰذَا وأن تضبطه، وستُلاحظون الآن دِقة الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مُلاحظة الوصف الَّذِي يُستفاد من النفي.

وأنا عني وجدت صعوبةً في بعض الأوصاف هٰذَا وصفٌ مَنفي ما الَّذِي استفيده من هٰذَا الوصف المَنفي؟ ما الَّذِي يُقابله فأُثبت كماله؟ فأجد صعوبة إِلَىٰ أَن أعثر عَلَىٰ كلامٍ لبعض أهل الْعِلْم يُبين هٰذَا ويُوضحه.

وممن بين هٰذَا واعتنى بِهِ شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فَإِنَّهُ إذا ذَكَرَ الوصف المنفي يذكر كمال ضِده المُثبت لله عَزَّوَجَلَّ، ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ والسِعدي وَأَيْضًا الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين كما سنُلاحظ هُنَا.

لاحظوا الشَّيْخ قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ لا مثل له"**، هٰذَا نفي أليس كَذَلِكُم؟ ما الوصف الَّذِي نستفيده من هٰذَا النفي؟ قَالَ: **"لكمال صِفَاته"**، إِذًا لِمَاذَا اللهُ لا مثيل له؟ لكمال صِفَاته فأثبتنا من قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] كمال الصِّفَات.

ثُمَّ قَالَ: وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيوميته، السِّنَة النُعاس يُفيد نقصًا في الحياة ونقصًا في القيومية، من كان قائمًا عَلَىٰ غيره ويأخذه النوم أو تأخذه السِّنَة فَإِن قيوميته عَلَىٰ غيره سيكون فيها ضَعْف.

فالله عَزَّوَجَلَّ لما قَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فأثبت لنفسه كمال الحياةِ وكمال القيومية قَالَ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، لكمال حياته وقيوميته لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْم.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بِأَنَّهُ لا يَظلِم أحدًا لكمال عَدلِه"**: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]، لاحظوا وَهُنَا ستتبين لكم الدِقة قَالَ: **"وبأنه ليس بغافل"**، ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤] الآية.

قَالَ: **"عن أعمال عباده لكمال رَقابتِه وإحاطته"**، إِذًا نفيُ الغَفلة عَنْ الله يُفيد كمال الرقابة والإحاطة، فهو بكُل شيءٍ مُحيط وإحاطته بكُل شيء تعني عدم غفلته، فعدم غفلته يُفيد كمال إحاطته.

هُنَا لاحظوا الدِقة عند الشَّيْخ هُنَا الآن لاحظوا الدِقة قَالَ: **"وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: لا يُعجزِه شيءٌ"**، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [فاطر: ٤٤].

قَالَ: **"وَنُؤمِن بِأَنَّهُ: لا يُعجزِه شيءٌ في السَّمَاوَاتِ ولا في الْأَرْض لكمال عِلْمِهِ وقُدرته"**، ما قَالَ لكمال عِلْمه وقوته لاحظوا ثُمَّ قَالَ: **"وَبِأَنَّهُ لا يَلحقه تَعبٌ ولا إعياء لكمال قوته"**، لِمَاذَا لم يجعل القوة عند نفي العَجز؟ لِأَنَّ العَجز يُقابله القُدرة وَهذَا مأخذ دقيق.

القُدرة صِفَةٌ يتمكن بها الفاعل من الْفِعْل بلا عَجز، والقوة صِفَةٌ يتمكن بها الفاعل من الْفِعْل بلا ضَعْف، فالقوةُ يُقابلها الضعف والقُدرة يُقابلها العَجز، فلما نفى العَجز أخذ من ذَلِكُم كمال القُدرة ولما نفى الضعف أخذ من ذَلِكُم كمال القوة.

ثُمَّ لِمَاذَا قَالَ: لكمال عِلْمه وقُدرته ما قَالَ فَقَطْ: لكمال قُدرته؟ لِأَنَّ العَجز يُتصور من القادر إن كان جاهلًا، فرجل ذو قوة ويستطيعُ العمل الَّذِي يتطلبهُ البِناء ولكنه جاهلٌ بعِلْم البناء يستطيع أَن يبني؟ لا يستطيع، إِذًا لَا بُدَّ من قُدرةٍ وعِلْم.

رجل ذو قُدرة يستطيع البِناء ذو قُدرة ولكن لَيْسَ معه عِلْم يستطيع أَن يبني؟ لا يستطيع، رجلٌ ذو عِلْم وليس عند قُدرة يستطيع أَن يبني؟ لا يستطيع لَا بُدَّ أَن تجتمع القُدرة مع الْعِلْم؛ إِذًا عدم العَجز يُفيد كمال الْعِلْم وكمال القُدرة.

إِذًا نأخذ من نفي العَجز كمال الْعِلْم وكمال القُدرة، ونأخذ من نفي التعب كمال القوة، طيب لَنْ نُفصل في معنى الظُلم وفي معنى هٰذَا الَّذِي ذكره لِأَنَّ هٰذَا سيُؤدي بنا إِلَىٰ التطويل، طيب تفضل يا شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَنُؤمِن بثبوت كُل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الْأَسْمَاء وَالصِّفَات، لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين هُما:

التمثيل.

والتكييف.

فالتمثيل: أن يَقُول بقلبه أو لِسانه: صِفَات الله تَعَالَىٰ صِفَات المخلوقين.

والتكييف: أن يَقُول بقلبه أو لِسانه: كيفية صِفَات الله تَعَالَىٰ كذا وكذا.

وَنُؤمِن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ذَلِكَ النفي يتضمن إثباتًا لكمال ضِده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

ونرى أن السير عَلَىٰ هٰذَا الطريق فرضٌ لَا بُدَّ مِنه، وَذَلِكَ لِأَنَّ ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنها سُبْحَانَهُ فهو خَبرٌ أخبر الله به عن نفسه، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أعلم بنفسه وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا، وَالْعِبَاد لا يُحيطون به عِلْمًا.

وما أثبته له رَسُول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو نفاه عنه فهو خَبرٌ أخبر به عنه، وهو أعلم الناس بربه وأنصح الخَلق وأصدقهم وأفصحهم، ففي كلام الله تَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كمال الْعِلْم وَالصِّدْق والبَيان، فلا عُذَر في رده أو التَّرَدُّد في قبوله.

(الشرح)

طيب قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وَنُؤمِن بثبوت كُل ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الْأَسْمَاء وَالصِّفَات"**، هٰذَا الأصل في باب الْأَسْمَاء وَالصِّفَات وسبق بيانه، وَهٰذَا الأصل سَيَأْتِي توضيحه وبسط القول فيه في كِتَاب **(الحَموية)** بِإِذْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَسَيَأْتِي مزيدُ بسطٍ أَيْضًا إن يسر الله عَزَّوَجَلَّ وقرأنا كِتَاب **(التَدمرية)**.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين هُما"**،

التمثيل.

والتكييف.

وَقَدْ شرح التمثيل والتكييف إِلَّا أَن الشَّيْخ زاد شَيْئًا: وَهُوَ أَن التمثيل يكون بالقلب والتكييف يكون بالقلب، وَذَلِكُم بأن يعتقد بقلبه أَن لله عَزَّوَجَلَّ مثيلًا أو لصِفَةٍ من صِفَات الله مثيلا، أو أَن يعتقد بقلبه أَن لله عَزَّوَجَلَّ كيفية مُعينة أو لصِفَاته كيفية مُعينة.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ذَلِكَ النفي يتضمن إثباتًا لكمال ضِدهِ"**، هٰذِه القاعدة أنا قدمتها لِمَاذَا؟ حَتَّىٰ نفهم الَصِّفَات وَهٰذِه القاعدة سنبسط فيها القول بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في **(القواعد المُثلى)**، وَأَيْضًا سيذكرها الشَّيْخ/ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في **(التَدمرية)**.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: "**ونرى أن السير عَلَىٰ هٰذَا الطريق فرضٌ لَا بُدَّ مِنه**"، وَهٰذَا واضح إِلَىٰ أَن قَالَ: "**وَهُوَ سُبْحَانَهُ أعلم بنفسه وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا، وَالْعِبَاد لا يُحيطون به عِلْمًا**"، هٰذِه أوصاف قبول الخَبر أَيُّهَا المكرمون:

الْعِلْم.

وَالصِّدْق.

وحُسن الحَدِيْث.

فالخَبرُ يُقبل إن كان من عالمٍ والله عَزَّوَجَلَّ وسع كُل شيءٍ عِلْمًا، ويُقبل بشرط أَن يكون العالمُ صادقًا، والله عَزَّوَجَلَّ بلغ من الصِّدْق كماله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

والخَبرُ يُقبل إن كان الخَبر مُؤدى عَلَىٰ وجهٍ صَحِيْح، وَهٰذَا يَعْنِي وجود الفصاحة والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كلامه في غاية الحُسن والفصاحة، فَإِذا اجتمعت أوصاف قبول الخَبر فَلَا بُدَّ من قبوله.

فَالمُصَنِّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: "**ونرى أن السير عَلَىٰ هٰذَا الطريق فرضٌ لَا بُدَّ مِنه، وَذَلِكَ لِأَنَّ ما أثبته الله لنفسه أو نَفاهُ عنها سُبْحَانَهُ فهو خَبرٌ أخبر الله به عن نفسه**"، والله عَزَّوَجَلَّ توفرت صِفَات قبول الخَبر في خبره بين هٰذَا بقوله: "**وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعلَمُ بنفسه وأصدق قيلًا وأحسن حديثًا، وَالْعِبَاد لا يُحيطون به عِلْمًا**".

طيب ثُمَّ أثبت للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا صِفَات قبول الخبر وَهٰذَا واضح، طيب تفضل شَيْخ.

(المتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَصلٌ: وكُل ما ذَكَرناه من صِفَات الله تَعَالَىٰ تفصيلًا أو إجمالًا، إثباتًا أو نفيًا، فَإِننا في ذَلِكَ عَلَىٰ كِتَاب ربنا وَسُنَّة نَبِيِّنَا مُعتمدون، وعَلَىٰ ما سار عليه سَلْف الأُمَّة وأئمة الهُدى من بعدهم سائرون.

ونرى وجوب إجراء نصوص الْكِتَاب وَالسُّنَّة في ذَلِكَ عَلَىٰ ظاهرها، وحملها عَلَىٰ حقيقتها اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ، ونتبرأ من طريق المُحَرّفين لها، الَّذِينَ صرفوها إِلَىٰ غَير ما أراد الله بها ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن طريق المُعَطّلين لها الَّذِينَ عَطّلوها عن مَدلولها الَّذِي أراده الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن طريق المُغالّين فيها، الَّذِينَ حملوها عَلَىٰ التمثيل، أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ونعلم عِلْم اليَقين أن ما جاء في كتاب الله تَعَالَىٰ أو سُنَّة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حق لا يُناقض بعضه بعضًا، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضًا، وَهٰذَا مُحالٌ في خبر الله تَعَالَىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ادّعى أن في كتاب الله تَعَالَىٰ أو في سُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بينهما تَناقضًا فَذَلِكَ لِسُوء قَصده وزيغ قلبه، فَليتب إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ ولَينزع عن غيه.

ومن توهم التناقض في كِتَاب الله تَعَالَىٰ أو في سُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بينهما فَذَلِكَ إِمَّا لقِلَة عِلْمه أو قُصور فَهمه أو تقصيره في التَّدَبُّر، فليبحث عن الْعِلْم وليجتهد في التَّدَبُّر حَتَّىٰ يتبين له الحق، فَإِن لم يتبين له فَليكِل الأمر إِلَىٰ عالمه وليكف عن توهمه، وليقل كما يَقُول الراسخون في الْعِلْم: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وليعلم أن الْكِتَاب وَالسُّنَّة لا تناقض فيهما ولا بينهما ولا اختلاف.

(الشرح)

هُنَا جُملة فِيمَا سبق وَهِيَ: **"ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله"**، هٰذِه ما علقنا عليها هُنَا قاعدة أَيُّهَا المكرمون هٰذِه قاعدة: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إن ذَكَرَ لنفسه اسمًا أو ذَكَرَ لنفسه وصفًا فإننا نُؤمِن بالاسم ونُؤمِن بالوصف وهكذا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن نفى الله عَنْ نفسه وصفًا فَإِننا ننفي هٰذَا الوصف وهكذا رَسُوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الاسمُ والوصف إن لم يَرِد نفيهما ولم يَرِد إثباتهما ما التعامل الشرعي معهما؟ التوقف، فلا نُثبِت ولا ننفي، إِذًا الإثبات لَا بُدَّ له من دليل والنفي لَا بُدَّ له من دليل، ما القاعدة ما الدليل عَلَىٰ هٰذِه القاعدة وَهِيَ: نسكت عما سكت اللهُ عنه ورسوله؟

الدليل: أَن الإثبات والنفي من اقتفاء الخوض في دين الله عَزَّوَجَلَّ بغير عِلْم، لِأَنَّ هٰذَا غيب فاللهُ عَزَّوَجَلَّ لا نعلم بأسمائه إِلَّا بتعليمه، ولا نعلم بأوصافه إِلَّا بتعليمه، وما نعلم ما نفاهُ عنه إِلَّا بتعليمه، فليس لنا أَن نُثبت أَو ننفي إِلَّا بدليل، وَحَيْثُ لا دليل عَلَيْنَا أَن نتوقف وإن قُلْنَا بغير دليل فقد قُلْنَا بغير عِلْم، وَقَدْ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثُمَّ هُوَ كما بين الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين في **(القواعد المُثلَى)** جناية عَلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فَإِن المخلوق لا يُرضى أَن يُسمى بِمَا لم يُسمِ بِهِ نفسه، ولا يُرضى أَن يسلبه أحدهم اسمه، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ لك أَن تُسميه بِمَا لم يُسمي بِهِ نفسه، وليس لك أَن تنفي عنه ما قَدْ يكون ثابتًا له؛ إِذًا هٰذَا هُوَ الدليل لهٰذِه القاعدة.

هُنَا تنبيه مُهم: ما الَّذِي نتوقف فيه فلا ننفيه؟ هُوَ الاسمُ الحَسن والوصفُ الحَسن، أَمَّا الاسمُ السيء والوصفُ السيء فلا نحتاج إِلَىٰ دليلٍ خاصٍ في نفيه، ويكفي في ذَلِكُم الْأَدِلَّة العامة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

فالاسمُ إن كان حسنًا من كُل وجه هٰذَا الَّذِي نتوقف فيه، والوصفُ إن كان حسنًا من كُل وجه هٰذَا الَّذِي نتوقف فيه، أَمَّا الاسمُ القبيح أو الوصفُ القَبيح فإننا لا نتوقف فيهما

والاسمُ الَّذِي فيه نقصٌ وفيه حُسن لا نتوقف فيه أَيْضًا ننفيه، والوصف الَّذِي فيه قُبحٌ وفيه حُسن لا نتوقف فيه ننفيه، وَإِنَّمَا نتوقف في الاسم الَّذِي يدل عَلَىٰ كمالٍ من كُل وجه، وعَلَىٰ الوصف الَّذِي يدل عَلَىٰ كمالٍ من كُل وجه.

من هُنَا اسم اللهِ الاسمُ الَّذِي أُطلق عَلَىٰ الله عند المُتكلمين وعند غيرهم القَديم، القَديم تجد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة ينفونه تَقُول: كيف تنفونه عَنْ الله وأنتم تَقُولون بقاعدة التوقف، وأن الاسم لا يُنفى ولا يُثبت إِلَّا بدليل؟

يَقُولون لك: لِأَنَّ القديم لَيْسَ كمالًا من كُل وجه، لأنه يُطلق بمعنى القِّدم النِسبي وليس يُطلق بمعنى القِّدم النِسبي، ولا يختص بالقِّدم المُطلَق واللهُ عَزَّوَجَلَّ أوليته مُطلقة وليست أوليته نِسبية، فهو اَلْأَوَّل الَّذِي لَيْسَ قبله شيء فاسم الله اَلْأَوَّل يُفيد الكمال بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اَلْأَوَّل الَّذِي لَيْسَ قبله شيء؛ أَمَّا القديم فيُطلق بمعنى القِّدم النِسبي ولا يختص بالقِّدم المُطلَق.

من هُنَا نَقُول مَثَلًا: هٰذَا قول الشَّافِعِيّ في القديم، هل هٰذَا قول الشَّافِعِيّ في القديم أي القديم الَّذِي لَيْسَ قبله شيء؟ لا القديم باعتبار قوله في الجَديد، ونقول: هٰذَا فصل فيه القول ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرحه القديم، بمعنى القديم أي قبل شرحه الجديد.

إِذًا لفظ القديم لا يُطلق عَلَىٰ الله اسمًا لِمَاذَا نفيناه وقاعدتنا التوقف؟ لِأَنَّ اسم القديم لا يُفيد اَلْأَوَّلية المُطلقة، لا يختص بِاَلْأَوَّلية المُطلقة وَإِنَّمَا يُطلق أَيْضًا ويُراد بِهِ القِّدم النِسبي، هٰذَا أمر مُهم.

طيب إِذَا أولًا: عَرفنا دليل القاعدة.

ثانيًا: عَرفنا محل تطبيق القاعدة.

ثالثًا: هٰذَا التوقف في الْأَسْمَاء والأوصاف لَيْسَ في الأخبار.

هٰذَا التوقف في الْأَسْمَاء والأوصاف لَيْسَ فِيمَا يُخبَر عَنْ الله بِهِ إذ الأبواب ثلاثة:

الباب الْأَوَّل: الْأَسْمَاء وَهُوَ أخص الأبواب.

البابُ الثَّانِي: الأوصاف وَهُوَ أوسع من الْأَسْمَاء.

البابُ الثَّالِث: الإخبارُ عَنْ الله، وَهٰذَا أوسع الْأَسْمَاء.

فبابُ الإخبار تُخبِر عَنْ الله عَزَّوَجَلَّ بكُل ما لا يكون نقصًا من كُل وجه، إِذًا ما ضابط ما يُخبَر عَنْ الله بِهِ؟ ضابطه أَن لا يكون اللَّفْظُ سيئًا.

مَاذَا قَالَ الشَّيْخ مَاذَا قَالَ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ قَالَ: **"وَأَمَّا الإخبارُ عنه فلا يكون باسمٍ سيء؛ لكن قَدْ يكون باسمٍ حسن أو باسمٍ لَيْسَ بسيء وإن لم يُحكَم بحُسنه"**.

إِذًا عندنا اسم حسن وَهٰذَا الَّذِي نتوقف فيه، عندنا اسم سيء هٰذَا الَّذِي ننفيه ولا يَجُوز الإخبار عَنْ الله عَزَّوَجَلَّ بِهِ، عندنا اسمٌ لَيْسَ بسيء ولكنه أَيْضًا لا يُفيد حُسنًا هٰذَا يَجُوز الإخبار عَنْ الله بِهِ مثل الشيء: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، فالله عَزَّوَجَلَّ شيءٌ يُخبر عَنْ الله بِأَنَّهُ شيء يُخبر عَنْ الله بهذا.

وجاءت أخبار مثل هٰذَا الخَبر في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة، فالنُّصُوص الشَّرْعِيَّة ما أُطلق عَلَىٰ الله في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة ثلاثةُ أبواب:

لأَسْمَاء.

الأَوْصاف.

الأخبار.

فما يَرِد في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة ويرى أهل الْعِلْم أَنَّهُ لَيْسَ كمالًا مُطلقًا فَإِنَّهم يُبينون أَنَّهُ من باب الإخبار، واضح أَيُّهَا المُكرمون؟ هٰذَا ضابط ما يُخبَر بِهِ اكتبوا هٰذَا الْكَلَام النافع جِدًّا عَنْ شَيْخ الإِسْلَام: **"وَأَمَّا الإخبارُ عنه فلا يكون باسمٍ سيء؛ لكن قَدْ يكون باسمٍ حسن أو باسمٍ لَيْسَ بسيء وإن لم يُحكَم بِحُسنه مثل اسم شيء وذات وموجود"**، فالله يُخبَر عنه بِأَنَّهُ موجود ونقول: لله عَزَّوَجَلَّ ذات هٰذَا من باب الإخبار.

القديم الَّذِي نفيناه عَنْ الله يُخبَر عَنْ الله بِهِ؟ نعم يُخبَر عَنْ الله بِهِ لأنه لَيْسَ سيئًا من كُل وجه، ويُخبَر عَنْ الله بِهِ بإرادة القِّدم المُطلق فالقديم يدل عَلَىٰ القِّدم المُطلق ويدل عَلَىٰ القِّدم النِسبي، وعند الإخبار عَنْ الله عَزَّوَجَلَّ بِهِ فَإِنَّنا نُريد بِهِ القِّدم المُطلق.

من هُنَا أهل الْعِلْم يُبينون شَيْئًا يَقُول لك: بابُ الإخبار أوسع من باب الأوصاف، وباب الأوصاف أوسع من باب الْأَسْمَاء، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ كُل اسمٍ لله عَزَّوَجَلَّ يُفيد وصفًا فَهُوَ هٰذَا الباب كُل اسم لله فَإِنَّهُ يتضمن أوسع منه باب الأوصاف لِأَنَّ هُنَاكْ أوصافًا لا يُسمى الله بها، مثل النزول مثل الاستواء هٰذَا وصف هل يُسمى اللهُ بِهِ؟ لا.

إِذًا باب الأوصاف أوسع من باب الْأَسْمَاء، الإخبار يُخبر عَنْ الله عَزَّوَجَلَّ بِمَا لم يُسم بِهِ ولم يُوصف بِهِ، وَهٰذَا الموضوع فيه يحتاج إِلَىٰ مَزيد بسط وَقَدْ بسط القول فيه في شرح **(الواسطية)**.

طيب الآن قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وكُل ما ذَكَرَناه من صِفَات الله تَعَالَىٰ تفصيلًا أو إجمالًا، إثباتًا أو نفيًا"**، إِذًا الشَّيْخ ذَكَرَ صِفَات عَلَىٰ سَبِيل التفصيل في الإثبات والنفي، وَذَكَرَ صِفَات عَلَىٰ سَبِيل الإجمال في الإثبات والنفي، وَذَكَرَ أسماء عَلَىٰ سَبِيل التفصيل.

طيب أَيُّهَا المكرمون مِثَال التفصيل في الإثبات: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هٰذِه ذكرها أم لم يذكرها؟ ذكرها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، اللَّه الْحَيّ الْقَيُّوم فيذكر أسماء الله عَلَىٰ سَبِيل التفصيل في الإثبات، وكُل اسم يتضمنُ وصفًا.

مِثَال الإجمال في الإثبات: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، فَهٰذَا فيه إجمال في إثبات أوصاف الكَمال.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، هٰذَا فيه إجمال إثبات أوصاف الكَمال، الْحَمْدُ لِلَّهِ نعم لأنه المَحمود لكمال أوصافه.

مِثَال التفصيل في النفي: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفنى السِّنَة وَنفى النَوْم هٰذَا تفصيل.

مِثَال الإجمال في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فَهٰذَا إجمالٌ في النفي لم يأخذ يُعدِد المَنفيات وَإِنَّمَا ذَكَرَ لفظًا يشملُ صِفَاتٍ منفية كثيرة.

قَالَ: "**ونرى وجوب إجراء نصوص الْكِتَاب وَالسُّنَّة فِي ذَلِكَ عَلَىٰ ظاهرها، وحَملها عَلَىٰ حقيقتها اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ**"، هٰذِه القاعدة قاعدة مُهمة وَهٰذِه القاعدة سَيَأْتِي لها مَزيد بسط في (**القواعد المُثلَى**) وفي (**الحَموية**) وفي (**التَدمرية**).

فَهُنَا نُشير إشارة سريعة فهمها عَلَىٰ ظاهرها عَلَىٰ وَفق ما تقتضيه لُّغَة الْعَرَب، فكُل صِفَة تَرِدُ في سِيَاق فَإِن لها معنًى وَفق اللُّغَة يقتضيه السِّيَاق الَّتِي وردت فيه، كُل صِفَة تَرِدُ لله عَزَّوَجَلَّ في سِيَاق في قُرْآن أو في سُنَّة فَإِن السِّيَاق يُحدِد الْمَعْنَى المُراد من هٰذِه الَصِّفَة فنفهم الْمَعْنَى وَفق وضع هٰذِه الَصِّفَة في اللُّغَة الْعَرَبِيَّة، إذ الْقُرْآن عربي والألفاظ المذكورة فيه عربية والألفاظ لها معانٍ في لُّغَة الْعَرَب، فَاللَّفْظ في سِيَاقه يُفيد معنى، فَهٰذَا الْمَعْنَى نُثبته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَإِن كان اللَّفْظةُ تُفيد أكثر من معنى فَإِن السِّيَاق أَيْضًا يُحدِد الْمَعْنَى المُراد من هٰذِه المعاني، مثل لفظ اليد له في اللُّغَة أكثر من معنى فيُستعمل بمعنى اليد ويُستعمل بمعنى القوة، ويُستعمل بمعنى النِعمة، فعندما يَرِدُ هٰذَا اللَّفْظ في السِّيَاق المُعين نفهم مَعْنَاه وَفق لُّغَة الْعَرَب ووفق ما يقتضيه السِّيَاق.

﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؟ ننظر في السِّيَاق ننظر في السِّيَاق نجد أَن اللُّغَة تَقُول: هُنَاكْ ثلاثةُ معانٍ لهذا اللَّفْظ، السِّيَاق سيُحدِد لنا الْمَعْنَى المُراد، فنقول: بنِعمتَيّ؟ لا، لِأَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ له نِعمٌ كثيرة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

نَقُول: بِقُدرتَيّ؟ نَقُول: لا، لِأَنَّ قُدرة الله واحدة، إِذًا لم يَبْقَ من المعاني المعروفة لِلَّفْظِ اليَد إِلَّا معنًى واحد يُناسب السِّيَاق، فنفهم أَن اليدين يدان تليقان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذ القاعدة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، فَنُثبت دلالة اللَّفْظ وننفي التشبيه، هٰذَا هُوَ أخذ النُّصُوص عَلَىٰ ظاهرها.

واضح اضبطوا هٰذَا لَا بُدَّ من فهمها وَفق لُّغَة الْعَرَب، ومن خِلال الْمَعْنَى الَّذِي يقتضيه السِّيَاق، أنا لا أُريد أَن أتوسع ونفسي تطلب مني التوسع كُنت راح أعطيكم مِثَال نأخذ فيه عشر دقائق بَس نسحب الْمِثَال.

طيب يا إخوان عرفنا المُراد هُنَا لذلك قَالَ الشَّيْخ: **"ونرى وجوب إجراء نصوص الْكِتَاب وَالسُّنَّة في ذَلِكَ عَلَىٰ ظاهرها، وحَملِها عَلَىٰ حقيقتها اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ"**، إِذًا نأخذها عَلَىٰ ظاهرها ولكن نعرف أَن المُراد بها حقيقة تليق بالله لا الحقيقة الَّتِي تليق بالمخلوقين، وَهٰذَا هُوَ الَّذِي يقتضيه السِّيَاق أَيْضًا لِأَنها جاءت منسوبة لله، والصِّفَة بحسب من نُسبِت إليه.

قَالَ: **"ونتبرأ من طريق المُحَرّفين لها، الَّذِينَ صَرفوها إِلَىٰ غَيرِ ما أراد الله بها ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن طريق المُعَطّلين لها الَّذِينَ عَطّلوها عَنْ مَدلولها الَّذِي أراده الله ورسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن طريق المُغالّين فيها الَّذِينَ حملوها عَلَىٰ التمثيل، أو تكلفوا لمدلولها التكييف"**، هَؤُلَاءِ المُمَثلة والمُعطلِة والمُكَيفة وسبق الحَدِيْث حول هٰذَا كُله.

إِلَىٰ أَن بين أَن كِتَاب الله عَزَّوَجَلَّ لا اختلاف فيه، وَذَلِكُم لِأَنَّ كِتَاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مُحكَم، ثُمَّ بين خطورة توهم التناقض وبين أَن من توهم التناقض فَلِقلة عِلْمه، أي إِمَّا أَن يكون عِلْمه قليلًا فيظن التناقض، أو لقصور فَهمه أي عنده عِلْم واسع ولكن فَهمه قاصر أو تقصيره في التَّدَبُّر.

(المَتن)

قَالَ -رَحِمَهُٱللَّهُ: فَصلٌ: وَنُؤمِن بِمَلائكة الله تَعَالَىٰ وأنهم: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] خلقهم الله تَعَالَىٰ فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠] حجبهم الله عنا فلا نراهم، ورُبَما كشفهم لبعض عباده.

فقد رأى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبريل عَلَىٰ صورته، له ستمائة جناح قَدْ سَد الأُفق، وتمثل جِبريل لمريم بشرًا سويًا فخاطبته وخاطبها، وأتى إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعنده الصَّحَابَةُ بصورة رجلٍ لا يُعرف ولا يُرى عَلَيْهِ أثر السفر، شديد بياض الثياب شديد سواد الشَعر، فجلس إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسند ركبتيه إِلَىٰ ركبتي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووضع كفيه عَلَىٰ فخذيه، وخاطب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاطبه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخبر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أنه جِبريل.

وَنُؤمِن بأن للّمَلَائِكَة أعمالًا كُلفِوا بها: فمنهم جِبريل المُوكل بالوحي ينزل به من عند الله عَلَىٰ من يشاء من أنبيائه ورُسُله، ومنهم مِيكائيل المُوكل بالمطر والنبات، ومنهم إسرافيل المُوكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور، ومنهم ملك الموت المُوكل بقبض الأرواح عند المَوْت، ومنهم ملك الجبال المُوكل بها، ومنهم مالكٌ خازن النَّار، ومنهم ملائكةٌ مُوكلون بالأجنة في الأرحام، وآخرون مُوكلون بحفظ بني آدم، وآخرون مُوكلون بكتابة أعمالهم، لكُل شخصٍ مَلَكان: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

وآخرون مُوكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إِلَىٰ مَثواه، يأتيه مَلَكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومنهم الْمَلَائِكَةُ المُوكلون بأهل الجَنَّة: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقد أخبر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن البيت المعمور في السماء يدخله وفي رواية: يُصلي فيه كُل يومٍ سبعون ألف مَلَك، ثُمَّ لا يعودون إليه آخر ما عليهم**».

(الشرح)

أحسنت هٰذِه الأبواب أَيُّهَا المُكرمون الآن الشَّيْخ بعد أَن انْتَهَى من الحَدِيْث حول الْأَسْمَاء وَالصِّفَات سيتكلم عَنْ أبواب الْإِيمَان، -كَمَا ذَكَرْت- لكم بِأَنَّهُ رَتب الْكِتَاب عَلَىٰ ترتيب حديث جِبريل.

وَهٰذِه الأبواب انتبهوا لهذا الأمر المُهم الَّذِي سأقوله لكم: لَنْ تضبطوها من هٰذِه الْكُتُب، كُل هٰذِه الأبواب لا تُضبط من هٰذِه الْكُتُب، لو أنك تقرأ ما جاء عَنْ الْمَلَائِكَة في **(الواسطية)** وفي **(الطحاوية)** وفي **(السفارينية)** وتقرأ شروحًا مُوسعة لَنْ تضبط هٰذِه الأبواب.

وهكذا الْإِيمَان، وهكذا القضاء وَالْقَدَر، وهكذا أشراطُ الساعة، وهكذا اليوم الآخَر، الَّذِي تأخذه في هٰذِه الْكُتُب جُملًا تتعلق بهذه الأبواب أَمَّا ضبطها فَلَا بُدَّ من الرجوع للْكُتُب المُختصة في هٰذِه الأبواب.

وَهٰذِه مرحلة مُتقدمة فبعد أَن تقرأ شرحًا لـ: **(الواسطية)** شرحًا لـ: **(عقيدة أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة)**، تقرأ شرحًا لـ: **(السفارينية)**، تقرأ شرحًا لـ: **(الطحاوية)** وتأخذ العقيدة بِالْإِجْمَالِ وشيء من التفاصيل والأصول المُهمة هٰذَا يُؤهلك إِلَىٰ أَن تقرأ الْكُتُب المُفردة في كُل باب.

إِذًا عليك أَن تسأل سؤالًا مُهمًا وأَن تبحث وأن تجمع الْكُتُب الَّتِي أُفردت في كُل باب من أبواب المُعتقد، وَلَا شَكَّ أَن أعلى الْكُتُب كُتُب العُلَمَاء الكِبار لا سيما شَيْخ الإِسْلَام وابن القيم.

فمَثَلًا: الْإِيمَان **(الْإِيمَان الكبير)** و **(الْإِيمَان الأوسط)**.

الحياةُ البَرزخية **(الرُّوح)** لابن القيم.

ما يكون في الجَنَّة **(حادي الأرواح)** لابن القيم.

ما يكون في النَّار **(التخويف من النَّار)** لابن رجب.

ما يكون أَيْضًا في الْقُبُور **(أهوال الْقُبُور)** لابن رجب.

وهكذا كُتُب كثيرة والمُعاصرون أَيْضًا كتبوا، فمَثَلًا من أفضل الْكُتُب الَّتِي تكلمت حول الْمَلَائِكَة **(الْمَلَائِكَة المُقربين)** للدكتور/ مُحَمَّد عَبْدُ الْوَهَّاب العَقيل، هٰذَا الْكِتَاب نافع

جِدًّا أحسب أنك إذا قرأته ستُدرِك الكثير من المباحث المُهمة ولا تحتاج بعده إِلَّا إِلَىٰ بعض الْمَسَائِل الَّتِي تُذكر.

وهكذا في كُل باب من أبواب المُعتقد، عليك حَتَّىٰ تضبط هٰذَا الباب جيدًا بعد أَن تقرأ هٰذِه الكُتب وتتأصل، تبحث عَنْ الْكُتُب المُختصة في كُل باب إن أردت اتقان الْعِلْم، فَالَّذِي سنأخذه الآن جُمل وَهِيَ مُفيدة يَعْنِي هٰذَا لا يجعلك تَزهد بِمَا ستأخذ في هٰذِه الْكُتُب ستأخذ شَيْئًا طيبًا ولكن يبقى إحسان هٰذِه الأبواب عَلَىٰ وجه المُراد بطالب الْعِلْم لا يكون إِلَّا بعد قراءة الْكُتُب المُتعلقة بكُل بابٍ من هٰذِه الأبواب.

هٰذَا الْإِيمَان بالْمَلَائِكَة أَيُّهَا المُكرمون رُكنٌ من أركان الْإِيمَان، والمَلَكُ لُّغَةً كما قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"حاملُ الألوكة"** وَهِيَ الرِّسَالَة.

الشَّيْخ هُنَا قَالَ: وَنُؤمِن بِمَلائكة الله تَعَالَىٰ وأنهم: ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٧﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧] الله عَزَّوَجَلَّ بين أَن الْمَلَائِكَة مُكْرَمُون فالله عَزَّوَجَلَّ أكرمهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يُخالفونه وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

ثُمَّ قَالَ: **"خلقهم الله تَعَالَىٰ"**، الشَّيْخ أضاف كَلِمَة في الشرح قَالَ الشَّيْخ في شرحه: **"خلقهم الله وليت المُؤَلِّف بين من أين خُلِقوا لو قَالَ: خلقهم الله من نور لكان جيدًا"**، إِذًا تستطيعون أَن تُضيفوا كَلِمَة من نور خلقهم الله من نور، هٰذَا الشَّيْخ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ مكتوبة عَجيبة! لِأَنَّ المتن الَّذِي كتبه الشَّيْخ الَّذِي شرحه غَير مكتوبة فيه.

طيب خلقهم الله من نور إِذًا الْمَلَائِكَة من نور، الدليل قول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُلِقت المَلَآئِكَةُ من نور**».

تنبيه: يكثر إطلاق الْجِسْم عَلَىٰ الْمَلَائِكَة فيَقُولون: أجسامٌ نُورانية، إطلاق الْجِسْم عَلَىٰ الْمَلَائِكَة بين ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَن إطلاق الْجِسْم عَلَىٰ الْمَلَائِكَة بالمعنى اللُّغَوي خطأ.

قَالَ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وَلَا رَيْبَ أَن جماهير العُقلاء عَلَىٰ إثبات الفَرق بين البدن والروح الَّتِي تُفارق والجمهور يُسمون ذَلِكَ رُوحًا وَهٰذَا جِسمًا؛ لكن لفظ الْجِسْم في**

اللُّغَة لَيْسَ هُوَ الْجِسْم في اصطلاح المُتكلمين؛ بل الْجِسْم هُوَ الجَسد -كَمَا تَقَدَّمَ- وَهُوَ الْجِسْم الغَليظ، والروح لَيْسَت مثل البَدن في الغِلظة والكثافة، ولذلك لا تُسمى جِسمًا فمن جعل الْمَلَائِكَةَ والأرواح ونحو ذَلِكَ لَيْسَت أجسامًا بالمعنى اللُّغَوي فقد أصاب في ذَلِكَ"، يَقُول: هُوَ الْجِسْم في اللُّغَة بمعنى الجَسد، ولا يصح أَن يُطلق عَلَىٰ الْمَلَائِكَة هٰذَا اللَّفْظ الْجِسْم بمعنى الجَسد.

اضبطوا هٰذَا الْكَلَام لشَيْخ الإِسْلَام قَالَ الشَّيْخ: **"فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته"**، ثُمَّ ذَكَرَ الآية والآية واضحة.

ثُمَّ قَالَ: **"حَجبهم الله عَنا فلا نراهم، ورُبَما كشفهم لبعض عباده"**، قوله: فلا نراهم أي من حَيْثُ الأصل، من حَيْثُ الأصل الْمَلَائِكَة لا يُرون ولكن قَدْ يُكشفون لبعض عباد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

اكتبوا: كشف الْمَلَائِكَة للّعِبَاد عَلَىٰ صورتين:

الصورة الأُوْلَىٰ: عَلَىٰ صورتهم الحقيقية، ولم تَرِد النُّصُوص بكشف الْمَلَائِكَة عَلَىٰ صورتهم الحقيقية إِلَّا لرجلٍ واحد وَهُوَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجِبريلُ رآه النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ صورته الحقيقية مرتين:

إحداهما: ذُكرت بقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣].

والأخرى: قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾﴾ [النجم: ١٣، ١٤].

عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سألت رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هاتين الآيتين فَقَالَ: «**إِنَّمَا هُوَ جِبريل لم أَرهُ عَلَىٰ صورته الَّتِي خُلِق عليها غَير هاتين المرتين، رأيته مُنهبِطًا من السماء سادًا عِظَمُ خلقه ما بين السماء إِلَىٰ الأَرْض**».

إِذًا الْمَلَائِكَة عَلَىٰ الصورة الحقيقية لم يرهم إِلَّا النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ نفى عددٌ من أهل الْعِلْم إمكان رؤيتهم عَلَىٰ هٰذِه الصورة لغير النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هٰذِه الأُوْلَىٰ أليس كَذَلِكُم؟ قُلْنَا: الأُوْلَىٰ: عَلَىٰ صورتهم الحقيقية.

الصورة الثَّانِيَة: رُؤيتهم مُتشكلين أو مُتمثلين بغَير صورتهم الحقيقية، دليلها أدلتها معروفة عندكم وكثيرة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يتمثل لِيَّ المَلَكُ رَجُلاً** »، ومَريم رأت جِبريل عَلَىٰ هيئة رجل، وَالنَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يرى جِبريل عَلَىٰ هيئة دِحية الكَلْبي.

وتمثلهم عَلَىٰ غَير صورتهم الحقيقية لها وجهان:

إِمَّا أَن يتمثلوا بصورةٍ حسنة.

وَإِمَّا أَن يتمثلوا بصورةٍ غَير حسنة.

فتمثلهم بصورةٍ حسنة كما في تمثل جِبريل عَلَىٰ صورة دِحية ودِحية من الصَّحَابَة الَّذِينَ عُرفوا بالجمال.

تمثلهم عَلَىٰ صورةٍ غَير حسنة مثل تمثلهم في الحَدِيْث المعروف الَّذِي فيه أعمى وأقرع وأبرص، فَهٰذَا تمثلوا فيه عَلَىٰ صورةٍ غَير حسنة.

إِذًا الْمَلَائِكَةُ من حَيْثُ الأصل لا يُرون، الْمَلَائِكَةُ قَدْ يُكشفون لبعض عباد الله، وكشفهم لبعض عباد الله عَلَىٰ صورتين:

الصورة الأُوْلَىٰ: عَلَىٰ صورتهم الحقيقية، ولم تَثبت إِلَّا للنَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رأى جِبريل عَلَىٰ صورته الحقيقية مَرتين.

تمثلهم عَلَىٰ غَير صورتهم الحقيقية، كشفهم عَلَىٰ غَير صورتهم الحقيقية وَهٰذَا قَدْ يكون عَلَىٰ صورةٍ حسنة، وَقَدْ يكون عَلَىٰ صورةٍ غَير حَسنة.

طيب هُنَا مَسَائِل سأفوتها قرأت كُل ما يتعلق بالْمَلَائِكَة، قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُٱللَّهُ: "**وَنُؤمِن بأن لِلْمَلَائِكَة أعمالًا كُلفِوا بها: فمنهم جِبريل المُوكل بالوحي**"، وَهٰذَا قَدْ أخذنا دليلهُ وأن جِبريل مُوكل بالوحي، ولأنه مُوكلٌ بالوحي فهو أعظم الْمَلَائِكَة عند الله عَزَّوَجَلَّ، فَجِبريل أعظم الْمَلَائِكَة.

قَالَ: "**ومنهم مِيكائيل المُوكل بالمطر والنَبات**"، وَهٰذَا قَدْ جاء في مُسند الإِمَام أحمد ما يدل عَلَيْهِ وأن مِيكائيل مُوكلٌ بالمطر والنَبات اضبطوا هٰذَا اضبطوا الْأَدِلَّة، لِأَنَّ الحَدِيْث

حول الْمَلَائِكَة رُبَمَا لا يُوجد فيه دليلٌ ونصٌ من الْقُرْآن وَالسُّنَّة ويكون المُعتمد فيه الإجماع، فعليك أَن تضبط كُل مَسْأَلَة وتعرف دليلها.

الدليل طويل الحَدِيْث الَّذِي فيه أَن اليهود، الشاهد الَّذِي في المُسند يَعْنِي خذوا منه كَلِمَة: أقبلت يهود إِلَىٰ رَسُول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اكتبوا هٰذَا واذهبوا لها في الشاملة ابحثوا عنها: نسألك عَنْ خمسة أشياء، اكتبوا هٰذَا في الشاملة سيظهر لكم الحَدِيْث في **(مُسند الإِمَام أحمد)** فيه إثبات أَن مِيكائيل هُوَ المُوكل بالمطر والنَبات.

قَالَ: **"ومنهم إسرافيل"**، لاحظوا الآن قَالَ: **"إسرافيل المُوكل بالنفخ في الصور حين الصعق وَالنُّشُور"**، وَهٰذَا لا أعرف دليلًا خاصًا صريحًا صَحِيْحًا في هٰذَا، أَن إسرافيل ينفخ في الصور.

لكن القُرطبي يَقُول: **"قَالَ عُلَمَائُنا والأُمَّمُ مُجمعون عَلَىٰ أَن الَّذِي ينفخ في الصور إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"**، إِذًا هٰذَا فيه الإجماع: **"الأُمَّمُ مُجمعون عَلَىٰ أَن الَّذِي ينفخ في الصور إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ"**.

هَؤُلَاءِ الثلاثة ابْن القيم يُبين أَنَّهم رؤساء الْمَلَائِكَة: مِيكائيل، إسرافيل، جِبرائيل، قَالَ ابْن القيم: **"ورُؤساء الأملاك الثلاث جِبريلُ ومِيكائيلُ وإسرافيل"**؛ ولذلكُم كان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوسل في دُعَائه بربوبية الله الخاصة لهَؤُلَاءِ فيقول: «**اللَّهُمَّ رَبّ جِبرائيلَ ومِيكائيل وإسرافيل، فاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، أنت تحكمُ بين عِبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لِمَا اختُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِكَ**»، وَهٰذَا الحَدِيْث فيه كلام مُهم لكن يَعْنِي فيه فوائد مُهمة لكن سنفوتها.

قَالَ الشَّيْخ: **"ومِن الْمَلَائِكَة أَيْضًا ملك الْمَوْت"**، لِمَاذَا لم يقل: عِزرائيل؟ لأنه لم يَرِد دليل من الْقُرْآن وَالسُّنَّة عَلَىٰ عِزرائيل، هُنَاكْ كلام طبعًا عِزرائيل يستعملها عدد من أهل الْعِلْم عدد منهم شَيْخ الإِسْلَام استعملها في **(مجموع الفتاوى)**.

وَهُنَاكْ كلام للقاضي عِياض لأبي الفَضل القاضي عِياض يُفهم منه ثبوت هٰذَا الاسم، وَقَدْ يُفهم منه الإجماع، يَقُول القاضي عِياض في **(الشِفاء)** يَقُول: **"وَهٰذَا كُله في من تَكَلَّمَ فيهم بِمَا قُلْنَاه عَلَىٰ جُملةٍ من الْمَلَائِكَة والنبيين، أو عَلَىٰ مُعينٍ مِمن حققنا كَونه من الْمَلَائِكَة**

والنبيين مِمن نَص الله عَلَيْهِ في كِتَابه، أو حققنا عَلَيْهِ بالخَبر المُتواتر والمُشتهر المُتفق عَلَيْهِ بِالْإِجْمَاعِ القاطع لِجبريل ومِيكائيل ومالك وخزنة الجَنَّة وجهنم والزبانية وحَملة الْعَرْش المذكورين في الْقُرْآن من الْمَلَائِكَة ومن سُمي فيه من الْأَنْبِيَاء، وكعِزرائيل وإسرافيل ورِضوان والحَفظة ومُنكر ونكير من الْمَلَائِكَة المُتفق عَلَىٰ قبول الخَبر بهما، فَأَمَّا من لم تثبت الأخبار بتعيينه ولا وقع الإجماع عَلَىٰ كَونه من الْمَلَائِكَة أو الْأَنْبِيَاء كهاروت وماروت".

هٰذَا السِّيَاق يُفيد لأنه قَالَ: **"ثبتوا بالْقُرْآن أو السُّنَّة أو الإجماع"**، ثُمَّ ذَكَرَ عِزرائيل ومعلوم أَن عِزرائيل لم يثبت بالْقُرْآن ولا بالسُّنَّة لم يَبق إِلَّا الإجماع، فقد يُقَال وَهٰذَا يحتاج إِلَىٰ تأمل ولكن له وجه قوي: أَن عِزرائيل ثابتٌ بِالْإِجْمَاعِ.

وإذا أردت أَن تنفي عليك بسلف، إذا رأيت الاسم يتتابع أهل الْعِلْم عَلَيْهِ وَهُوَ عِزرائيل يذكره كثيرٌ من أهل الْعِلْم، ثُمَّ فِيمَا بعد رأيت بعض أهل الْعِلْم ينفونه هَؤُلَاءِ الَّذِينَ رأيتهم فِيمَا بعد ينفون عليهم أَن يأتوا بسلف، لِأَنَّ الَّذِينَ سبقوهم يُثبتون فأتوا بسلف ممن نَفى.

فليس نفي ما جاء في كُتُب أهل الْعِلْم شَيْئًا سهلًا، فالآن هٰذَا الْكَلَام للقاضي عياض يُفيد هٰذَا، عمومًا ملك الْمَوْت ثابتٌ بالْقُرْآن أَمَّا التسمية فَهِيَ الَّتِي قَدْ يُفيدها الإجماع، وَهُنَا غَير ملك الْمَوْت غَير عِزرائيل سنتعرض الآن إليه.

قَالَ: **"ومنهم ملك الجبال المُوكل بها"**، والحَدِيْث معروف في ملك الجبال وأن جِبرائيل قَالَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قول قومك لك وما ردوا عليك، ولقد بعث إليك مَلك الجِبال لتأمره بِمَا شِئت**».

قَالَ: **"ومنهم مَالِكٌ خازن النَّار"**، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قَالَ: **"ومنهم الْمَلَائِكَةُ مُوكلون بالأجنة في الأَرحام"**، «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطفة ...**»، الحَدِيْث المعروف.

قَالَ: **"وآخرون مُوكلون بحفظ بني آدم"**، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ﴾ [الرعد: ١١]، أي للّعَبْد ملائكة يتعاقبون عَلَيْهِ حرس بِاللَّيْلِ وحرس بِالنَّهَار عَلَىٰ وجه في تفسير هٰذِه الآية.

ثُمَّ قَالَ: **"وآخرون مُوكلون بكتابة أعمالهم"**، والآية: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وهم الملَكان عَنْ اليمين وعن الشِمال يكتبون ما يَقُولُ بنو آدم وما يفعلون، وفيهما تفصيل ولن أتعرض لبيان التفصيل.

قَالَ: **"وآخرون مُوكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إِلَىٰ مَثواه"**، لم يُسمهم الشَّيْخ مُنكرًا ونكيرًا لِمَاذَا؟ لأنه لم تثبت عنده التسمية هٰذَا فِيمَا يظهر، والتسمية جاءت في حديث اختلف فيه أهل الْعِلْم.

ثبت الحَدِيْث أو لم يثبت التسمية ثابتة، الآن لاحظوا عِزرائيل لم تَرِد التسمية، المَلكان هذان لم تَرِد التسمية، في حديثٍ اتُّفِق عَلَىٰ صِحته فيها تسمية في حديث اختلف فيه أهل الْعِلْم؛ لكن الإجماع موجود.

حَتَّىٰ قَالَ أحدهم للإِمَام أحمد: يا أبى عبد الله تُقِر بِمُنكر ونَكير وما يُروى في عذاب القبر؟ فَقَالَ: **"سُبْحَانَ اللَّهِ نعم نُقِر بذلك ونقول"**، يَقُول له السَّائِل لاحظوا سؤال السَّائِل سؤالٌ دقيق: قُلْت هٰذِه اللَّفْظة تَقُول: مُنكر ونكير هكذا أو تَقُول: ملكين؟ قَالَ: **"مُنكر ونكير"**، قُلْت: لَيْسَ فيه حديثٌ مُنكر ونكير.

يَقُول له وفيما أذكر أَن السَّائِل أبو عُبيد القاسم بْنَ سلام، قَالَ: **"هُوَ هكذا يَعْنِي أنهما مُنكر ونكير"**، ما قَالَ له: هُنَاكْ حديث قَالَ: هُوَ هكذا ظاهر العِبارة وإن لم يثبت الحَدِيْث، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ هٰذَا الْعِلْم يُؤخذ بِالتَّلَقِّي ينقله العُلَمَاء.

فنقل العُلَمَاء لمثل هٰذِه الْأَسْمَاء نقلٌ مُعتبر لَيْسَ لك أَن تُخالف إِلَّا أَن تجد سَلَفًا، ثم قَدْ نقل ابْن بطة عَلَىٰ اتفاق العُلَمَاء عَلَىٰ ما في كِتَابه من مَسَائِل الاعتقاد، هُوَ ابْن بطة له **(الإبانة**

الصُغرى) وَقَدْ ذَكَرَ فيها الْإِيمَان بمُنكر ونكير، ونقل في بداية كِتَابه الإجماع عَلَىٰ كُل ما في كِتَابه.

قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: **"فهذان المَلَكان يسألان الميت في قبره"**، وَهٰذَا معلوم.

قَالَ الشَّيْخ: **"ومنهم الْمَلَائِكَةُ المُوكلون بأهل الجَنَّة"**، لِمَاذَا لم يذكر اسم خازن الجَنَّة رِضوان؟ هٰذَا معروف أو غَير معروف؟ معروف أَن رِضوان خازن الجَنَّة ومالك خازن النَّار لِمَاذَا لم يذكر رِضوان ما رأيكم؟ لأنه لم يثبت عنده.

فَهٰذَا الموضوع يتكرر معكم في أكثر من مَسْأَلَة في الاعتقاد، لا تجد فيها دليلًا خاصًا ويكون الاعتماد فيها عَلَىٰ الإجماع، إذا ثبت الإجماع الَّذِي ذكره القاضي عِياض فالقاضي عِياض قَدْ ذَكَرَ أَيْضًا رِضوان، فيمن سَمى قرأت لكم قبل قليل سمى رِضوان أَيْضًا إذا ثبت فالتسمية مُثبتة.

ممن أثبت التسمية ابْن القيم قَالَ ابْن القيم: **"قَدْ سَمى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كبير هٰذِه الخَزنة رِضوان، وَهُوَ اسمٌ مُشتقٌ من الرِضى"**.

وَأَيْضًا أثبتها ابْن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إِلَّا أَن ابْن كثير يرى صِحة بعض الأَحَادِيْث الَّذِي وَرد فيها، فرِضوان مثل مُنكر ونكير ورد في بعض الأَحَادِيْث الَّتِي اختلف فيها أهل الْعِلْم.

قَالَ: وقد أخبر النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أن البيت المعمور في السماء يدخله وفي رواية: يُصلي فيه كُل يومٍ سبعون ألف مَلَك، ثُمَّ لا يعودون إليه آخر ما عليهم**»، البيت المعمور هُوَ البيت الَّذِي فوق السماء السَّابِعة المعمور مَدى الأوقات بالْمَلَائِكَة الكِرام.

(المَتن)

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: فَصل: وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ أنزل عَلَىٰ رُسُله كُتبًا، حُجّةً عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ومَحجةً للعامِلين، يُعلمونهم بها الْحِكْمَة ويُزكونهم.

وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ أنزل مع كُل رَسُولٍ كِتَابًا، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ونَعلم مِن هٰذِه الْكُتُب: التَّوْرَاةِ: الَّتِي أنزلها الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ موسى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهِيَ أعظم كُتب بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

الْإِنْجِيل: الذي أنزله الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِيسَى صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَهُوَ مُصدِقٌ لِلتَّوْرَاة ومُتمِمٌ لها: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦]، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

الزَّبُور الَّذِي آتاه الله تَعَالَىٰ داود صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

صُحف إِبْرَاهِيم وموسى عَلَيْهِما الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الْقُرْآن العَظيم: الَّذِي أنزله الله عَلَىٰ نبيه مُحَمَّد خاتم النبيين: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فكان: ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، فنسخ الله به جميع الْكُتُب السابقة، وتكفل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المُحرّفين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، لأنه سيبقى حُجّة عَلَىٰ الخَلق أَجْمَعِيْنَ إِلَىٰ يوم القيامة.

أَمَّا الْكُتُب السابقة فإنها مُؤقتةٌ بأمدٍ ينتهي بنزول ما ينسخها، ويُبين ما حصل فيها من تحريفٍ وتغيير، ولهذا لم تكن مَعصومة منه، فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦].

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١].

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ

يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٨، ٧٩].

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥] إِلَىٰ قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

(الشرح)

تَكَلَّمَ الشَّيْخ حول الْإِيمَان بالله والْإِيمَان بالْمَلَائِكَة، والآن الحَدِيْث حول الْإِيمَان بالْكُتُب، وَهٰذَا موضوعٌ عَظيمٌ طويل وسأذكر بعض الأصول المُهم ثُمَّ أُعلِق عَلَىٰ ما ذَكَرَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أذكر هٰذَا بإيجاز.

الْإِيمَان بالْكُتُب أحد أركان الْإِيمَان، والشَّيْخُ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قَرر بأن كُل رسولٍ قَدْ آتاه الله عَزَّوَجَلَّ كِتَابًا، فَقَالَ: **"وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ أنزل مع كُل رَسُولٍ كِتَابًا"**، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وَأَيْضًا مِمَّا يدل عَلَىٰ هٰذَا: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ٢١٣].

هُنَا مَسَائِل:

الْمَسْأَلَة الأُوْلَىٰ: قَالَ ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"لفظ التَّوْرَاةِ والْإِنْجِيل والزَّبُور والْقُرْآن يُراد بِهِ الْكُتُب المُعينة تارة ويُراد بِهِ الجِنسُ تارة"**، هٰذِه قاعدة.

قَالَ ابْن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ قاعدة مُهمة يا شَيْخ: **"لفظ التَّوْرَاةِ والْإِنْجِيل والزَّبُور والْقُرْآن يُراد بِهِ الْكُتُب المُعينة تارة ويُراد بِهِ الجِنسُ تارةً أخرى"**.

فيُعبر بلفظ الْقُرْآن عَنْ الزَّبُور وبلفظ التَّوْرَاةِ عَنْ الْإِنْجِيل وعن الْقُرْآن أَيْضًا، فالتَّوْرَاة هٰذَا اللَّفْظ يُطلق ويُراد بِهِ الْكِتَاب المُعين الَّذِي أُنزِل عَلَىٰ موسى، والْإِنْجِيل يُطلق ويُراد بِهِ

الْكِتَاب المُعين الَّذِي أُنزل عَلَىٰ عِيسَى، والْقُرْآن يُطلق ويُراد بِهِ الْكِتَاب المُعين الَّذِي أُنزل عَلَىٰ مُحَمَّد، ويُطلق بعضها عَلَىٰ بعض باعتبار إرادة الجِنس.

ومن هُنَا جاء إطلاق الْقُرْآن عَلَىٰ الزَّبُور في حديثٍ صَحِيْح، فَقَال النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خُفِّفَ عَلَىَّ داود الْقُرْآن»، الَّذِي الله عَزَّوَجَلَّ آتى داود الزَّبُور النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «خُفِّفَ عَلَىَّ داود الْقُرْآن فكان ما بين أَن يُسرِج دابته إِلَىَّ أَن يركبها يقرأ الْقُرْآن»، أي الزَّبُور.

إِذًا هٰذِه الألفاظ هٰذِه الْأَسْمَاء تُطلق ويُراد بها الْكِتَاب المُعين، ويُطلق بعضها عَلَىٰ بعض من باب إرادة الجنس، قَالَ ابْن القيم: **"فَإِن لفظ التَّوْرَاةِ والْإِنْجِيل والزَّبُور والْقُرْآن يُراد بِهِ الْكُتُب المُعينة تارة ويُراد بِهِ الجِنسُ تارةً أخرى"**، لذلكُم جاء في أوصاف هٰذِه الأُمَّة في الْكُتُب السابقة: «**أناجيلهم في صدورهم**»، من باب إطلاق الْإِنْجِيل عَلَىٰ الْقُرْآن، هٰذَا الأصل الْأَوَّل.

القاعدة الثَّانِية: **"هٰذِه الْكُتُب سِوى الْقُرْآن كُلها أُنزلت جُملةً واحدة"**، فالْإِنْجِيل لم يُنزَل مُفرقًا كالْقُرْآن، والتَّوْرَاة لم يُنزَل مُفرقًا كالْقُرْآن، والزَّبُور لم يُنزَل مُفرقًا كالْقُرْآن، هٰذِه الْكُتُب كُلها أُنزلت جُملةً واحدة والْقُرْآن لها تنزلان:

تَنزِلٌ مُجمل.

وَتَنزِلٌ مُفصل.

الدليل: قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢].

الَّذِينَ كفروا يَقُولون: لِمَاذَا لم يُنزّل عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كما كانت الْكُتُب تُنزَل جُمْلَةً وَاحِدَةً؟ فالله عَزَّوَجَلَّ يَقُول: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢]، فتنزيله مُنجمًا لتثبيت فُؤاد النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والْقُرْآن أُنزِل جُمْلَةً وَاحِدَةً لكن لم يُنزَل عَلَىٰ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جُمْلَة؛ وَإِنَّمَا أُنزِل إِلَىٰ البيت المَعمور في السماء إِلَىٰ بيت العِزة في السماء الدُّنْيَا، وَهٰذَا موضوع سَنُفصِل فيه بِإِذْنِ اللهِ في موضعٍ آخر هٰذِه الثَّانِية.

لِمَاذَا جَمع الله عَزَّوَجَلَّ للنبي التنزلين؟ يَقُول ابْن كثيرة: **"وَقَدْ جمع اللهُ تَعَالَىٰ لِلْقُرْآن الصِّفَتين معًا، ففي الملأ الأعلى أُنزِل جُمْلَةً من اللوح المحفوظ إِلَىٰ بيت العِزة في سماء الدُّنْيَا، ثُمَّ نزل بعد ذَلِكَ إِلَىٰ الْأَرْض مُنجمًا بحسب الوقائع والحوادث"**، لِمَاذَا جَمع؟ ليشترك مع الْأَنْبِيَاء فِيمَا أتاهم الله، وليزيد الله عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِ فضلًا من عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هٰذَا الأصل الْثَّانِي.

القاعدة الْثَّالِثة: سأسألكم أنا سُؤالًا التَّوْرَاة من كلام الله أم لا وما الدليل؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: هٰذَا يدل عَلَىٰ أَنَّهُ كتبها.

الطالب: ...

الشَّيْخ: هٰذَا يَعْنِي لا يدل عَلَىٰ التَّوْرَاة، طيب: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ التَّوْرَاة اليهود حَرفوا التَّوْرَاة.

قبل هٰذَا رُبَمَا يُنازعك مُنازع في هٰذَا؛ لكن هِيَ الآية واضحة هٰذِه الْمَسْأَلَة مُهمة لِمَاذَا؟ لِأَنَّ بعض أهل الْعِلْم لما قَالَ آدم لموسى في المُحاجة قَالَ له: «**وخَط لك التَّوْرَاة بيده**»، بعض أهل الْعِلْم تردد في كَون التَّوْرَاةِ من كلام الله من المُعاصرين.

لذلك أنا أُركز عَلَىٰ هٰذِه النُقطة بعض المُعاصرين تَردد في كون التَّوْرَاةِ من كلام الله، وَهٰذَا التَّرَدُّد ما يَنْبَغِي لِأَنَّ الْمَسْأَلَة إجماعية، ضَبط الإجماعات يا أَيُّهَا المُكرمون لاسيما في باب الاعتقاد مُهم.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"وَمَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا مِنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانِ، وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ كَالْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ، مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَهُوَ الَّذِي يُوَافِقُ الْأَدِلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ الصَّرِيحَةَ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، فَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْقُرْآنِ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِ"**، هٰذِه العِبارة ظاهرها يُفيد الإجماع.

ومن الْقُرْآن دل قوله تَعَالَىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥]، أنا ركزت عَلَىٰ موضوع التَّوْرَاةِ لِأَنَّ البعض استشكل لا إشكال في كون الله عَزَّوَجَلَّ خَط التَّوْرَاة بيده وأنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تَكَلَّمَ بالتَّوْرَاة، فالله عَزَّوَجَلَّ تَكَلَّمَ بها وخَطها بيده ثُمَّ كان مَاذَا؟ لا إشكال ولا تعارض؛ إِذًا كُل هٰذِه الْكُتُب الْمُنَزلة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، طيب هٰذِه الْمَسْأَلَة الثَّالِثة.

الْمَسْأَلَة الرَّابِعة: **"الْقُرْآن مُعجِزٌ اتفاقًا"**، وموضوع إعجاز الْقُرْآن موضوع طويل يحتاج إِلَىٰ بسط، هل الْكُتُب السابقة مُعجِزة؟ هل التَّوْرَاة كِتَابٌ مُعجِز؟ هل الْإِنْجِيل كِتَابٌ مُعجِز؟ لَيْسَ مُعجِزًا، لِمَاذَا؟ ما في تعارض بين التحريف هٰذِه أَهَمّ مَسْأَلَة أَن تفهمها وأن تفهمها أَنَّهُ لا تعارض بين التحريف والاعجاز.

التحريف يُنافي الحِفظ ما يُنافي الإعجاز فيكون مُعجِزًا ولكن يُحرَف لِأَنَّ الله لم يُرِد أَن يحفظه، فالتحريف يُنافي الحِفظ فليس لك أَن تَقُول: محفوظ ثُمَّ تَقُول: مُحرَف؛ لكن مُعجِز ويُحرَف.

الطالب: نعم مُعجِز يا شَيْخ من جِهَةِ أَنَّهُ كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

الشَّيْخ: أحسنت لكن نحتاج الآن عندما نَقُول لك: الْقُرْآن مُعجِز وَهُوَ كلام الله من أين جِهَةِ؟ من جِهَةِ لفظه من جِهَةِ معانيه, يَعْنِي التَّوْرَاة من جِهَةِ اللَّفْظ وَالْمَعْنَى، جميل عمومًا الْمَسْأَلَة مُهمة وعلينا أَن نعرفها.

شَيْخ الإِسْلَام يَقُول: **"أَمَّا من جِهَةِ الْمَعْنَى فَلَا شَكَّ أَن التَّوْرَاة مُعجِزة وأن الزَّبُور مُعجِز وأن الْإِنْجِيل مُعجِز"**، مكن جِهَةِ الْمَعْنَى يَقُول: لَا شَكَّ لِمَاذَا؟ لأنها تضمنت أصدق الأخبار وأعدل الْأَحْكَام إذ هٰذَا كلام الله وفيها شرعه، فالتَّوْرَاةِ شرع الله والْإِنْجِيل شرع الله، ثُمَّ نسخ الله عَزَّوَجَلَّ ما نسخ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فَهِيَ تضمنت أخبارًا صادقة وأحكامًا عادلة.

يَقُول: **"أَمَّا من جِهَةِ اللَّفْظ فَيُسأل عَنْ أهل تِلْكُم اللُّغَة"**، لاحظوا قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فَإِذا قُدِر أَن التَّوْرَاةَ أو الْإِنْجِيل أو الزَّبُور مُعْجِزٌ لما فيه من العلوم والإخبار عَنْ الغيوب والأمر وَالنَّهْي ونحو ذَلِكَ لم يُنازع في ذَلِكَ"**، يَعْنِي هٰذَا محل لا يَنْبَغِي أَن تُوجد فيه الْمُنازعة.

قَالَ: "بل هٰذَا دليلٌ عَلَىٰ نبوتهم صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِم وعَلَىٰ نبوة من أخبروا بنبوته، ومن قَالَ: إنها لَيْسَت بمُعجزة فَإِن أراد لَيْسَت مُعجزة من جِهَةِ اللَّفْظِ والنَظم كالْقُرْآن فَهٰذَا مُمكن، وَهٰذَا يرجع إِلَىٰ أهل اللُّغَة العِبرانية".

"وَأَمَّا كَون التَّوْرَاةِ مُعجِزة من حَيْثُ المعاني لما فيها من الإخبار عَنْ الغيوب أو الأمر وَالنَّهْي فَهٰذَا لَا رَيْبَ فيه، وَمِمَّا يدل عَلَىٰ أَن كُتُب الْأَنْبِيَاء مُعجِزة أَن فيها الإخبار بنبوة محمدٍ ﷺ قبل أَن يُبعث بمُدةٍ طويلة، وَهٰذَا لا يُمكن عِلْمه بدون إعلام الله لهم وَهٰذَا بِخلاف من أخبر، فَهٰذِه الْكُتُب مُعجِزة لما فيها من أخبار الغَيب الَّذِي لا يعلمه إِلَّا نبي، وكذلك فيها من الأمر وَالنَّهْي والوعد والوعيد ما لا يأتي بِهِ إِلَّا نبي".

إِذَا الخُلاصة: الْقُرْآن مُعجِز من حَيْثُ لفظه وَمَعْنَاه، وفي وجوه إعجاز الْقُرْآن كلامٌ طويل، أَمَّا سائر الْكُتُب فَهِيَ مُعجِزة بِلَا شَكَّ من جِهَةِ ما اشتملت عَلَيْهِ من أخبار صادقة وأوامر عادلة، وَأَمَّا لفظها فأمرٌ فيه يحتاجُ إِلَىٰ نظرٍ وتأمل، هٰذِه النُقطة الرَّابعة.

القاعدة الخَامِسة: لَا شَكَّ أَن الْقُرْآن غَير مُحرَف بِلَا شَكَّ الْقُرْآن غَير مُحرَف، اتفق عَلَىٰ هٰذَا أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة ودلت النُّصُوص عَلَىٰ هٰذَا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

هل التَّوْرَاةُ كِتَابٌ مُحرَف؟ هل الْإِنْجِيلُ كتابٌ مُحرَف؟ هل الزَّبُور كِتَابٌ مُحرَف؟ كأنكم خائفين يَعْنِي أنتم عَلَىٰ يقين بأنها غَير مُعجِز ظَهر أنها مُعجِز؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: نعم هُوَ البحث عَنْ هٰذَا، البحث لَيْسَت عَنْ التَّوْرَاةِ في عهد موسى ووقت موسى والْإِنْجِيل في وقت عِيسَى وَإِنَّمَا بعدهم؛ أَمَّا التَّوْرَاة فاختلف فيها أهل الْعِلْم عَلَىٰ ثلاثة أقوال:

القول الْأَوَّل: أَن التَّوْرَاة كُلها قَدْ حُرِفت تحريفًا لفظيًا، أَن التَّوْرَاة كُلها من أولها إِلَىٰ آخرها قَدْ حُرِفت تحريفًا لفظيًا، يَقُول ابْن القيم: "**ومن هُنَا غلا بعضهم فجَوّز الاستجمار بالتَّوْرَاة**"، لأنها كُلها عنده مُحرَفة.

القول الثَّاني: وَقَالَ بعضهم: التَّوْرَاة لم تُحرَف تحريفًا لفظيًا وَإِنَّمَا حُرِفت تحريفًا معنويًا، وَهٰذَا قول ابْن عَبَّاس وقول البُخَارِيّ: أَن التَّوْرَاة لم تُحرَف تحريفًا لفظيًا وَإِنَّمَا حُرِفت تحريفًا معنويًا.

ويستدلون بأدلة منها: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]، فيقولون: هٰذِه تدل عَلَىٰ أنها ما حُرِفت تحريفًا لفظيًا وَإِنَّمَا حُرِفت تحريفًا معنويًا.

وتوسط آخرون والقول المُتوسط هُوَ الَّذِي يختاره شَيْخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، يَقُول ابْن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ وَهٰذَا هُوَ قول شَيْخ الإِسْلَام: **"والحق أَنَّهُ دخلها تبديلٌ وتغيير وتصرفوا في بعض ألفاظها بالزيادة والنقص كما تصرفوا في معانيها، وَهٰذَا معلومٌ عند التَّأَمُّل ولبسطه مَوضِعٌ آخر"**.

قَالَ ابْن القيم: **"وتوسطت طائفةٌ ثالثة وَقَالُوا: قَدْ زِيد فيها وَغُيِّر ألفاظًا يسيرة؛ ولكن أكثرها باقٍ عَلَىٰ ما أنزل الله"**.

وممن اختار هٰذَا القول شيخنا في كِتَابه **(الجواب الصَّحِيْح لِمن بدل دين المَسيح)**، فشَيْخ الإِسْلَام يرى أَنَّهُ قَدْ زِيد فيها ألفاظ يسيرة؛ ولكن أكثرها باقٍ عَلَىٰ ما أنزل الله وأنهم حرفوها تحريفًا معنويًا كبيرًا.

يَقُول ابْن كثير وَهٰذِه نُقطة مُهمة في فهم هٰذِه الْمَسْأَلَة اضبطوها يَقُول: **"وَأَمَّا ما بأيديهم من التَّوْرَاةِ المُعرَبة فلا يشك عاقل في تبديلها وتحريف كثيرٍ من ألفاظها، وتغيير القِصص والألفاظ والزيادات والنَقص والبين الواضح"**، إِذَا البحثُ لَيْسَ فِيمَا الأيدي من التَّوْرَاة المُعرَبة فَهٰذِه لَا شَكَّ في تحريفها الكبير لفظًا ومعنى.

ضبط هٰذَا أَيُّهَا المُكرمون مُهم جِدًّا حَتَّىٰ إن قَالَ لك قائل: أَنا لا أقول بالتحريف اللفظي وَإِنَّمَا أقول بالتحريف المَعنوي وأخذ بقول ابْن عَبَّاس وقول البُخَارِيّ فقد قَالَ بقول قَالَ بِهِ السَّلَف.

فَالْمَسْأَلَة هٰذِه مَسْأَلَةٌ فيها خِلاف وتحتاج إِلَىٰ مزيد بسط لكن أنا يَعْنِي رأيت أَن لا أترك الإشارة عَلَىٰ الأقل؛ أَمَّا الْإِنْجِيل فتحريفه ظاهر لفظًا ومعنى، إِذَا الخِلاف الَّذِي وُجِد بين

أهل الْعِلْم في التَّوْرَاة، وهكذا الزَّبُور حُرِف لفظًا ومعنى كما يُفيده كلام ابْن كثير وكلام شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

هٰذِه المُهمات الَّتِي تتعلق بهذا الموضوع، وسائر كلام الشَّيْخ كلام واضح، يبقى مَسْأَلَتان يَعْنِي سأُعلِق عَلَىٰ كلام الشَّيْخ عَلَىٰ مَسْأَلَتين تعليقًا مُوجزًا لأننا لم يَبق شيء عَلَىٰ الوقت.

قَالَ: **"التَّوْرَاةِ: الَّتِي أنزلها الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ موسى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ أعظم كُتب بَنِي إِسْرَائِيلَ"**، أعظم كِتَابين الْقُرْآن والتَّوْرَاة هُنَا أمر جميل أَن تُلاحظه في الْقُرْآن ولاحظه ابْن كثير وقبله شَيْخ الإِسْلَام، ولاحظه ابْن القيم، ولاحظه ابْن كثير، ولاحظه السِعدي ، ولاحظه ابْن عُثيمين وَهِيَ: **"الأمور الَّتِي يكثر الْقَرْن بينها بالْقُرْآن"**، وَهٰذَا أمر مُهم جِدًّا.

يَقُول: تجد ابْن كثير يَقُول في تفسيره في مواضع: **"وَكَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين مُوسى ومُحَمَّد"**، يَقُول: **"وَكَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين التَّوْرَاة والْإِنْجِيل"**.

يَقُول ابْن تَيْمِيَّة: **"وَكَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين الشِّرْك والكَذِب، وبين الصِّدْق والتَّوْحِيد"**، **"وَكَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين التسبيح والتَحميد"**.

فينظرون إِلَىٰ هٰذِه المُقترنات ثُمَّ يأخذون المَعْنَى لِمَاذَا يقرن الله بينهما؟ يأخذون الْحِكْمَة، هٰذَا يُظهر لك بلاغة الْقُرْآن، ويُظهر لك إحكام الْقُرْآن، ولاحظوا هٰذَا كَثِيْرًا ما يقرن الله مَثَلًا بين الشِّرْك والكَذب لِأَنَّ الشِّرْك مَبنيٌ عَلَىٰ الكَذب.

كَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين موسى ومحمد لأنهما صاحبا أعظم رِسالتين، كَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين التَّوْرَاةِ والْقُرْآن لأنهما أعظم كِتَابين، كَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين التسبيح والتَحميد لِأَنَّ التَحميد فيه إثبات صِفَات الكَمال والتسبيح فيه التنزيه عَنْ صِفَات النقص.

لاحظ هُنَا مَاذَا يَقُول ابْن كثير؟ يَقُول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وَكَثِيْرًا ما يَقْرِن الله بين التَّوْرَاةِ والْقُرْآن"**، كما في قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١]، إِلَىٰ أَن قَالَ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وَقَالَ في آخر السورة: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، إِلَىٰ أَن قَالَ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقالت الجِنّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: ٣٠]، إِلَىٰ آخر ما قَالَ ثُمَّ قَالَ: **"وَقَدْ عُلِم بالضرورة لذوي الألباب أَن الله لم يُنزِل كِتَابًا من السماء فِيمَا أنزل من الْكُتُب الْمُتعددة عَلَىٰ أنبيائه أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الْكِتَاب الَّذِي أُنزِل عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الْقُرْآن، وبعده في الشرف والعَظمة الْكِتَاب الَّذِي أنزله عَلَىٰ موسى ابْن عِمران وَهُوَ التَّوْرَاةِ"**، طيب إِذًا هما أعظم كِتَابين ولذلكُم يُكثر الله عَزَّوَجَلَّ من الْقَرْن بينهما.

آخر مَسْأَلَة أَيُّهَا المُكرمون وبها نَختم وَهِيَ: هل صُحف موسى هِيَ التَّوْرَاة؟ في هٰذَا خِلاف ولذلكُم الشَّيْخ لما تردد في هٰذَا جعل التَّوْرَاة مِمَّا أنزِل عَلَىٰ موسى وَذَكَرَ أَيْضًا صُحف موسى.

(المتن)

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أشرف الْأَنْبِيَاء والْمُرْسَلِين نَبِيِّنَا مُحَمَّد وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، اللَّهُمَّ اغفر لشيخنا ومشايخه وجميع الْمُسْلِمِين.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: فَصْلٌ: وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ بَعث إِلَىٰ خَلقه رُسُلًا: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

وَنُؤمِن بأن أولهم نوح، وآخرهم مُحَمَّد صلى الله عليهم وسلم أَجْمَعِيْنَ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأن أفضلهم مُحَمَّد، ثُمَّ إِبْرَاهِيم، ثُمَّ موسى، ثُمَّ نوح، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَهُم الْمُخصَوصُون في قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ [الأحزاب: ٧].

ونعتقد أن شريعة مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاوِيةٌ لفضائل شرائع هَؤُلَاءِ الرُّسُل الْمَخصوصين بالفضل، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَنُؤمِن بأن جميع الرُّسُل بَشرٌ مخلوقون لَيْسَ لهم من خصائص الربوبية شيء، قَالَ الله تَعَالَىٰ عن نوح وَهُوَ أولهم: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وأمر الله تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا وهو آخرهم أن يَقُول: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وأن يَقُول: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأن يَقُول: ﴿إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢].

وَنُؤمِن بأنهم عَبيدٌ من عِباد الله، أكرمهم الله تَعَالَىٰ بالرسالة ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سِيَاق الثناء عليهم، فَقَالَ في أولهم نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وَقَالَ في آخرهم مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

وَقَالَ في رسل آخرين: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

وَقَالَ في عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الفاتحة: ٥٩].

وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ ختم الرِّسَالَات بِرِسالة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأرسله إِلَىٰ جميع الناس، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَنُؤمِن بأن شريعته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هِيَ دين الْإِسْلَام الَّذِي ارتضاه الله تَعَالَىٰ لعِباده، وأن الله تَعَالَىٰ لا يقبل من أحدٍ دينًا سواه، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [الفاتحة: ١٩].

وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

ونرى أن من زَعم اليوم دينًا قائمًا مقبولًا عند الله سِوىَ دين الْإِسْلَام من دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما فهو كافر، ثُمَّ إن كان أصله مُسْلِمًا يستتاب فإن تاب وَإِلَّا قُتِل مُرتدًا، لأنه مُكذِبٌ للْقُرْآن.

ونرى أن من كفر برسالة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ الناس جميعًا فقد كفر بجميع الرُّسُل، حَتَّىٰ برسوله الَّذِي يَزعم أنه مُؤمِنٌ به مُتبعٌ له، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم مُكذبين لجميع الرُّسُل مع أنه لم يسبق نوحًا رسول.

وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وَنُؤمِن بِأَنَّهُ لا نبي بعد مُحَمَّد رَسُولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومن ادعى النبوة بعده أو صدّق من ادّعاها فهو كافر، لأنه مُكذِبٌ للْكِتَاب وَالسُّنَّة وإجماع الْمُسْلِمِين.

وَنُؤمِن بأن للنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خُلفاء راشدين خَلفوه في أمته عِلْمًا ودعوةً وولاية عَلَىٰ الْمُؤْمِنِيْنَ، وبأن أفضلهم وأحقهم بالخلافة: أبو بكر الصديق، ثُمَّ عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمان بن عفان، ثُمَّ علي بن أبي طالب، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ.

وهكذا كانوا في الخِلافة قَدرًا كما كانوا في الفضيلة شرعًا، وما كان الله تَعَالَىٰ وله الْحِكْمَةُ البَالغةُ ليُولِّي عَلَىٰ خير القرون رَجُلًا وفيهم من هُوَ خيرٌ منه وأجدر بالخِلافة.

وَنُؤمِن بأن المَفضول من هَؤُلَاءِ قد يتميز بخصيصةٍ يفوق فيها من هُوَ أفضل منه، لكنه لا يستحق بها الفضل المُطلَق عَلَىٰ من فَضَله، لأن مُوجبات الفَضل كثيرةٌ مُتنوعة.

وَنُؤمِن بأن هذه الأُمَّة خير الأُمَمِ وأكرمها عَلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَنُؤمِن بأن خير هٰذِه الأُمَّة: الصَّحَابَةُ، ثُمَّ التابعون، ثُمَّ تابعوهم، وَبِأَنَّهُ: لا تزال طائفةٌ من هٰذِه الأُمَّة عَلَىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خَذلهم أو خَالفهم حَتَّىٰ يأتي أمر الله عَزَّوَجَلَّ.

ونعتقد أن ما جرى بين الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِن الْفِتْن فقد صَدرَ عن تأويلٍ اجتهدوا فيه، فمن كان منهم مُصيبًا كان له أجران، ومن كان منهم مُخطئًا فله أجرٌ واحدٌ، وخَطؤه مَغفورٌ له.

ونرى أنه يجب الكَفّ عن مساوئهم، فلا نذكرهم إِلَّا بما يستحقونه من الثناء الجميل، وأن نُطهِر قلوبنا من الغِّل والحقد عَلَىٰ أحدٍ منهم، لقوله تَعَالَىٰ فيهم: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

وقول الله تَعَالَىٰ فينا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

(الشرح)

أحسنت قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ بَعث إِلَىٰ خَلقه رُسُلًا"**، شرع الْمُصَنِّف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في بيان مُعتقد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في الرُّسُل، والْإِيمَانُ بهم رُكنٌ من أركان الْإِيمَان.

وسأتحدثُ بدايةً في بيان قوله: **"وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ بَعث إِلَىٰ خَلقه رُسُلًا"**، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] الآية سأتحدث في بيان هٰذَا في نِقاط:

النُقطة الأُوْلَىٰ: إرسال الرُّسُل من الإرسال الشرعي، وإرسال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نوعان:

إرسالٌ شرعي.

وإرسالٌ كَوني.

فالله عَزَّوَجَلَّ موصوفٌ بالإرسال وإرساله نوعان، وَقَدْ ذَكَرتُ لكم قَبلُ: أهمية معرفة الأوصاف الَّتِي تنقسم إِلَىٰ قسمين شرعي وكوني، أو إِلَىٰ عام وخاص، أو إِلَىٰ مُطلق ومُقيد.

وبين هٰذَا وَهُوَ أَن الإرسال نوعان ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في **(الفُرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)**، وابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كِتَاب **(شِفاء العَليل)**.

الإرسال الكَوني: هُوَ المُتعلِق بالمُرسلات الكَونية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، فَهٰذَا إرسالٌ كَوني مُتعلِقٌ بالأمور الكَونية.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [الفاتحة: ٨٣]، هٰذَا من الإرسال الكَوني.

أَمَّا إرسال الْأَنْبِيَاء وإرسال الرُّسُل والْأَنْبِيَاء مُرسلون؛ ولكن إرسال الْأَنْبِيَاء إرسالٌ بالمعنى العام لا بالمعنى الخاص وَهٰذَا سأذكره أَيْضًا، فالْأَنْبِيَاء مُرسلون، إرسال الْأَنْبِيَاء إرسال الرُّسُل هٰذَا إرسالٌ يتعلق بالمُرسلات الشَّرْعِيَّة فهو إرسالٌ شرعي.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح: ١].

هٰذَا الإرسال الشرعي إِذًا الإرسالُ الثابتُ لله عَزَّوَجَلَّ نوعان:

إرسالٌ كَوني مُتعلقٌ بالمُرسلات الكَونية.

وإرسالٌ شرعيٌ مُتعلقٌ بالمُرسلات الشرعيَّة.

هٰذِه النُقطة الأُوْلَى.

أقرأ لفظ ابْن تَيْمِيَّة قَالَ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَأَمَّا لَفْظُ الْإِرْسَالِ فَقَالَ فِي الْإِرْسَالِ الْكَوْنِيِّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [الفاتحة: ٨٣]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وَقَالَ فِي الدِّينِيِّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [المزمل: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

إِذًا هٰذَا كلام ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ من **(الفُرقان)**.

النُقطة الثَّانِيَة: في الرسول لُّغَةً، الرسول لُّغَةً أَيُّهَا المُكرمون فَعول بمعنى مفعول، ومن المُهم أَن تعرفوا شَيْئًا هٰذَا مُهم: ضبط المُعتقد عَلَىٰ وجه التخصص والفَهم الدقيق لا يكون بغير نحوٍ وصَرفٍ وبلاغة، لا يكون بغير ضبط لِلُّغَة.

نعم تستطيع أَن تفهم ما يجب عليك أَن تعرفه وأن تدين الله عَزَّوَجَلَّ بِهِ؛ ولكن الضبطُ الَّذِي يطلبه ويرجوه طالب الْعِلْم الَّذِي يُريد التحقيق والفَهم الدقيق لا يكون بغير نحو وصَرف وبلاغة، ولا يكون من غَير توسع في هٰذِه الفنون.

وَهٰذَا التوسع يُدرَك مع الزَمن لا يُدرك دفعةً واحدة؛ وَإِنَّمَا يُدرك بالاجتهاد المُتواصل، فأنا لَنْ أُكثِر في التعرض لهذا حَتَّىٰ لا أُنفر، لِأَنَّ البعض رُبَمَا يجد صعوبة فأنا لَنْ أُكثر حَتَّىٰ لا

أُنفر، وَأَمَّا الفهم الدقيق لمثل هٰذَا الَّذِي سأتطرق إليه مُهم جِدًّا، وتتبين بِهِ المعاني ويُدرك بِهِ القول الصَّحِيْح من الأقوال الَّتِي اختلف فيها أهل الْعِلْم.

فالآن رَسُول فعول بمعنى مفعول أي مُرسَل، فالرسول في اللُّغَة بمعنى الْمُرْسَل، فرسول الله هُوَ الَّذِي أرسله الله.

طيب الرسول شرعًا اختلف أهل الْعِلْم في هٰذَا اختلافًا مشهورًا، وَالَّذِي سأذكره هُوَ تأصيلُ ابْن تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كِتَاب **(النبوات)**، وأحسب أَنَّهُ تأصيلٌ نفيسٌ جِدًّا مَبنيٌّ عَلَىٰ فهمٍ ونظرٍ دقيق في نصوص الْقُرْآن وَالسُّنَّة.

إِذًا النُقطة الثَّالِثَة: الرسولُ شرعًا، الرسولُ شرعًا هُوَ من أرسله الله عَزَّوَجَلَّ لقومٍ كافرين يدعوهم لتوحيد الله والتزام شرعه، الرسولُ شرعًا من أرسله الله لقومٍ كافرين يدعوهم لتوحيد الله والتزام شرعه، وَلَا بُدَّ أَن يُخالَف الرُّسُل.

الرُّسُل لَا بُدَّ أَن يُخالِفهم بعض من أُرسِلوا إليهم، الرسول لَا بُدَّ أَن يُخالَف: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢﴾ [الذاريات: ٥٢]؛ إِذًا ضابط الرسول هُوَ الَّذِي يُرسَل إِلَىٰ قومٍ كافرين، يدعوهم إِلَىٰ التَّوْحِيد والتزام الشرع، وَلَا بُدَّ أَن يُخالَف الرُّسُل.

النُقطة الرَّابِعَة: لَيْسَ من شرط الرسول أَن يأتي بشريعةٍ جديدة، وَهٰذَا من التنبيهات الدقيقة الَّتِي نَبه إِلَيْهَا ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ما الدليل؟ يَقُول ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رَسُول بدليل قول الله حِكاية عَنْ مُؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤].

إِذًا يُوسف رَسُول ولما هَلك قَالُوا: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر: ٣٤]، يُوسف رسول كان يحكم بشريعةٍ جديدة أم يحكم بشريعة جَده وأبيه؟ بشريعة جَده إِبْرَاهِيم، إِذًا لَيْسَ من شرط الرسول أَن يأتي بشريعةٍ جديدة.

وأنا أحرص عَلَىٰ التنبيه عَلَىٰ هٰذَا لِأَنَّ البعض يجعل الرسول الَّذِي جاء بشرعٍ جديد، بخِلاف النَّبِيّ لا يأتي بشرعٍ جديد، نَقُول: نعم الرسول يأتي بشرعٍ جديد وَقَدْ لا يأتي بشرعٍ جديد؛ أَمَّا النَّبِيّ فلا يأتي بشريعة جديدة نَقُول: نعم؛ ولكن لَيْسَ من شرط الرسول لَيْسَ هُوَ هٰذَا الضابط المُفرِق لأنه لَيْسَ من شرط الرسول أَن يأتي بشريعةٍ جديدة.

وابن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ مَثل أَيْضًا بسُليمان وداود فَقَالَ: إن سُليمان وداود رسولان ولم يحكما بشريعةٍ جديدة وَإِنَّمَا كانا يحكمان بالتَّوْرَاة.

النُقطة الخَامِسة: النَّبِيُ لُغَةً، النَّبِيّ فَعيل وفَعيل أَيُّهَا المُكرمون هٰذِه الصِّيغَة هٰذِه البِنية لهٰذِه الْكَلِمَة تأتي بمعنى فاعل وبمعنى مفعول، فمن هُنَا قَالَ بعضهم: نبي بمعنى مُنبأ لِأَنَّ الله يُنبِئهُ، وبعضهم قَالَ: نبي بمعنى مُنبئ لأنه يُنبئ غيره بِمَا أخبره الله عَزَّوَجَلَّ وَعَلمه اللهُ عَزَّوَجَلَّ إياه.

ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُرجِح أَن النَّبِيّ بمعنى مُنبأ يَقُول: لأنه نبيٌ بمُجرِد تنبيئ اللهِ إياه، سواءٌ أنبأ غيره أو لم يُنبِئ غيره؛ إِذًا الأحسن أَن يُقَال: إن النَّبِيّ فَعيل بمعنى فاعل، فَالنَّبِي فَعيل بمعنى فاعل أي مُنبئ.

النُقطة السَّادِسة: النَّبِيُّ مُرسل ولكن لا يُسمى رسولًا عند الإطلاق، الدليل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، فَهٰذَا فيه أَن النَّبِيّ مُرْسَل وأن الرسول مُرْسَل؛ ولكن الرسول عند الإطلاق هُوَ الَّذِي أُرسِل إِلَىٰ قومٍ مُخالفين، فلا يُسمى النَّبِيُّ رسولًا بهذا الْمَعْنَى.

قَالَ ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، **"دليلٌ عَلَىٰ أَن النَّبِيّ مُرْسَل ولا يُسمى رسولًا عند الإطلاق، لأنه لم يُرسل إِلَىٰ قومٍ بِمَا لا يعرفونه بل كان يأمر المُؤْمِنِيْنَ بِمَا يعرفونه أَنَّهُ حَق كالعالم"**، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**».

النُقطة السَّابِعة: النَّبِيُّ اصطلاحًا هُوَ الَّذِي يُنبئه الله فيُنبِئ بِمَا أنبأه الله بِهِ، ولم يُرسل لقومٍ كافرين، هُوَ الَّذِي يُنبئه الله فيُنبِئ بِمَا أنبأه الله بِهِ، ولم يُرسل إِلَىٰ قومٍ كافرين.

النُقطة الثَّامِنة: الفَرق بين النَّبِي والرسول، الرسول يُرسل إِلَىٰ قومٍ مُخالفين، بخِلاف النَّبِيّ فَإِنَّهُ كالعالِم في هٰذِه الأُمَّة؛ ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ».

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"لأنه لم يُرسل إِلَىٰ قومٍ بِمَا لا يعرفونه بل كان يأمر الْمُؤْمِنِيْنَ"**، يأمر الْمُؤْمِنِيْنَ لا يأمر الْمُخالفين وَإِنَّمَا يأمر الْمُؤْمِنِيْنَ لأنه لم يُرسل إِلَىٰ قومٍ مُخالفين، كأنبياء بَنِي إِسْرَائِيلَ هُم في بَنِي إِسْرَائِيلَ وبَنو إِسْرَائِيلَ مُؤْمِنُون مُلتزمون بالشرع ولكنهم يأمرونهم بِمَا هم يعرفونه ويذكرونهم بِأَحْكَامِ الله عَزَّوَجَلَّ كحال العالِم في هٰذِه الأُمَّة.

قَالَ: **"لأنه لم يُرسل إِلَىٰ قومٍ بِمَا لا يعرفونه بل كان يأمر الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا يعرفونه أَنَّهُ حَق كالعالِم"**، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ».

إِذًا الرسول يُرسل لقومٍ مُخالفين يأمرهم بالتزام الشَّرِيعَة، وَأَمَّا النَّبِيّ فهو كالعالِم من هٰذِه الأُمَّة.

لاحظوا أَيْضًا هٰذَا الْكَلَام المُهم وأنا أتعمد أقرأ كلام شَيْخ الإِسْلَام لأهميته، قَالَ: **"فَأُولَئِكَ الْأَنْبِيَاء يأتيهم وحيٌ من الله بما يفعلونه ويأمرون به الْمُؤْمِنِيْنَ الَّذِينَ عِندهم؛ لكونهم مُؤْمِنِيْنَ بهم؛ كما يكون أهل الشَّرِيعَة الواحدة يقبلون ما يُبلِّغه الْعُلَمَاء عن الرسول، وَكَذَلِكَ أنبياء بَنِي إِسْرَائِيلَ يأمرون بشريعة التَّوْرَاةِ، وَقَدْ يُوحى إِلَىٰ أحدهم وَحيٌ خَاص في قِصَّةٍ مُعينة، ولكن كانوا في شرع التَّوْرَاة كَالعالِمِ الَّذِي يُفهِمه الله في قضيةٍ مَعنًى يُطابق الْقُرْآن كما فَهم اللهُ سُليمان حُكم القضية الَّتِي حَكم فيها هُوَ وداود"**، إِلَىٰ آخر ما قَالَ.

هٰذَا الفَرق اَلْأَوَّل: أَن الرسول يُرسل إِلَىٰ قوم مُخالفين، النَّبِيّ كالعَالِم من هٰذِه الأُمَّة.

الفَرق الثَّانِي: الرسول قَدْ يأتي بشريعة جديد قَدْ، واضح هُوَ الفَرق اَلْأَوَّل هُوَ الفَرق المُميز ولكن هٰذَا أَيْضًا وصفٌ يحسن ضبطه، وَهُوَ أَن الرسول قَدْ يأتي بشريعة جديدة ولكن هل من شرطه أَن يأتي بشريعة جديدة؟ لَيْسَ من شرطه أَن يأتي بشريعة جديدة.

أَمَّا النَّبِيّ فلا يأتي أصلًا بشريعةٍ جديدة، فلا نَقُول في النَّبِيّ: رُبَمَا يأتي بشريعةٍ جديدة؟ لا، النَّبِيّ ما يأتي بشريعةٍ جديدة، أَمَّا الرسول فله يَعْنِي الرسول مُمكن أَن يأتي بشريعة

جديدة؛ ولكنه قَدْ يأتي بها وَقَدْ لا يأتي بها، قَدْ يُرسلِه بشريعةٍ جديدة وَقَدْ لا يُرسلِه بشريعة جديدة.

طيب وَأَيْضًا كلام شَيْخ الإِسْلَام موجود في هٰذَا، إِذًا هٰذِه نِقاط تتعلق بالجُملة الَّتِي ذكرتها.

ثُمَّ قَالَ الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"وَنُؤمِن بأن أولهم نوح، وآخرهم مُحَمَّد صلى الله عليهم وسلم أَجْمَعِيْنَ"**، ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، إِذًا الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقرِرُ أَن أَوَّل الرُّسُل نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وَهٰذَا يُقرِرهُ عَددٌ من أهل الْعِلْم فابن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ يَقُول: **"وَقَدْ ثبت في (الصَّحِيْح) أَنَّهُ أَوَّل رَسُولٍ بُعِث إِلَىٰ أهل الْأَرْض، وَقَدْ كان قبله أنبياء؛ كشيث، وإدريس عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، وقبلهما آدم كان نبيًّا مُكَلَّماً"**.

إِذًا أَوَّل رَسُولٍ يُرسل إِلَىٰ الْأَرْض نُوح، ولاحظوا نُوح أُرسِل إِلَىٰ قومٍ كافرين، بِخِلاف آدم ومن ذَكَرَ شَيْخ الإِسْلَام، إِذًا هٰذَا هُوَ الضابط الْمُفرِق.

طيب أَيُّهَا الْمُكرمون الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ استدل بقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، ووجه الدلالة: أَن الْمُراد هُنَا وحي الرِّسَالَة لا وحي النبوة، بدليل قوله تَعَالَىٰ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]، إِذًا وجه الدلالة أَن هٰذَا الوحي لَيْسَ وحي النبوة وَإِنَّمَا هُوَ وحي الرِّسَالَة، بدليل قوله تَعَالَىٰ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥].

قَالَ: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، طيب قبل أَن نُبين مُراده من هٰذِه الآية الثَّانِيَة نُبين أدلة أخرى عَلَىٰ أَن نُوحًا هُوَ أَوَّل الرُّسُل.

قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦]، فاللهُ عَزَّوَجَلَّ أَرْسَلْ نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَل الرُّسُل فِي ذُرِّيَّتِهِمَا، وَهٰذَا يُشعِر أَنَّهُ لم يكن رَسُولٌ قبل نُوح.

وفي الحَدِيْث: «يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ»، هٰذَا حديث الشَّفَاعَة الكُبرى عندما يأتون إِلَىٰ نُوح ويقولون له: «أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ»، هٰذَا يدل عَلَىٰ أَنَّهُ أَوَّل رَسُول.

لِمَاذَا جاء الشَّيْخ بقوله؟ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ليُبين أَن آخر الرُّسُل هُوَ مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، **"وَخَاتِمِ النَّبِيِّنَ"** قراءتان.

قَالَ السَمعاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"خَاتَمَ أي آخر النَّبِيِّين، وَأَمَّا بالكَسر أي خَتم بِهِ النَّبِيِّنَ"**.

إِذًا خَاتِم أي خَتم بِهِ النَّبِيِّنَ؛ وَأَمَّا خَاتَمَ أي آخر النَّبِيِّين.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وأن أفضلهم مُحَمَّد، ثُمَّ إِبْرَاهِيم، ثُمَّ موسى، ثُمَّ نوح، وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ"**، الشَّيْخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شرع في بيان التفاضل بين الرُّسُل وَهٰذَا المَبحث مَبحثٌ قُرْآني مَبحثٌ دلت عَلَيْهِ السُّنَّة، فالْقُرْآن جاء فيه بحث التفاضل بين الرُّسُل، السُّنَّة جاء فيها بحث التفاضل بين الرُّسُل.

فَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

طيب إِذًا هٰذَا أَوَّل ما نُقرره في هٰذِه الْمَسْأَلَة وَهُوَ أَن بحث التفاضل بحثٌ موجودٌ في الْقُرْآن موجودٌ في السُّنَّة، وَهُوَ بَحثٌ سَلّفي العُلَمَاء تكلموا فيه قديمًا.

مُحَمَّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أفضل الرُّسُل اتفاقًا، وإِبْرَاهِيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ يليه اتفاقًا، وموسى يليهما كما ذهب إِلَىٰ ذَلِكُم جمهور أهل الْعِلْم، ثُمَّ نُوح وعيسى خِلافٌ معروف والشيخ من دِقته قَالَ: **"أفضلهم مُحَمَّد، ثُمَّ إِبْرَاهِيم"**، وَثُمَّ تُفيد الترتيب، ثُمَّ موسى وَثُمَّ تُفيد الترتيب.

قَالَ: **"ثُمَّ نُوح وعيسى"**، ما قَالَ: ثُمَّ نُوح ثُمَّ عِيسَى وَإِنَّمَا قَالَ: ثُمَّ نُوح وعيسى ليُبين لك أَن الأمر يحتملُ أَن يكون عِيسَى يلي موسى، ويحتمل أَن يكون نُوح يلي موسى، وَقَدْ بين

هٰذَا في شرحه، فبين أَنَّهُ إِنَّمَا جاء هُنَا بالعطَف بالواو لأنه لم يظهر له الدليل المُرجِح لأيِهما أفضل عِيسَى أم نُوح؟

الإجماعات أَيُّهَا المُكرمون انتبهوا للإجماعات، الإجماع حُجَّة في الْمَسَائِل العَقدية وَالْمَسَائِل العَملية، والإجماع كَثِيْرًا ما يكون هُوَ الَّذِي يحسم لك الْمَسْأَلَة، فابن كثير نقل الاتفاق عَلَىٰ أَن الأفضل مُحَمَّد ثُمَّ إِبْرَاهِيم، إِذًا من الَّذِي نقل الاتفاق؟ ابْن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

قَالَ ابْن كثير في **(التَّفْسِير)**، وعندما أنقل كلامًا لابن كثير فخذوا منه لفظ لفظتين واذهبوا واستعينوا بالشاملة أو بغيرها حَتَّىٰ تُخرجوا الموضع، لِأَنَّ ضبط مثل هٰذِه الأمور مُهِمٌ جِدًّا، مُهِم جِدًّا أَن ترجع وتعرف الموضع ثُمَّ تضبط كلام ابْن كثير بنقله إِلَىٰ موضعٍ تحفظ فيه هٰذِه المعلومات.

قَالَ ابن كثير: **"وَلَا خِلَافَ أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ"**، هٰذَا الإجماع اَلْأَوَّل: أَنَّ الرُّسُلَ أَفْضَلُ مِنْ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، **"وأن أُولي العَزم منهم أفضلهم"**، هٰذَا الإجماع الْثَّانِي: أَن أفضلهم الْخَمْسَة: **"مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإِبْرَاهِيم، ومُوسى، وعيسى، ونُوح"** هم الأفضل.

قَالَ: **"وأن أُولي العَزم منهم أفضلهم، وَهُمُ الْخَمْسَةُ الْمَذْكُورُونَ نَصًّا فِي آيَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ"**، تتمة كلامه قَالَ: **"وَلَا خِلَافَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُهُمْ، ثُمَّ بَعْدَهُ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَى عَلَىٰ المشهور"**، إِذًا من أفضل الرُّسُل؟ مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ إِبْرَاهِيم، ثُمَّ مُوسى عَلَىٰ المشهور.

وأنت عند قراءتك للتَّفْسِير وعند غيره حاول دائمًا أَن تستخلص الفوائد المُتعلقة بالفنون المُتنوعة، هَكَذَا يُضبط الْعِلْم يَعْنِي لا يكن اعتمادك في تحصيل هٰذِه المعلومات عَلَىٰ الْكُتُب المُصنفة في هٰذِه الأبواب فَقَطْ، لأنهم رُبَمَا يُفوتون شَيْئًا كَثِيْرًا فتجد هٰذَا الشيء الكثير في شروح الْقُرْآن في التَّفْسِير، تجد هٰذَا في شروح الأَحَادِيْث، تجد الكثير من الْمَسَائِل العَقدية الَّتِي لم تُبين في الْكُتُب المُختصة بالأبواب المُتنوعة.

وبفضل الله قَدْ وقفت عَلَىٰ كثيرٍ منها، وأكثر ما في هٰذَا الشرح هُوَ من هٰذَا النوع، يكون من التحصيل في كُتب التَّفْسِير وفي غيرها، فمَثَلًا هٰذَا عندما وجدته فرحتُ بِهِ جِدًّا، هٰذَا الإجماع عند ابْن كثير.

وَهُنَاكْ إجماع سأنقله لكم أَيْضًا مَسْأَلَة اعتاد أهل الْعِلْم؛ لكن سأُقدِم الحَدِيْث حولها الآن: عند المُفاضلة بين الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ يَقُول: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فقدم الْمُهَاجِرِينَ فيدل عَلَىٰ أنهم أفضل.

هٰذَا دليل نعم ولكن لَيْسَ كدليل الإجماع، لِأَنَّ موضوع كون المُقدَم أَهَمّ هٰذَا قَدْ تُنازع فيه في الْقُرْآن وفي غَير الْقُرْآن، نعم القاعدة الَّتِي ذكرها السِعدي في تفسيره أَن الْقُرْآن يُقدِم الأَهَمّ، وَهٰذَا الَّذِي دل عَلَيْهِ قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نبدأ بِمَا بدأ اللهُ به: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]».

نعم ولكن هٰذَا لَيْسَ شَيْئًا مُطرِدًا رُبَمَا تُنازع فيه في مواضع، فلما وجدت ابْن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في التَّفْسِير ينص عَلَىٰ الإجماع عَلَىٰ أَن الْمُهَاجِرِين أفضل من الْأَنْصَار، صار عندك في الْمَسْأَلَة إجماع هٰذَا يُقوي الْحُجَّة.

هٰذَا الإجماع عندما تنظر في الْكُتُب المُختصة في الصَّحَابَة وارجع وفَتِش أنا عني ما وجدت أحدهم يُشير إليه، فعندما تأخذه من عالِم مُحقِق إِذًا احرص في قراءتك للتَّفْسِير في قراءتك لشروح السُّنَّة في قراءتك أَن تُفهرِس الفوائد المُتعلِقة بالفنون المُتنوعة.

طيب أَيُّهَا المُكرمون الآن ذكرنا الإجماع عَلَىٰ هٰذَا التفاضل، وَبَيَّنَّا لِمَاذَا الشَّيْخ عَطف عِيسَى عَلَىٰ نُوح أو نُوح عَلَىٰ عِيسَى بالواو؟ لأنه لم يَر دليلًا مُرجِحًا، الآن نذكر شَيْئًا من الْأَدِلَّة التفصيلية في بيان هٰذَا التفاضل.

فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أدلة تفضيله قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]، هٰذَا يدل عَلَىٰ أَنَّهُ أفضل الْأَنْبِيَاء إِذًا أخذ الله عَزَّوَجَلَّ هٰذَا الميثاق عَلَىٰ الْأَنْبِيَاء أنهم يُؤمنون بِهِ وينصرونه.

منها أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمّ الْأَنْبِيَاء في حادثة الإسراء وَالْمِعْرَاج، وَقَدْ اختلف أهل الْعِلْم وَهٰذَا من باب الاستطراد مَتَىٰ أَمّهم؟ هل أَمّهم عِند إسراءه عندما وصل إِلَىٰ بيت المقدس أَمّهم وجدهم فأَمّهم، أو أَمّهم عند نزوله من المِعْرَاج.

وَالَّذِي يُرجِحه ابْن كثير أَنَّهُ أَمّهم عند نزوله، هٰذَا الَّذِي أذكره فمَسْأَلَة خِلافية أحببت أَن أُشير إِلَيْهَا لِأَنَّ المعروف المشهور أنهم أَمّهم عندما وصل إِلَىٰ بيت المَقدِس، فأحببت أَن أُبين أَن الْمَسْأَلَة فيها خِلاف.

من الْأَدِلَّة أَيْضًا: أَنَّهُ سيد ولد آدم.

من الْأَدِلَّة أَيْضًا: أَنَّهُ يُؤتى المقام المحمود، ويُؤتى الشَّفَاعَة العُظمى الَّتِي يُغبط بسببها من كُل الخلق حَتَّىٰ من إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

طيب ثُمَّ إِبْرَاهِيم ما الدليل عَلَىٰ أَنَّهُ بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ أَنَّهُ أَوَّل الرُّسُل كما ذكرنا، وأنه خليلُ الله فالخليلان مُحَمَّدٌ وإِبْرَاهِيم، والخُلّة أعلى درجات المَحبة.

من الْأَدِلَّة أَيْضًا: قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سأقوم مقامًا يرغب إِلَيَّ الخلق كُلهم حَتَّىٰ إِبْرَاهِيم**»، عندما قَالَ حَتَّىٰ إِبْرَاهِيم دل عَلَىٰ أَنَّهُ أفضل الخلق، فيقول: حَتَّىٰ إِبْرَاهِيم سيرغب أَن هٰذَا المقام مقامه.

هٰذَا من الْأَدِلَّة أَيْضًا: الَّتِي ذكرها ابْن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في **(التَّفْسِير)** فَقَالَ: "**فمَدح إِبْرَاهِيم أباهُ مِدْحَةً عظيمةً في هٰذَا السِّيَاق، ودل كلامه عَلَىٰ أَنَّهُ الخلائق بعده عند الخلاق في هٰذِه الدُّنْيَا ويوم يُكشَف عَنْ ساق**".

وَمِمَّا يدل أَيْضًا عَلَىٰ تفضيل إِبْرَاهِيم بعد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أننا نَقُول: "**اللَّهُمَّ صَلِ عَلَىٰ مُحَمَّد وعَلَىٰ آل مُحَمَّد، كما صليت عَلَىٰ إِبْرَاهِيم وعَلَىٰ آل إِبْرَاهِيم**"، وَهٰذِه فيها نُكتة ولكن إذا تحدثنا حولها سنأخذ وقتًا.

وَأَيْضًا: قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم: ٣٧].

ثُمَّ مُوسى لأنه كَليم الله خَصه الله عَزَّوَجَلَّ بكونه كليم الله، ثُمَّ مُوسى قَدْ أُوتي الشَّرِيعَة العظيمة فأعظم شريعتين: شريعةُ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وشريعة مُوسى، وأعظم كِتَابين: الْقُرْآن والتَوراة.

وَقَدْ ذكرت لكم في الدَّرْس اَلْأَوَّل أو الْثَّانِي: أَن من المُهم أَن تنتبه لما يأتي مقرونًا بغيره في الْقُرْآن، وذكرت لكم أَن ابْن تَيْمِيَّة وابن كثير نص عَلَىٰ أَن الله عَزَّوَجَلَّ يقرن كَثِيْرًا بين مُوسى ومُحَمَّد وبين التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل، لِأَنَّ مُوسى ومُحَمَّد صاحبا أعظم شريعتين، ولأن التَّوْرَاة وَالْإِنْجِيل أعظم كِتَابين.

يَقُول الشَّيْخ ابْن عُثيمين -رَحِمَهُٱللَّهُ: **"ثُمَّ نُوح وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ"**، يَقُول: ذَكَرَ الرَّابِع وَالخَامِس بالواو الشَّيْخ ابْن عُثيمين يَقُول: ذَكَرَ أي الماتن وَهُوَ الماتن: **"لأنه لم يكن هُنَاكْ دليلٌ واضحٌ عَلَىٰ أَن عِيسَى أفضل من نُوح أو نُوح أفضل من عِيسَى"**، إِلَىٰ آخر ما قَالَ -رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

طيب الموضوع هٰذَا يحتاج إِلَىٰ المَزيد، ولكن أنا سأُشير إِلَىٰ مَسْأَلَة أَن لَنْ يَعْنِي أُطيل في الْمَسَائِل، الآن بحثنا التفاضل كيف نبحث التفاضل وَالنَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**لا تُفضلوا بين الأَنْبِيَاء**».

هٰذَا الحَدِيْث أخذ أهل الْعِلْم يُوجهونه لِأَنَّ التفاضل جاء في الْقُرْآن وجاء في السُّنَّة ما يدل عَلَيْهِ فكيف هٰذَا؟ يَقُول ابْن كثير -رَحِمَهُٱللَّهُ: **"التَّفْضِيل المَنهي عنه هُوَ التَّفْضِيل الناشئ عَنْ العَصبية لا عَنْ النظر في الفضائل"**، واضح هٰذَا أجود ما قِيلَ واللهُ أَعْلَم.

طيب إِذًا كيف نُوجه بين هٰذَا وَهٰذَا؟ أَن نَقُول: الَّذِي نُهي عنه هُوَ التفاضل الَّذِي يُنظر فيه إِلَىٰ مُجرد التَّعَصُّب، فَهٰذَا يتعصب لمُحَمَّد لكونه عربيًا، وَهٰذَا يتعصب لموسى لكونه يهوديًا وهكذا؛ أَمَّا التَّفْضِيل الَّذِي يرجع إِلَىٰ النظر في فضائل كُل نبي هٰذَا لم يُنهَ عنه هٰذَا واضح؟ طيب.

وبعض أهل الْعِلْم قَالَ: التَّفْضِيل الَّذِي نُهي عنه هُوَ التَّفْضِيل الَّذِي فيه انتقاص للمفضول، وَأَمَّا حِفظ قدر الجميع مع تَفْضِيل بعضهم عَلَىٰ بعض هٰذَا لم يُنهَ عنه.

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ونعتقد أن شريعة مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاويةٌ لفضائل شرائع هَؤُلَاءِ الرُّسُل المَخصوصين بالفضل"**، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

إِذًا الشَّيْخ هُنَا يُبين أَن شريعة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاوية لهذه الشرائع كُلها، والدليل واضح إذ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [الشورى: ١٣]، فشريعةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حاويةٌ لفضائل شرائع هَؤُلَاءِ.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن جميع الرُّسُل بَشرٌ مَخلوقون لَيْسَ لهم من خصائص الربوبية شيء"**، قَالَ الله تَعَالَىٰ عن نوح وَهُوَ أولهم: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

وأمر الله تَعَالَىٰ مُحَمَّدًا وهو آخرهم أن يَقُول: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وأن يَقُول: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأن يَقُول: ﴿إِنِّى لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَنْ يُجِيرَنِى مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١، ٢٢] هٰذَا وضح والآيات واضحة في أَن الرُّسُل لَيْسَ لهم من خصائص الربوبية شيء.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بأنهم عَبيدٌ من عِباد الله، أكرمهم الله تَعَالَىٰ بالرسالة ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سِيَاق الثناء عليهم"**، فَقَالَ في أولهم نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وَقَالَ في آخرهم مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

وَقَالَ في رسل آخرين: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾﴾ [ص: ٤٥].

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ [ص: ١٧].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص: ٣٠].

وَقَالَ في عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الفاتحة: ٥٩].

الْعَبْد أَيُّهَا المُكرمون عَلَىٰ زِنة فَعْل وفَعْل تأتي بمعنى عابد فاعل، وتأتي بمعنى مفعول أي مُعبد عفوًا، إِذًا فَعْل عَبد وفَعْل تأتي بمعنى فاعل عابد، وعبد بمعنى مفعول أي مُعبَد, وَقَدْ وردت هٰذِه البِنية مُستعملةً في هذين الْمَعْنَيين في النُّصُوص الشَّرْعِيَّة.

عَبد بمعنى مُعبَد هٰذَا الْمَعْنَى لا يتعلق بِهِ مَدح ولا ذَم، إذا الخلقُ كُلهم مُعبدَون تجري عليهم أحكام الله عَزَّوَجَلَّ الكَونية: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]، فكُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُعبدَون لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إِذًا عَبد بمعنى مُعبَد لا يتعلق بِهِ مَدح ولا ذَم، إذا الخلق كُلهم مُعبدَون، عبد بمعنى عابد هُوَ الَّذِي يتعلق بِهِ المَدح ويتعلق بالتقصير بِهِ الذَم.

وَهٰذَا التقرير بينه شَيْخ الإِسْلَام ابْن تَيْمِيَّة في مواضع من كُتبه، وسنقرأ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ **(العُبودية)** وَهٰذَا الْمَعْنَى وضحه شَيْخ الإِسْلَام في **(العُبودية)**، وبين وركزوا وانتبهوا أَن العُبودية نوعان:

عبودية الربوبية.

وعبودية الإلهية.

فعبودية الربوبية قَدْ تُوجد معها عبودية الإلهية وَقَدْ لا تُوجد، فيستحضرُ الإنسانُ كون الله عَزَّوَجَلَّ رَبًّا ويتوكل عَلَيْهِ ويستعين بِهِ؛ لكن رُبَمَا يُشرِك معه غيره.

أَمَّا عبودية الإلهية فَهِيَ العبودية المَمدوحة، وَهٰذَا سَيَأْتِي بسطه بِإِذْنِ اللهِ في كِتَاب **(العُبودية)**.

الآن عندما يَقُول: **"وَنُؤمِن بأنهم عَبيدٌ من عِباد الله"**، هل أراد عبودية الربوبية أم عبودية الألوهية؟ هل أراد عبد بمعنى عابد أم عبد بمعنى مُعبَد؟ اَلْأَوَّل لأنها هِيَ الَّتِي يتعلق بها المَدح.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بأنهم عَبيدٌ من عِباد الله، أكرمهم الله تَعَالَىٰ بالرسالة ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سِيَاق الثناء عليهم"**، إِلَىٰ آخر ما قَالَ وَهٰذَا بسطه سيكون بِإِذْنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في كِتَاب **(العُبودية)**.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن الله تَعَالَىٰ ختم الرِّسَالَات بِرِّسالة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ"**، هٰذَا سبق الحديث حَوله: **"وأرسله إِلَىٰ جميع الناس"**، هٰذِه يُركز عَلَيْها أهل الْعِلْم لِأَنَّ بعضهم زَعم بأن الشَّرِيعَة لا تتناول بعض خلق الله ممن وصوفهم بأوصاف، وَسَيَأْتِي بحث هٰذَا في كِتَاب **(العُبودية)**.

فهو عندن الآن واضح جِدًّا وأن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أُرسِل إِلَىٰ الناس كافة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: **"وَنُؤمِن بأن شريعته صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هِيَ دين الْإِسْلَام الَّذِي ارتضاه الله تَعَالَىٰ لعِباده، وأن الله تَعَالَىٰ لا يقبل من أحدٍ دينًا سواه"**، الإِسْلَام أَيُّهَا المُكرمون -كَمَا تَعْلَمُونَ- بِإِذْنِ اللهِ أَنَّهُ نوعان:

إسلامٌ عام.

وإسلامٌ خاص.

فالإِسْلَامُ العام: هُوَ الاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ، فأهل التَّوْرَاة استسلموا لله عَزَّوَجَلَّ، وأهل الْإِنْجِيل استسلموا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَأَمَّا الإِسْلَامُ الخاص: فهُوَ الاستسلام لله عَزَّوَجَلَّ بالتعبد بشريعة مُحَمَّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

يَقُول ابْن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: **"والإِسْلَامُ العامُ هُوَ دين الله الَّذِي كان عَلَيْهِ جميع الرُّسُل"**، كما قَالَ نُوح: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨].

أنا الإِسْلَام الخاص فهو الوارد في هٰذِه الآية: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [الفاتحة: ١٩].

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

قَالَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ونرى أن من زَعم اليوم دينًا قائمًا مقبولًا عند الله سِوىَ دين الْإِسْلَام من دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما فهو كافر يُستتاب فإن تاب وَإِلَّا قُتِل مُرتدًا، لأنه مُكذِبٌ بالقُرْآن"**.

إِذًا الَّذِي يزعم أَن دين اليهودية أو النصرانية دينٌ مقبول مُرتَد لِمَاذَا؟ لأنه مُكذِبٌ بالقُرْآن، إذ الْقُرْآنُ بين أَن اليهودية والنصرانية غَير مقبولين بعد بِعثة مُحَمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالله عَزَّوَجَلَّ قَالَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [التوبة: ٣٠]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُكذبهم ويُبين كفرهم فمن أَن زَعم ديانتهم صَحِيْحة بعد بِعثة مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو كافرٌ مُرتَدٌ لأنه مُكذِبٌ بالقُرْآن.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام وَهٰذَا النقل نقل مُهم قَالَ: **"من اعتقد أَن الكنائس بيوت الله وأن الله يُعبد فيها، وأن ما يفعله اليهود والنصارى عِبَادَة وطاعة له ولرسوله، أو أَنَّهُ يُحب ذَلِكَ ويرضاه، أو أعانهم عَلَىٰ فتحها وإقامة دينهم وأن ذَلِكَ قُربى أو طاعة فهو كافر"**.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلفاء راشدين"**، الآن انتقل الشَّيْخ الحَدِيْث حول مُعتقد أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة في الصَّحَب الكِرام: **"فبين أَن للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلفاء راشدين خَلفوه في أمته عِلْمًا ودعوةً وولايةً عَلَىٰ المُؤْمِنِيْنَ، وبأن أفضلهم وأحقهم بالخلافة:**

أبو بكر الصديق، ثُمَّ عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمان بن عفان، ثُمَّ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ".

"وهكذا كانوا في الخِلافة قدرًا كما كانوا في الفضيلة، وما كان الله تَعَالَىٰ وله الْحِكْمَةُ البَالغةُ ليُولِّي عَلَىٰ خير القرون رَجُلًا وفيهم من هُوَ خيرٌ منه وأجدر بالخِلافة".

إِذًا أفضل الخُلفاء: "أبو بكر الصديق، ثُمَّ عُمَر بْنَ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثمان بن عفان، ثُمَّ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ".

وَهُنَا مَسْأَلَتان ثِنتان عليك أَن تُفرق بينهما:

مَسْأَلَة الخِلافة.

وَمَسْأَلَة التفضيل.

فَهٰذِه لها بحث وَهٰذِه لها بحث، فالخِلافة بالاتفاق أَن المُستحِق للخِلافة أولًا باتفاق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة: "أبو بكر، ثُمَّ عُمَر، ثُمَّ عُثمان، ثُمَّ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ".

هٰذَا موضوع الخِلافة أَمَّا التفضيل فاتفق الصَّحَابَة واتفق أهل السُّنَّة: عَلَىٰ أَن أفضل الصَّحَابَة أبو بكر، ثُمَّ عُمَر، ثُمَّ اختلفوا، فمنهم من فضل عليًا ومنهم من فضل عُثمان.

لكن يَقُول ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "واستقر قول أهل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة عَلَىٰ تفضيل عُثمان عَلَىٰ علي؛ ولكن بين أَن مَسْأَلَة التفضيل بين عُثمان وعلي ض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لَيْسَت من الْمَسَائِل الَّتِي يُبدَع فيها بخِلاف مَسْأَلَة الخِلافة".

فمن قَالَ: بأن عليًا يستحقُ الخِلاف قبل عُثمان فقد أزرى بالمُهاجرين والأنصار، وكما قَالَ ابْن تَيْمِيَّة: "فهو أضل من حِمار أهله"، إِذًا نُفرق بين هاتين المسألتين من هٰذِه الجِهَةِ.

الآن سأذكر شَيْئًا من فضائل أبي بكر، ثُمَّ أذكر شَيْئًا من فضائل عُمَر، ثُمَّ أذكر شَيْئًا من فضائل عُثمان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، ثُمَّ أذكر شَيْئًا من فضائل علي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وأذكر اتفاق الصَّحَابَة، وأذكر كلام شَيْخ الإِسْلَام -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ-.

من فضائل أبي بكر قوله تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]، فَهٰذَا فضلٌ كبير لأبي

بكرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن وَفَّقَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بأن يكون مُصاحبًا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أعظمِ هِجرةٍ في التاريخ، ثُمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ينص عَلَىٰ أَن أبى بكر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحبٌ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن فضائل أبي بكر قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾﴾ [الليل: ١٧، ١٨].

يَقُول ابْن كثير: **"قَدْ ذَكَرَ غَير واحدٍ من المُفسرين أَن هٰذِه الآيات نزلت في أبي بكرٍ الصديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَتَّىٰ إن بعضهم حَكى الإجماع من المُفسرين عَلَىٰ ذَلِكَ"**.

وَهٰذِه منزلةٌ عظيمة بأن الله عَزَّوَجَلَّ يُخبر بأن أبى بكر الصِديق الْأَتْقَى، هٰذَا وصفٌ عظيم من الْرَّبّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأبي بكرٍ الصِديق -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَنْ أُطيل في هٰذَا إذ فضائله مشهورة معروفة ولكثرة فضائله قَالَ ابْن القيم: **"أفضلُ الخلق بعد الْأَنْبِيَاء والْمُرْسَلِين وأفضل من الْمَلَائِكَة عند أهل السُّنَّة"**، وَهٰذَا نقلٌ نفيس فعند أَهْل السُّنَّةِ أبو بكرٍ الصِديق أفضل الخلق بعد الرُّسُل وَالْأَنْبِيَاء وأفضلُ من الْمَلَائِكَة.

وَمَسْأَلَة التفاضل بين الْمَلَائِكَة وصالح البشر مَسْأَلَة معروفة، ونقلوا فيها الاتفاق عَلَىٰ أَن صالح البشر أفضل من الْمَلَائِكَة نقله البغوي وغيره: **"عَلَىٰ أَن صالح البشر أفضل من الْمَلَائِكَة"**.

فضائل عُمَر بْنَ الْخَطَّاب: كثيرةٌ جِدًّا وأكتفي بالحَدِيْث المعروف الَّذِي ذكره عمرو بْنَ العاص، وأنه جاء إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: من أحب الناس إليك؟ فَقَالَ: «عَائِشَة»، قَالَ من الرِّجَال؟ قَالَ: «أبوها»، قَالَ: ثُمَّ مَن؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَر».

من هُنَا قَالَ علي بْنَ أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"خير هٰذِه الأُمَّة بعد نبيها أبو بكر ثُمَّ عُمَر"** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا علي بْنَ أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **"خير هٰذِه الأُمَّة بعد نبيها أبو بكر وعُمَر"**، لكثرة فضائل أبي بكر وكثرة فضائل عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قَالَ النووي: **"اتفق أهل السُّنَّة عَلَىٰ أَن أفضلهم أبو بكر ثُمَّ عُمَر"**، هٰذِه الاتفاقات.

قَالَ شَيْخ الإِسْلَام: **"وَقَدْ اتفق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ ما تواتر عَنْ أمير الْمُؤْمِنِيْنَ علي بْنَ أبي طالب أَنَّهُ قَالَ: خير هٰذِه الأُمَّة بعد نبيها أبو بكر ثُمَّ عُمَر"**.

أَمَّا عُثمان ففضائلهُ كثيرةٌ جِدًّا: ومن أشهرها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**»، ويُريد بهذا عُثمان.

يَقُول ابْن عُمَر وَهذَا من الأثار المُهمة الَّتِي تُبين أَن الصَّحَابَة كانوا يبدئون بأبي بكر ثُمَّ بعُمَر ثُمَّ بعُثمان، يَقُول ابْن عُمَر: "**كُنا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نعدل بأبي بكرٍ أحدًا، ثُمَّ عُمَر، ثُمَّ عُثمان، ثُمَّ نترك أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نُفاضل بينهما**".

طيب فضائل علي بْن أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فضائل كثيرة ومن أشهرها: أَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ ورسولَه ويُحِبُّه اللهُ ورسولُه يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يديه**»، فأعطى الراية لعلي بْنَ أبي طالب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ ذكرت لكم كلام ابْن تَيْمِيَّة -رَحِمَهُ اللَّهُ والتفريق بين مَسْأَلَة الخِلافة والتفاضل.

قَالَ: "**وَنُؤمِن بأن المَفضول من هَؤُلَاءِ قد يتميز بخصيصةٍ يفوق فيها من هُوَ أفضل منه، لكنه لا يستحق بها الفضل المُطلَق عَلَىٰ من فَضَله، لأن مُوجبات الفَضل كثيرةٌ مُتنوعة**".

هذِه القاعدة قاعدة مُهمة أَيُّهَا المُكرمون، وأنه قَدْ تُوجد في المفصول فضيلة لا تُوجد في الفاضل، أو لا يُوجد قدرها في الفاضل، ورغم هذَا لا يُفضل المفضول عَلَىٰ الفاضل، فعُثمان بْنَ عفان قُلْنَا: بأن أبى بكرٍ الصِديق أفضل منه، وَقُلْنَا: بأن عُمَر أفضل منه.

عُثمان بْنَ عفان -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاء فيه: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**»، هل هذَا الوصف جاء في أبي بكر؟ لم يَرِد في أبي بكر، هل جاء في عُمَر؟ لم يَرِد في عُمَر وَإِنَّمَا جاء في عُثمان، لو أَن أحدهم جاء وَقَالَ: عُمان أفضل من أبي بكرٍ وعمر، لِأَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ في حقه: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ المَلَائِكَةُ**»؟

نَقُول له: أخطأت لِأَنَّ التفاضل يُنظر فيه إِلَىٰ مجموع الفضائل ولا يُنظر فيه إِلَىٰ فضيلةٍ مُعينة، فنعم عُثمان جاءت فيه هذِه الفضيلة وَهِيَ لم تَرِد في أبي بكر وعُمَر لكن مجموع فضائل أبي بكر وعُمَر أعظم من مجموع فضائل عُثمان.

وَهٰذَا أمر مُستعمل عندنا فنجد عالمًا من الْعُلَمَاء وإذا سُئِلنا نسأل من؟ نَقُول: سَلوه إِنَّه العالم الَّذِي يُصدَر عَنْ قوله، فَإِن قَالَ لنا أحدهم: هل هُوَ أفضل أم الشَّيْخ/ فُلَان في النحو؟ نَقُول: لا الشَّيْخ/ فُلَان أفضل في النحو، يَقُول: إِذًا هُوَ أفضل منه؟ نَقُول: لا، لَيْسَ بأفضل لِأَنَّ كون هٰذَا أُوتي فضيلة مُعينة لا يَعْنِي التفضيل المُطلق، إذ التفضيل المُطلق يُنظر فيه إِلَىٰ مجموع الفضائل.

لِمَاذَا جاء الشَّيْخ بهذه القاعدة هُنَا؟ حَتَّىٰ يُبين لك هٰذَا وأن بعض الصَّحَابَة قَدْ خُص بفضائل، وتخصيصه ببعض الفضائل الَّتِي لم تحصل لمن هُوَ أعلى منه شأنًا لا يَعْنِي تفضيله عَلَىٰ من هُوَ أعلى منه شأنًا.

طيب يَقُول: **"وَنُؤمِن بأن هذه الأُمَّة خير الأُمَمِ وأكرمها عَلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ"**، لقوله تَعَالَىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

هٰذَا واضح وَالنَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُول: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، الْآخِرُونَ أي آخر الأُمَم ولكنها تسبق الأُمَم لأنها أفضلُ الأُمَم.

قَالَ: **"وَنُؤمِن بأن خير هٰذِه الأُمَّة: الصَّحَابَةُ، ثُمَّ التابعون، ثُمَّ تابعوهم"**، الصَّحَابَةُ خيرٌ من التابعين هل هٰذَا يَعْنِي أَن كُل صحابي خيرٌ من كُل تابعي بعينه؟ فكُل صحابي تَقُول: كُل صحابي خير من الحسن البصري، كُل صحابي يرد معك تَقُول: هُوَ خير من الحسن البصري، خير من الحسن البصري، خير من الحسن البصري.

كُل صحابي يمر معك تَقُول: هُوَ خيرٌ من سعيد بْنَ المُسيب، هُوَ خيرٌ من سعيد بْنَ المُسيب، هل التفاضل بيت تفضيل الصَّحَابَة عَلَىٰ التابعين يَعْنِي أَن كُل صحابي أفضل من كُل تابعي أم هُوَ تفضيلٌ من حَيْثُ الجُملة؟ فيُقَال: الصَّحَابَة من حَيْثُ العموم أفضل من التابعين؛ ولكن رُبَمَا يُوجد في التابعين من هُوَ أفضل من الصَّحَابَة.

الإِمَام أحمد في **(أصول السُّنَّة)** ذَكَرَ هٰذِه الْمَسْأَلَة في كِتَابه المشهور وبين أَن كُل صحابي أفضل من كُل تابعي، هٰذَا قول يذكره الإِمَام أحمد في كِتَاب **(أصول السُّنَّة)**: أَن كُل صحابي لِمَاذَا؟ لشرف الصُّحبة.

وَهٰذَا القول عَلَيْهِ أكثر الْمُتقدمين وَرُبَمَا يكون إجماعًا، لِأَنَّ البعض قَدْ حكاه إجماعًا؛ ولكن لشَيْخ الإِسْلَام في أَوَّل كِتَابه **(الفرقان بين الحق والباطل)** ما يُبين أَن الْمَسْأَلَة فيها خِلاف.

القول المشهور: أَن كُل صحابي خيرٌ من كُل تابعي، وَهٰذَا الَّذِي ذكره الإِمَام أحمد في **(أصول السُّنَّة)**.

ممن ذهب إِلَىٰ القول الآَخر ابْن عبد البر، وَهٰذَا مشهور عَنْ ابْن عبد البر فابن عبد البر يرى أَن في التابعين من قَدْ يكون خيرًا من بعض الصَّحَابَة، يكون خيرًا من بعض الصَّحَابَة لا أَن يكون خيرًا من أبي بكر وعُمَر وعُثمان وعلي.

هَؤُلَاءِ لا يدخلون في هٰذِه الْمُفاضلة الصَّحَابَة الكِبار المعروفون بالفضل لا يدخلون في هٰذِه الْمُفاضلة؛ إِلَّا أنهم يَقُولون: قَدْ يكون خيرًا من بعض الصَّحَابَة الَّذِينَ هم دون هَؤُلَاءِ بكثير.

إِذًا الْمَسْأَلَة بعض أهل الْعِلْم حكاها إجماعية ذكرها الإِمَام أحمد في **(أصول السُّنَّة)**، وبين أَن كُل صحابي خيرٌ من كُل تابعي لفضل الصُّحبة ابْن تَيْمِيَّة في **(الفُرقان بين الحق والباطل)** له كلام يُفيد أَن الْمَسْأَلَة فيها خِلاف، ممن ذهب إِلَىٰ القول الآَخر ابْن عبد البر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

أَمَّا الْمُفاضلة بين التابعين ومن بعدهم فَهِيَ عَلَىٰ سَبِيل الإجمال، فيأتي من بعد التابعين أو من هُوَ مُتأخر ويفوق التابعين، ودليلها: «**خيرُ الناسِ قَرْني، ثُمَّ الَّذِينَ يَلونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلونَهُم**».

طيب أَيُّهَا المُكرمون الآن أنا سأُفصل في مَسْأَلَة وَهِيَ: مراتب التفاضل في الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نحن قُلْنَا: سنأخذ مجلسًا واحدًا بِإِذْنِ اللهِ نختم بِهِ فنذكر التفصيل وَهٰذَا التفصيل اعتنى بِهِ أهل الْعِلْم وبينوه في المُعتقد فاضبطوه.

منازل التفاضل بين الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ذكرنا أنا أفضل الصَّحَابَة أبو بكرٍ اتفاقًا هٰذِه النُقطة الأُوْلَى، يَلِي أبى بكرٍ عُمَر اتفاقًا النُقطة الثَّانِيَة، يَلِي عُمَر عُثمان بالفضل اتفاقًا، يَلِي عُثمان علي بالفضل اتفاقًا، اتفاقًا أَن علي بْنَ طالب يَلِي عُثمان في الفضل، طيب هٰذِه أربع نقاط الآن.

النُقطة الخَامِسة: يَلِي الأربعة السِتة الَّذِين بهم تتم العشرة المُبشرَون بِالجَنَّةِ، وَأَيْضًا هُنَاكْ كلام لابن أبي العِّز الحَنفي يُفيد الاتفاق.

قَالَ ابْن أبي العِّز: **"وَقَدْ اتفق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ تعظيم هَؤُلَاءِ العَشرة وتقديمهم، لما اشْتُهِر من فضائلهم ومناقبهم"**، قُلْت لكم: اضبطوا الاتفاقات إذا قُلْت فلا تفوته.

فَهٰذِه الْمَسْأَلَة وجدتها مشهورة في كُتب المُعتقد، فقد ذَكَرَ غَيرُ واحدٍ من أهل الْعِلْم بعد الأربعة السِتة الَّذِينَ بهم تتم العَشرة, ولكن الاتفاق أمر مُهم جِدًّا ومُريح.

إِذًا قَالَ ابْن أبي العِّز في شرح **(الطحاوية)**: **"وَقَدْ اتفق أَهْل السُّنَّةِ وَالجَمَاعَة عَلَىٰ تعظيم هَؤُلَاءِ العَشرة وتقديمهم"**، هٰذَا يُفيد أنهم مُقدمون عَلَىٰ غيرهم مُقدمون بالفَضل: **"لما اشْتُهِر من فضائلهم ومناقبهم"**، ومن هم السِتة؟ **"سعيدُ بْنَ زيد، سعد بْنَ أبي وقاص، عبد الرحمن بْنَ عَوف، طلحة أبو عُبيدة عامر بْنَ الجَراح، الزُبير بْنَ العوام"**، هٰذِه الخَامِسة.

النُقطة السَّادِسة: ثُمَّ يُفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل عَلَىٰ من أنفق بعد الفتحِ وقاتل، إِذًا تَقُول: أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَر، ثُمَّ عُثمان، ثُمَّ علي، ثُمَّ السِتة الَّذِين بهم تتم العَشرة، ثُمَّ من أنفق من قبل الفتح وقاتل عَلَىٰ من أنفق من بعد الفتح وقاتل، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١٠].

طيب هٰذِه النُّقطة السَّادِسة أو هٰذِه المرتبة السَّادِسة، هٰذِه المرتبة السَّادِسة تحتها تفصيل واضح سنجعله في نقاط خاصة، المرتبة السَّادِسة الآن عندما نَقُول: مَنْ أَنْفَقَ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أفضل مِمَنْ انفق مِنْ بَعْدُ الفتح وقاتل.

طيب مَنْ أَنْفَقَ قَبْلِ الْفَتْحِ أَيْضًا مراتب المراتب هٰذِه لها ترتيب خاص، الآن نحن وصلنا إِلَىٰ النُّقطة السَّادِسة سأبدأ ترتيبًا خاصًا لمراتب التفاضل لِمَنْ أَنْفَقَ قَبْلِ الْفَتْحِ وقاتل:

أفضلهم الَّذِينَ شهدوا بدرًا للّحَدِيْث: «جاء جبريل إِلَىٰ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ فَقَالَ: خِيارُنا، فقَالَ جبريل: وكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ»، هٰذِه النُّقطة الأُوْلَى.

إِذًا أفضل الَّذِينَ أسلموا قَبْلِ الْفَتْحِ وقاتلوا هم أهلُ بَدْر، ثُمَّ أهل بيعة الرِضوان، ثُمَّ أهل أُحد، إِذًا أهل بدر ثُمَّ أهل بيعة الرِضوان ثُمَّ أهل أُحد، وَقَدْ حصل خِلافٌ مشهور بين أهل الْعِلْم في أهل أُحد وأهل بيعة الرِضوان، فمنهم من يُفضل أهل أُحد ومنهم من يُفضل أهل بيعة الرِضوان.

وممن فضل أهل بيعة الرِضوان السفاريني وابن عُثيمين، وَذَكَرَ دليلًا طيبًا وَهُوَ أَن الله عَزَّوَجَلَّ قَالَ في أهل بيعة الرِضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، هٰذَا الَّذِي قَالَه في أهل بيعة الرِضوان.

أَمَّا الَّذِي قَالَه في أهل أُحد: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، فالرضى أعلى منزلة من العفو.

ففي أهل أُحد يَقُول: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وفي أهل بيعة الرِضوان: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨].

أنتم فهمتم بدلالة السِّيَاق، دلالة السِّيَاق مُنجية، طيب إِذًا الخِلاف الَّذِي حصل في أهل بيعة الرِضوان وأهل أُحد.

فبين السفاريني وابن عُثيمين كِلاهما بين نفس الدليل، وأن الَّذِي جاء في أهل بيعة الرِضوان الرِضى، وَالَّذِي جاء في أهل أُحد العفو، والرِضى أعظم من العفو، عرفنا التفاضل هٰذِه مراتب التفاضل.

أختم بِمَسْأَلَة الْمَسْأَلَة هٰذِه تدخل في أكثر من قسم لذلك جعلتها مُنفردة: وَهِيَ أَن المُهاجرين أفضل من الأنصار، وسأُبين لكم كيف تدخل في أكثر من قسم، المُهاجرون أفضل من الأنصار بدليل أَن المُهاجرين جَمعوا بين الهِجرة والنُّصرة، أَمَّا الأنصار فلهم النُّصرة.

بدليل أَن الله قدمهم فَقَالَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، بدليل الاتفاق واضبطوا الاتفاق.

قَالَ ابْن كثير في **(التَّفْسِير)** قَالَ: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩]، قَالَ: **"أَيْ لَا يَحْسُدُونَهُمْ عَلَى فَضْل مَا أَعْطَاهُمْ اللَّه عَلَىٰ هِجْرَتهمْ؛ فَإِنَّ ظَاهِر الْآيَات تَقْدِيم الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَار، وَهَذَا أَمْر مُجْمَع عَلَيْهِ بَيْن الْعُلَمَاء لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ"**.

اضبطوا هٰذَا أَيُّهَا المُكرمون يَقُول: **"وَهَذَا أَمْر مُجْمَع عَلَيْهِ بَيْن الْعُلَمَاء"**، وَهُوَ تفضيل الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَار.

طيب سؤال هل تفضيل الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَار من حَيْثُ الجُملة أَم أَن كُل رَجلٍ من الْمُهَاجِرِينَ بعينه أفضل من كُل رجلٍ من الْأَنْصَار بعينه؟ الجواب مع الدليل.

الطالب: ...

الشَّيْخ: هٰذِه يُجاب عنها بأن الفضيلة الخاصة ما تعني التفضيل المُطلَق، طيب تفضل.

الطالب: ...

الشَّيْخ: طيب: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»، لا أنا أُريد الآن السؤال هُوَ ثُمَّ هٰذِه في خالد بْنَ الوليد يَعْنِي أَيْضًا لَيْسَت في واحدٍ من الأنصار فخالد بْنَ الوليد من أهل مكة، في خالد بْنَ الوليد وعبد الرحمن بْنَ عوف وكِلاهما من أهل مكة.

أنا البحث الَّذِي أُريده هل كُل رجل من الْمُهَاجِرِينَ يُقَال: بِأَنَّهُ أفضل من كُل رجل في الْأَنْصَار؟ أم أَن هُنَاكْ رَجُلًا في الأنصار قَدْ يفوق بعض الْمُهَاجِرِين؟ طيب تفضل.

الطالب: ...

الشَّيْخ: سعد بْنَ مُعاذ من الْمُبشرين بِالجَنَّةِ، طيب لكن أَيْضًا جميلة الصراحة الله يفتح عليك اهتز له عرش الرحمن: «**لمناديل من مناديل سعد في الجَنَّة**»، جميل يَعْنِي أَن هٰذَا من الأنصار وورد فيه فضلٌ خاص بِأَنَّهُ من أهل الجَنَّة وَهٰذَا لم يَرِد لكُل واحدٍ من الأنصار بعينه، جميل لكن أَيْضًا غَير واضح.

الطالب: ...

الشَّيْخ: طيب إِلَىٰ الآن أنتم تأتون بفضائل خاصة وعَلَىٰ القاعدة السابقة أقول: هٰذَا مُحتمِل أَن يكون دليلًا لكن يحتاج إِلَىٰ مزيد تأمل تفضل؟

الطالب: ...

الشَّيْخ: ممتاز هُوَ هٰذَا بعض الْمُهَاجِرِين أَيُّهَا الْمُكرمون أصلًا هاجروا بعد بيعة الرِضوان، وَقُلْنَا: من شهد بيعة الرِضوان خيرٌ ممن لم يشهدها، بعض الْمُهَاجِرِين ما شهدوا بدرًا وأهل بدر خيرٌ ممن لم يشهدها سواءٌ كان مُهاجريًا أو أنصاريًا.

إِذًا هٰذَا التفضيل بين الْمُهَاجِرِين والأنصار من حَيْثُ الجُملة، مَاذَا قَالَ السفاريني؟ قَالَ: "**المُراد بالأفضلية من حَيْثُ الجُملة ولا يلزم تفضيل كُل فردٍ مَثَلًا من الْمُهَاجِرِين عَلَىٰ كُل فردٍ من الأنصار**"، هٰذِه الْمَسْأَلَة أشار إِلَيْهَا السفاريني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في سفارينيته في شرحه لـ(**السفارينية**).

طيب أَيُّهَا الْمُكرمون قَالَ: "**وَبِأَنَّهُ: لا تزال طائفةٌ من هٰذِه الأُمَّة عَلَىٰ الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حَتَّىٰ يأتي أمر الله عَزَّوَجَلَّ**".

هٰذَا للّحَدِيْث: «**لا تزال طائفةٌ من أُمتي قائمةٌ بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حَتَّىٰ يأتي أمر الله عَزَّوَجَلَّ وهم ظاهرون عَلَىٰ الناس**».

حَتَّىٰ يأتي أمر الله النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بين أَن الساعة لا تقوم إِلَّا عَلَىٰ شِرار الخَلق؛ لذلك احتاج أهل الْعِلْم لبيان المُراد بقوله: «حَتَّىٰ يأتي أمر الله»، وأن أمر الله لَيْسَ المُراد بِهِ الساعة وَإِنَّمَا قُرب قيامة الساعة، الريح اللَطيفة الَّتِي لا تترك من في قلبه إيمان إِلَّا قبضته، هٰذَا المُراد بـ حَتَّىٰ يأتي أمر الله، ذَكَرَ هٰذَا النووي وغيرهُ.

قَالَ النووي: **"وقوله في الحَدِيْث: «حَتَّىٰ يأتي أمر الله»، المُراد بِهِ واللهُ أَعْلَم: إتيان الريح الَّتِي لا تدع أحدًا في قلبه مِثقال ذرة إِلَّا قبضته، إذ جاء في السُّنَّة: أَن الساعة لا تقوم إِلَّا عَلَىٰ شِرار الخَلق، وأهل الطائفة المنصورة من خِيار الخلق فكان لَا بُدَّ من حمل قوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَلَىٰ معنًى يُوفق فيه بين الحَدِيْثين"**.

قَالَ: **"ونعتقد أن ما جرى بين الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مِن الْفِتْن فقد صَدرَ عن تأويلٍ اجتهدوا فيه، فمن كان منهم مُصيبًا كان له أجران، ومن كان منهم مُخطئًا فله أجرٌ واحدٌ، وخَطؤه مَغفورٌ له، ونرى أنه يجب الكَفّ عن مساوئهم، فلا نذكرهم إِلَّا بما يستحقونه من الثناء الجميل، وأن نُطهِر قلوبنا من الغِّل والحِّقد عَلَىٰ أحدٍ منهم"**.

أَيُّهَا المُكرمون الْكَلَامُ في أصحاب النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كلامٌ خطيرٌ جِدًّا، ولا يقف عند مُجرد الْكَلَام فيه فَثَمَّ ما وراء ذَلِكَ، فَالَّذِي يتكلم بالصَّحَابَة اعرف أَنَّهُ لا يُريد ذات الصَّحَابَة، وَإِنَّمَا يُريد الْقُرْآن وَالسُّنَّة، لِمَاذَا؟ لأنهم نقلة الْقُرْآن وَالسُّنَّة، والقَدحُ في الناقل يَعْنِي القَدح في المنقول.

فَإِن كان الصَّحَابَةُ غَير موثقين فالْقُرْآن يُطعن فيه، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الناقل غَيرُ ثِقة، وإن كان الصَّحَابَةُ غَير موثقين فَالسُّنَّة يُطعن فيها لِأَنَّ الناقل غَير ثِقة؛ إِذًا الطَعنُ في الصَّحَابَة بوابةُ هَدم الدِّين.

من هُنَا عَلَيْنَا أَن نُعطي الباب حقه وأن نعرف خطر الحَدِيْث والكلام في الصَّحَابَة، ومن هُنَا نعرف لِمَاذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما سَب خالد بْنَ الوليد وَهُوَ صحابيٌ مُتأخر عبد الرحمن بْنَ عوف وَهُوَ صحابيٌ مُتقدم، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»**.

لِمَاذَا؟ لعظيم شأنهم إذ الدِّين ما حُفِظ إِلَّا بأصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من هُنَا يحذر الْإِنْسَان من القراءة في الْفِتْن الَّتِي طرأت بين أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ لا يدخل قلبه شيءٌ عَلَىٰ بعض أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيكون هٰذَا بداية الهَلاك.

وَهُنَا أمر مُهم وبينه الشَّيْخ/ ابْن عُثيمين في شرحه لهذا الْكِتَاب: أَن طالب الْعِلْم الَّذِي يطلب الْعِلْم ويطلب التحقيق في الْمَسَائِل الْعِلْمية ويُريد أَن يذود عَنْ الشرع، مثل هٰذَا نَقُول له: اقرأ لكن اقرأ بحذر وأنت مُستصحب الأصول الَّتِي تُبين عظمة الصَّحَابَة من الْقُرْآن وَالسُّنَّة، وأن تعرف أَن هٰذِه الْمَسْأَلَة مَسْأَلَةٌ مُهمة لا تقف عَنْ كونها حديثًا في الصحابة؛ بل تتعدى ذَلِكُم إِلَىٰ هَدم الدِّين.

ادخل وأنت مُستصحبًا الأصول واتبع كلام الكبار في هٰذَا الباب، نَقُول: لِمَاذَا تدخل؟ تدخل لأنك تُريد أَن تذود عَنْ هٰذَا الدِّين وترد الشُبه الواقعة، فَحِينَئِذٍ لَا بُدَّ أَن تكون عندك معرفة.

ولكن عامة الناس أو طُلاب الْعِلْم الَّذِينَ لم يبلغوا هٰذَا المَبلغ نَقُول لهم: لا تقرئوا، لأنكم لا تُميزون الخَبيث من الطيب، لا تُميزون الغَثّ من السمين، وَحِينَئِذٍ رُبَمَا تعتمدون عَلَىٰ الضعيف فيقع في قلوبكم شيء، ثُمَّ رُبَمَا لا تكون مُتمكنًا من الأصول الثابتة في الْقُرْآن وَالسُّنَّة فيقع في قلبك شيء.

لذلك أنا أقول: طالب الْعِلْم بعد أَن يبلغ مبلغًا من تَلقي الْعِلْم الشرعي ومن تحصيل الْعِلْم الشرعي، فليقرأ لمن يُعتمد عَلَىٰ قولهم في الباب بعد أَن يُحصِل قدرًا من الْعِلْم يُؤهِله لقراءة مثل هٰذَا.

ومن خير من كتب في هٰذَا ابْن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، فَالَّذِي لاحظته عَلَىٰ ابْن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ في **(البداية والنهاية)** أَنَّهُ مُعظِمٌ للصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، يُبين الغَلط الواقع في الروايات، ويُوجِه بعض الأحداث الواقعة, وعليك أَيْضًا أَن تستعين بكلام غيره من الْمُحققين، والله أسأل أَن يُوفقنا جميعًا للعِلْم النافع والعَمل الصالح.

هٰذَا وَالحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رَسُول الله.

📖 **وأنواع الشفاعة تندرج تحت قسمين اثنين:**

النوع الْأَوَّلُ: الشفاعة الخاصة.

النوع الثَّانِي: الشفاعة العامة.

إذًا الشفاعة، وهذه الأنواع تندرج تحت قسمين اثنين:

- الشفاعة القسم الْأَوَّلُ: الشفاعة الخاصة.
- القسم الثَّانِي: الشفاعة العلامة.

❑ **الشفاعة الخاصة أنواع:**

☜ النوع الْأَوَّلُ: النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع في المحشر بأن يبدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بحساب الخلق وحديثها الحديث الطويل المعروف: أن الناس يأتون إلى آدم فيعتذر، ثم يأتون إلى نوح فيعتذر، ثم يأتون إلى إبراهيم فيعتذر، ثم يأتون إلى موسى فيعتذر، ثم يأتون إلى عيسى فيعتذر، ثم يأتون إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيشفع، فهذه الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود.

☜ الشفاعة الثانية الخاصة: شفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة بأن يدخلوها، وهذه الشفاعة أيضا فيها أن الناس؛ أي أهل الجنة يأتون إلى آدم فيعتذر، ثم يأتون إلى إبراهيم فيعتذر حتى تصل إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والحديث في مسلم: «يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ. فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابْنِى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ، قَالَ: فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِى كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام، فَيَقُولُ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ. فَيَقُولُ عِيسَى عليه السلام: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ».

☜ الشفاعة الثالثة الخاصة: شفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عمه أبي طالب، فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفع لعمه أبي طالب فخفف الله عَزَّ وَجَلَّ عنه العذاب، كما هو معروف.

❖ هنا مسألة مهمة أرجو أن تنتبهوا لها: وهي هل هذا النوع، وأعني به من كان له خدمة عظيمة للإسلام وهو كافر، مثاله: أبو طالب فَقَطْ، فتكون الشفاعة خاصة، فلا يُشفع لكافر، وإن كان قد نفع المسلمين نفعًا عظيمًا، أم يُقال: إن أبا طالب وغيره ممن نفع المسلمين نفعًا عظيمًا يُسأل له كما سأل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب؟

الذي أعرفه أن هذه الشفاعة خاصة بأبي طالب، إلا أن ظاهر كلام ابن أبي العز الحنفي يُفيد عدم خصوصيتها، فإنه قَالَ: "الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يُخفف عنه العذاب" فكلامه يُفيد عدم اختصاصها بأبي طالب، فإنه مثل بشفاعة النبي فيه، ولم يجعلها خاصة له.

لاحظتم عبارته؟ قَالَ: "الشفاعة في تخفيف العذاب" وهو يذكر أنواع الشفاعات، "عمن يستحقه" أي عندنا نوع وهو: من يستحق العذاب يُشفع له، ومن الذي يستحق العذاب؟ هو الكافر، "يشفع له بأن يُخفف عنه العذاب" جعل مثالًا لهذه الشفاعة شفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي طالب.

أنا أقول: أهل العلم على أن هذه الشفاعة خاصة إلا أني تعمدت ذكر كلام ابن أبي العز ليُتأمل؛ لأنك إذا قال أحدهم قولًا، وليس له سلف فإن الإنكار يكون عليه، أما إن كان له سلف، وهناك من قال بقوله فالإنكار حِيْنَئِذٍ يكون على القول لا عَلَىٰ القائل؛ إذ المسألة تكون مسألة اجتهادية، وهذا الذي أقوله فيه مزيد بسط، لكن معرفة الخلاف بين أهل العلم في المسألة المعينة أمر مهم.

✍ القسم الثَّانِي: الشفاعات العامة:

الشفاعات العامة يشترك فيها مع النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيره إلا أن حظ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أعظم من حظ غيره، وهذا تنبيه مهم.

قال ابن تيمية وهو يشرح الشفاعات العامة، قَالَ: "شفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها أفضل مما لغيره، فإنه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عَزَّ وَجَلَّ".

❑ وهذا القسم الْثَّانِي: وهي الشفاعات العامة التي حظ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أعظم من حظ غيره أنواع:

⇦ النوع اَلْأَوَّلُ: الشفاعة فيمن استحقوا دخول النار ألا يدخلوها، قال ابن القيم: "هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النَّار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلم أظفر فيه بنص".

وهذا يدلك على ماذا؟ على عناية أهل العلم بالدليل، وهذا أمر مهم لطالب العلم، عليه أن يعتني بالدليل في تفاصيل المعتقد، فضلًا عن أصول المعتقد، وأن يقف عَلَىٰ الإشكال حتى يفهم، وحتى يُحصل الفهم المراد المطلوب لمسائل العقيدة.

فلاحظوا هذا الإمام الجليل ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ لم يُفوت المسألة هكذا، ويقول ذكر أهل العلم ويمضي دون أن يُبين حاله مع الدليل، بين حاله مع الدليل، ولم يستحي أن يقول لم أقف فيه على حديث صحيح، والآن الله المستعان أحدنا يسأل عن المسألة، فيستحي أن يُبين جهله فيها، وهذا من الأمانة في نقل العلم، هذا من الأمانة في نقل المباحث الدقيقة التي لم يصل فيها الشارح العالم إلى دليل، فجميل منه أن يُبينها حتى تكون محل بحث ونظر وتأمل ربما يجد غيره الدليل.

هذا الذي لم يجد فيه ابن القيم الدليل هو في أولئكم الذين استحقوا أن يدخلوا النَّار، فتأتي الشفاعة فيُمنعوا، اجتهد الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فذكر دليلًا، وهو: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» هذه الشفاعة أربعون رجلًا يصلون على الميت.

الصلاة على الميت دعاء، الأصل في الصلاة على الميت هو الدعاء له، والدعاء له شفاعة له، وهذا ربما يكون قد استوجب النار واضح؟ فتكون الشفاعة حِيْنَئِذٍ منجية له، هذا قول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.

واجتهد الشيخ صالح آل الشيخ وهو المحقق في هذا الباب، فاستدل بقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شَفاعَتي لأَهْلِ الكَبائرِ مِنْ أُمَّتي» أهل الكبائر منهم من استوجب دخول النَّار، فهذا الحديث يُفيد أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع له.

⇦ الشفاعة العامة الثانية: الشفاعة فمن دخل النار من الموحدين أن يخرجوا منها، وهذه أدلتها كثيرة مشهورة متواترة معروفة، منها: قوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتْ المَلَائِكَةُ، شَفَعَ النَبِيُّونَ، شَفَعَ المُؤْمِنُونَ، ولمْ يبْقَ إلَّا أرْحمَ الراحِمينَ، فيَقبِضُ قبْضةً من النارِ، فيُخرِجُ مِنها قومًا لمْ يَعمَلُوا خيرًا قطُّ».

⇦ الشفاعة التي تليها: شفاعته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوم من المؤمن في زيادة الثواب، ورفعة الدرجات: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّينَ»، ونقل شيخ الإسلام الاتفاق على هذه الشفاعة، وهذا اتفاق مهم ينقله إمام عظيم.

قال شيخ الإسلام: "شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين" الإجماع نقله في كتابه: **(قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)** وشيخ الاسلام في كتاب قاعدة جليلة بكلام عظيم مفيد يتعلق بالشفاعة.

"ونؤمن بحوض رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء حسنًا وكثرةً، يرده المؤمنون من أمته من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك".

مسائل في الحوض:

♦ المسألة الأولى: في دليل إثباته: الأدلة كثير ومتواترة، قال ابن عبد البر: "تواتر الآثار عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحوض حمل أهل السُّنَّة والجماعة والحق وهم الجماعة على الإيمان به وتصديقه".

♦ المسألة الثانية: في موقعه في الدار الآخرة؛ اختلف أهل السنة والجماعة في موضعه، فمنهم من قَالَ: هو قبل الصراط، ومنهم من قَالَ: هو بعد الصراط، ومنهم من قَالَ: هو قبل الصراط ويمتد إلى ما بعد الصراط، إذًا اختلف أهل السنة والجماعة في موضع الحوض؛ فمنهم من قَالَ: هو قبل الصراط، ومنهم من قَالَ: هو بعده، ومنهم من قَالَ: هو قبله ويمتد إلى ما بعد الصراط.

والذي تدل عليه الأدلة والله أعلم أن الحوض يكون قبل الصراط؛ لأن بعض الكفار يريدون أن يُشربوا منه فيُمنعوا، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ علَى الحَوْضِ، مَن مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، ومَن شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أقْوامٌ أعْرِفُهُمْ ويَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحالُ بَيْنِي وبيْنَهُمْ»، والكفار لا يجاوزون الصراط، فدل هذا على أن الحوض قبل الصراط.

قال ابن كثير: "والحوض في موقف القيامة قبل الصراط"، ابن كثير له كتاب يغفل عنه طلاب العلم وهو: **(النهاية)**، هذا الكتاب مهم جدًا في معرفة ما يكون يوم القيامة، آخر مجلد في البداية النهاية، البداية والنهاية فيه البداية، فيه التاريخ، فيه سيرة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه النهاية؛ فيه ما يكون يوم القيامة، فيه وصف الجَنَّة، فيه وصف النَّار، وهذا النهاية كتاب عظيم جدًا فيه فوائد كثيرة.

♦ المسألة الثالثة: هل الحوض موجود الآن؟ نعم موجود الآن، قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وإنِّي واللَّهِ لَأَنْظُرُ إلى حَوْضِي الآنَ»

♦ المسألة الرابعة: في صفته الشيخ ذكر أوصافه، وهي مذكورة في بعض الأحاديث، أنا سأختصر.

♦ المسألة الخامسة: من أين يستمد ماؤه؟ هنا مسألة مهمة: الحوض يسمى بالكوثر، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له نهر في الجنة اسمه الكوثر، فيختلط الأمر على بعض طلاب العلم، فحوضه يسمى: بالكوثر، ونهره يسمى: بالكوثر، النهر هو اسمه الكوثر، الحوض سمي بالكوثر؛ لأنه يستمد ماءه من النهر كما جاء في الحديث؛ قال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يذكر حوضه قَالَ: «يَشْخَبُ فيه ميزابانِ من الجنةِ».

قال ابن حجر: "الكوثر نهر داخل الجَنَّة -كَمَا تَقَدَّمَ- وماؤه يُصب في الحوض ويُطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يُمد منه" واضح؟ عرفنا سبب تسمية الحوض بالكوثر.

قَالَ: "وَنُؤمِن بالصِراط المنصوب عَلَىٰ جهنم، يمر الناس عليه عَلَىٰ قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق، ثُمَّ كمر الريح..." إلى آخر كلامه المتعلق بالصراط، الصراط لغة: الطريق الواضح المستقيم.

الصراط شرعًا: من الكتب الجميلة جدًا فيما يتعلق باليوم الآخر كتاب الشيخ: غالب العواجي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وهذا الكتاب جميل جدًا، ومهم جدًا؛ لأنه تعرض لهذه المسائل من خلال القرآن وَالسُّنَّة، وما عليه سلف الأُمَّة، فيذكر الأقوال ويرجح ويُدقق، فسر وعرف الصراط، فَقَالَ: "جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة، وأحد من السيف يعبره الخلائق بقدر أعمالهم".

هذا التعريف تعريف جميل جدًا مأخوذ من النصوص: "جسر ممدود على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف يعبره الخلائق بقدر أعمالهم"، الصراط في القرآن ما يدل عليه، ولكن لا أعرف آية جاء فيها ذكر الصراط بلفظه إلا آية واحدة وفي فهمها نزاع: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يس: ٦٦].

هذه الآية فسرها السعدي بأن الصراط المراد هو الصراط هٰذَا الذي نبحث مسائله، والقرطبي نقل هذا القول عن بعض من سبقه، ولكن فيما رأيت أن الكثير من المفسرين لا يُفسرون الصراط في هذا الموضع بالصراط المعروف، ولكن الإشارة إليه أو ذكره بغير لفظ الصراط واردٌ في القرآن: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، فعدد من أهل العلم ذكر أن المراد بالورود هنا الورود على الصراط، فينجي الله عَزَّ وَجَلَّ الذين اتقوا، ويُهلك الظالمين العاصين.

أوصاف الصراط: الصراط أحد من السيف كما جاء في تعريف وأدق من الشعرة، فأخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه قَالَ: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة واحد من السيف، كيف يعبرون عليه سراعًا؟ الله عَزَّ وَجَلَّ أعلم، فنؤمن بالنصوص كما

وردت، والكيفية أمرها إلى الله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، فحقائق الأشياء لا نعرفها، ولكن نُؤمن بها، والكلام حوله طويل سأختصر.

قَالَ: "وَنُؤمِن بكُل ما جاء في الْكِتَاب وَالسُّنَّة من أخبار ذَلِكَ اليوم وأهواله أعاننا الله عليها ويسرها عَلَيْنَا بمَنه وكرمه، وَنُؤمِن بشفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجَنَّة أن يدخلوها، وَهِيَ للنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة"، سبق الحديث حول الإيمان بهذه الشفاعة.

"وَنُؤمِن بِالجَنَّةِ وَالنَّار، فَالجَنَّةُ دار النعيم الَّتِي أعدها الله تَعَالَىٰ للْمُؤْمِنِيْنَ المُتقين، فيها من النعيم ما لا عَيْنٌ رأت ولا أُذنٌ سَمِعَت ..." إِلَىٰ آخر ما قَالَ مما يتعلق بالجنة ونعيمها وبالنار.

فيُبين المصنف رَحِمَهُ اللهُ أن الجنة مخلوقة الآن موجودة معدة للمتقين، والنار مخلوقة الآن موجودة معدة العاصين، وأن الكفار خالدون في النَّار، وأن المؤمنين خالدون في الجَنَّة، قال مستدلًا: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الطلاق: ١١]، وخلودهم فيها يُفيد خلود الجَنَّة، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وخلود أهل النار فيها يُفيد خلود النَّار.

وأما الدليل على كونهما موجودتين الآن: فقوله تَعَالَىٰ في الجَنَّة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١] وفي الأحاديث أدلة كثيرة، وهكذا الآيات التي جاء في النَّار، وأنها أعدت للكافرين، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢١ - ٢٣].

وهذا الموضوع موضوع سنبسط فيه القول بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ عند شرح الطحاوية، بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتيسيره سنبسط فيه القول عند شرح الطحاوية.

قَالَ: "ونَشهد بِالجَنَّةِ لِكُل من شَهِد له الْكِتَاب وَالسُّنَّة بالعين أو بالوصف، فمن الشهادة بالعين: الشَهادةُ لأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ..." إلى آخر ما قال مما يتعلق بالشهادة لمعين بالجنة أو النَّار، أو بالشهادة لمن اتصف بوصف بالجنة أو بِالنَّارِ.

الآن الشهادة أيها المكرمون كما أفاد الشيخ إما أن تكون شهادة بالوصف، وإما أن تكون شهادة بالعين، الشهادة بالوصف: نشهد بالجنة لكل وصف شهد الله عَزَّ وَجَلَّ لأهله بِالجَنَّةِ، فنقول: من اتصف بكذا فهو من أهل الجَنَّة.

والشهادة بالنار نشهد لكل وصف بين الشرع بأن أهله من أهل النَّار، واضح أيها المكرمون؟ أما الشهادة بالعين، فلا نشهد بجنة ولا نار إلا لمن شهدت له النصوص بِالجَنَّةِ أو بِالنَّارِ، فالصحابة نشهد للعشرة المبشرين بِالجَنَّةِ منهم، نشهد لثابت بن قيس بالجنة فقد بشره النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ، نشهد لبلال بِالجَنَّةِ، فقد بشره النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالجَنَّةِ، نشهد لمن شهدت له النصوص.

أما لمن لم تشهد له النصوص، فلا نشهد له بِالجَنَّةِ، وإن كان قد بلغ من الصلاح المبلغ العظيم، وهكذا النار نشهد بأن أبا لهب في النَّار: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١] الآيات، ونشهد لمن شهدت له النصوص بِالنَّارِ، أما الكافر المعين، فلا نشهد له بالنار ولو مات كافرًا، وإنما نقول الكفار في النَّار، واضح أيها المكرمون؟

وهذا كله فيه خلاف، فالشهادة بِالجَنَّةِ لمعين مسألة فيها خلاف، فمن أهل السنة من لا يشهد لمعين بالجنة إلا للأنبياء، قال ابن أبي العز: "وهذا يُنقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي"، ومنهم من قَالَ: لا يُشهد بالجنة إلا لمن ورد به النَّصّ، وهذا الذي ذكرته لكم، ومنهم من قَالَ: يُشهد بالجنة لمن ورد النص بكونه من أهل الجَنَّة، ولمن شهد له المؤمنون.

ومن هنا شهد بعض أهل العلم للأئمة الأربعة بأنهم من أهل الجَنَّة، وهذا موجود في كلام ابن عثيمين رحمه الله من المعاصرين، للحديث: «أَنْتمْ شُهداءُ اللهِ في الأرْضِ»، وهذا أيضًا يذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ يذكره عنه ابن عثيمين وغيره، وأنا لم أقف

على لفظه، ولكن هذا قول مشهور يُنسب لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وربما الوقوف على لفظه سهل، فالعهد بالمسألة قديم، ولم أبحثها قبل الدرس، ولكن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله يعزو هذا القول لشيخ الإسلام، وأنه يشهد للأئمة الأربعة بِالجَنَّةِ؛ لانتشار عدالتهم والثناء عليهم.

قَالَ: "وَنُؤمِن بفِتْنَة القبر، وَهِيَ سؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه؟ فـ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيَقُول المُؤْمِنِيْنَ: رَبِي الله، وَدِينِي الْإِسْلَام، ونبي مُحَمَّد، وَأَمَّا الْكَافِر وَالْمُنَافِق فيَقُول: لا أدرى، سَمِعَت الناس يَقُولون شَيْئًا فَقُلْته".

مسألة القبر مسألة معروفة دل عليها القرآن؛ والشيخ ذكر الآية، ودلت عليها السنة والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد جاء عنه تفسير هذه الآية بمسألة القبر، واتفق عليها أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وفيها تفصيل ومسائل سنمر على بعضها بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ عند شرح الطحاوية.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: "وَنُؤمِن بنعيم القبر للْمُؤْمِنِيْنَ..." إلى آخر ما قال رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، نعيم القبر وعذاب القبر مسألة اتفق عليها أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وجاءت بها الآيات ووردت بها الأحاديث الكثيرة، وهذا أمر معروف عندكم، فالأحاديث كثيرة، والآيات كثيرة والاتفاق موجود.

أما القرآن: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝١٦﴾ [غافر: ٤٦]، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ في البرزخ، ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ إذًا كانوا يعذبون في النَّار، والحديث المعروف: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» حديث معروف مشهور متفق على صحته، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أصحابه دعاء كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»، والإجماع معروف مشهور.

✍ **أنبه لمسألة مهمة:** أهل السنة والجماعة أيها المكرمون اتفقوا على العذاب والنعيم، اتفقوا على وجود العذاب ووجود النعيم في الحياة البرزخية، والصور ثلاثة:

- الصورة الأولى: أن يكون العذاب والنعيم على البدن والروح جميعًا.
- الصورة الثانية: أن يكون العذاب على البدن منفردًا.
- الصورة الثالثة: أن يكون العذاب على الروح منفردًا.

❖ **إذًا عندنا ثلاث صور:**

- **الصورة الأولى:** أن يكون العذاب والنعيم على الروح والبدن مجتمعين.
- **الصورة الثانية:** أن يكون العذاب على البدن وحده.
- **الصورة الثالثة:** أن يكون العذاب على الروح وحدها.

الصورة الأولى: اتفاقية، الصورة الثالثة: اتفاقية، الصورة الثانية: خلافية.

واضح الصورة الأولى اتفقوا على أن العذاب والنعيم يكونان على البدن والروح مجتمعين، واتفقوا على أن العذاب يكون على الروح منفردة عن البدن، والنعيم يكون على الروح منفردة عنه البدن، واختلفوا هل يعذب الروح منفردة أم لا؟ لماذا أقول هٰذَا؟ من المهم أن تعرف في المسائل العقدية المسائل التي هي محل اتفاق، ومحل خلاف بين أهل العلم؛ لأن التعامل مع المخالف في المسائل المتفق عليها، ليس كالتعامل مع من يخالفك في المسائل المختلف فيها.

من ذكر هٰذَا؟ ذكر هذا ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، قال ابن تَيْمِيَّة: "مذهب السلف وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا، فيحصل له معها النعيم والعذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أُعيدت الأرواح لأجسادها وقاموا من قبورهم لرب العالمين".

وقال الشيخ ابن تَيْمِيَّة: "وهل يكون العذاب والنعيم للبدن دون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث وَالسُّنَّة: أثبت ذلك طائفة منهم، وأنكره أكثرهم"، فأكثر أهل السنة والحديث على أن البدن لا يُعذب منفردًا.

والمسألة فيها بسط، ومزيد تفصيل، وتحتاج إلى شرح وتوضيح، أكتفي في هذا الدرس بالإشارة، وبإذن الله عَزَّ وَجَلَّ يُيسر الله عَزَّ وَجَلَّ لنا التفصيل فيها في شرح الطحاوية، ولكن العلم بها مهم؛ حتى تعرف أن القائل بأن العذاب لا يكون على البدن منفردًا لم يخرج عن أقوال أهل السنة وَالْجَمَاعَة، وإنما قال بقول قال به أكثرهم.

وممن تعرض لهذه المسألة ورجح فيما أذكر أن العذاب يكون على البدن منفردًا ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ تعالى في أهوال القبور.

أنا أقول أقرأ أنا القدر المتبقي حتى ننتفع من الوقت، ولا يُدركنا الوقت ولم ننتهي.

(اَلمَتن)

قال الشيخ رَحِمَهُ اللهُ: فصل: ونؤمن بالقدر خيره وشره، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته.

(اَلشرح)

هذا فصل عقده الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى لركن من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر، طيب هنا أمران اثنان قبل التعليق على كلام الشيخ:

الأمر اَلْأَوَّلُ: دراسة مباحث القضاء والقدر دراسة مشروعة مطلوبة، دراسة مشروعة مطلوبة، ففهم القدر فهم القضاء فهم للنصوص القرآن والسنة الواردة في القضاء والقدر، إذًا إذا كان الأمر هكذا، فكيف نفهم قول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وإِذَا ذُكِرَتْ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وإِذَا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا»، وقوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تنازع الصحابة في القدر: «عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَنَازَعُوا فِيهِ».

الجواب: أن المنهي عنه هو الخوض في القدر بالباطل، وعن التنازع فيه بغير علم ومعرفة؛ لأن ذلكم مدعاة الفرقة، وهذا ما فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنهم لم يتركوا

القول في القدر، وإنما تكلموا فيه وبينوه، ولكن تركوا هذا الذي نهى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه.

الأمر الْثَّانِي: القضاء والقدر لغةً وشرعًا؛ القضاء جاء بمعاني: منها الأمر ومنها الإنهاء، والقدر جاء بمعاني: منها الحكم، ومنها القضاء، وبعض أهل العلم يراهما بمعنى واحد شرعًا، ذكرت لكم المعنى اللغوي لكل منهما، فكل لفظ جاء بعدة معاني، وهما شرعًا من أهل العلم من يراهما بمعنى واحد، ومن أهل العلم من يفرق فيجعل معنى للقضاء ومعنى للقدر، وعند التأمل حقيقة لم أجد للمفرقين كلامًا يتضح فيه فرق يُعتبر، فالقضاء هو القدر والقدر هو القضاء هما بمعنى واحد.

وتفسر القضاء والقدر بالمراتب الأربعة التي سيذكرها الشيخ؛ فالقدر يدل على علم الله عَزَّ وَجَلَّ المحيط بكل المقدرات، وعلى كتابته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لكل المقدرات، وعلى مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمقدرات قبل وجودها، وعلى خلقه لها بعد مشيئته، واضح أيها المكرمون؟ هذا المعنى يدل عليه القضاء ويدل عليه القدر.

(المتن)

وللقدر أربع مراتب:

المرتبة الأولى: العلم، فنؤمن بأن الله تَعَالَىٰ بكل شيء عليم، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم.

(الشرح)

هذه المرتبة الأولى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]، وأدلتها كثيرة: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية.

وفي العلم تتعلق مسائل لعلنا نتطرق إليها بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ في شرح الطحاوية، والقدر سيمر معنا في التدميرية الجزء الثاني منه في التوفيق بين القدر والشرع، وسيمر معنا أيضا في الطحاوية، فنُقسم المسائل على هذه الكتب إلى أن نستوعب المهم منها.

(المتن)

المرتبة الثانية: الكتابة، فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ، ما هو كائن إلى يوم القيامة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

(الشرح)

الكتابة الله عَزَّ وَجَلَّ علم الأشياء، وقال للقلم اكتب، فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة، تتعلق بهذا مسألة مهمة دقيقة: وهي ما بعد قيام الساعة هل هو مكتوب أم لا؟ ما رأيكم؟ والحديث إلى قيام الساعة، ما رأيكم؟ ما بعد قيام الساعة مكتوب؟ مكتوب ما تستحضر الحديث؟ لماذا لم تعاملها على ظاهرها؟ كلامك يخالف ابن تيمية يا شيخ.

ابن تيمية بين أن المكتوب هو ما يكون إلى قيام الساعة، وهذا بينه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ولذلكم أشرت إلى هذه المسألة؛ لأني في الحقيقة كنت فيها إلى أن وقفت كلام على كلام الشيخ ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

قال رَحِمَهُ اللهُ وهو يناقش الفلاسفة الذين يزعمون أن القلم هو العقل: "ومن زعم أن العقل يُسمى قلمًا؛ لأنه ينقش العلوم في لوح النفس، وسمى النفس لوحًا، فأول ما في هذا أن هذا يُعلم بالاضطرار أنه ليس من لغة العرب، ولا قاله أحد من مفسري القرآن والحديث، ثم يقال قد أخبر أنه كتب ما يكون إلى يوم القيامة فَقَطْ، وعندهم هو المبدع للعالم كله وهو رب كل شيء بعد اَلْأَوَّلُ، وأيضًا فإنه أخبر أنه قدر ذلك وكتبه قبل أن يخلق السَّمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة".

فقول شيخ الإسلام: "أخبر أنه كتب ما يكون إلى يوم القيامة فَقَطْ" يُفيد انتهاء المكتوب إلى هذا الحد، واضح أَيُّهَا المكرمون؟ وللشوكاني أيضًا كلامٌ يُفيد هٰذَا.

(المتن)

المرتبة الثالثة: المشيئة، فنؤمن بأن الله تَعَالَىٰ قد شاء كل ما في السَّمٰوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

(الشرح)

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [الفاتحة: ٨٢].

(المتن)

المرتبة الرابعة: الخلق، فنؤمن بأن: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

(الشرح)

هٰذَا واضح بأن الله عَزَّ وَجَلَّ خالق كل شيء حَتَّىٰ عمل الإنسان.

(المتن)

ثُمَّ قَالَ: وهذه المراتب الأربعة شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه.

(الشرح)

أي أن الله عَزَّ وَجَلَّ يعلم نفسه، ويعلم فعله، ويشاء فعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَهٰذِه المراتب شاملة لما يكون من الله تَعَالَىٰ نفسه، وكتب عمله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعمال العباد، وخلق كل ما يكون.

(المتن)

ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى، مكتوبة عنده، والله تعالى قد شاءها وخلقها: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختيارًا وقدرة، بهما يكون الفعل.

والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور:

(الشرح)

إذًا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلق العبد، ويعلم فعله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكتب فعله وخلق فعله، وشاء فعله، وللعبد اختيار ومشيئة، فهذا كله ما ينفي كون العبد له اختيار مشيئة.

ووجه ذلك: أن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل للعبد قدرة تامة، ومشيئة جازمة، فكل فعل يفعله العبد، فإنه صادر عن قدرته ومشيئته، وقدرة العبد مخلوقة ومشيئته مخلوقة، ففعله مخلوق، ولكنه مخلوق بمشيئته وقدرته؛ أي وقع الفعل بمشيئة العبد وقدرته، وبخلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، ومشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له، فمشيئة الله وخلقه لا تنافي قدرة العبد ومشيئته.

وهذه المسألة مسألة مهمة جدًا، وقد ضل فيها من ضل، وسنزيدها بسطًا بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ في العبودية؛ لأن شيخ الإسلام تحدث عنها في العبودية، وفي التدميرية بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي الطحاوية، والشيخ هنا ذكر أمورًا يُبين فيها هٰذَا.

(المتن)

يقول: والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور:

اَلْأَوَّلُ: قوله تَعَالَىٰ: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، فأثبت للعبد إتيانًا بمشيئته وإعدادًا بإرادته.

(الشرح)

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ فتعلق الأمر بمشيئتهم، ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾، فأثبت للعبد إتيانًا بمشيئته وإعدادًا بإرادته، فالفعل لا يصدر إلا عن إرادة جازمة وعن قدرة تامة.

(المتن)

اَلثَّانِي: توجيه الأمر والنهي إلى العبد، ولو لم يكن له اختيار وقدرة لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق، وهو أمر تأباه حكمة الله تَعَالَىٰ ورحمته، وخبره الصادق في قوله: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(الشرح)

فلو لم يكن للعبد اختيار لكان أمر الله عَزَّ وَجَلَّ للعبد من تكليف ما لا يطاق.

(المتن)

الثالث: مدح المحسن على إحسانه، وذم المسيء على إساءته، وإثابة كل منهما بما يستحق، ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثًا، وعقوبة المسيء ظلمًا، والله تَعَالَىٰ منزّه عن العبث والظلم.

الرابع: أن الله تَعَالَىٰ أرسل الرسل: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

الخامس: أن كل فاعل يحس أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد، ويدخل ويخرج، ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحدًا يكرهه على ذلك، بل يفرق تفريقًا واقعيًا بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرق الشرع بينهما تفريقًا حكيمًا، فلم يُؤاخذ الفاعل بما فعله مكرها عليه فيما يتعلق بحق الله تَعَالَىٰ.

(الشرح)

وهذا واضح أن الواحد منا يُفرق بين الأمر الذي يأتيه مكرهًا، وبين الأمر الذي يأتيه بمشيئته.

الآن يتعرض الشيخ لمسألة مهمة؛ وهي أن العاصي لا حجة له على الشرع بالقدر، فلا يقول: أنا عصيت ولم أمتثل؛ لأن الأمر مقدر عليَّ ولا اختيار لي، لماذا؟ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد جعل له الاختيار، وجعل له قدرة تامة ومشيئة جازمة بها يفعل، فِحِينَئِذٍ ليس له أن يحتج بي القدر على ترك ما أمر الله به، أو على فعل ما نهى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنه، وهذا الذي سيبينه الشيخ.

(المتن)

قَالَ: ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تَعَالَىٰ، لأن العاصي يقدم عَلَىٰ المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تَعَالَىٰ قدرها عليه؛ إذ لا يعلم أحد قدر الله تَعَالَىٰ

إلا بعد وقوع مقدوره: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه؟

(الشرح)

يعني يقال له: وما أدراك بأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد كتب عليك المعصية حتى تستدل بالكتابة على فعلها، هذا الذي يُريد أن يفعل المعصية أو فعلها نقول: لماذا قدرت أن الله كتب المعصية ففعلتها؟ لماذا لم تُقدر أن الله كتب عليك الطاعة فتفعلها، واضح؟ فهذا يُظهر أنه متبع للهوى، يُريد المعصية فيفعلها ويزعم أن الله كتبها، وما أدراك أن الله كتب عليك المعصية، لماذا لم تقدر أنه كتب عليك الطاعة؟

(المتن)

وقد أبطل الله تَعَالَىٰ هذه الحجة بقوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدرًا أن الله تَعَالَىٰ قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك؟ ولهذا لمَّا أخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة: «بِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِن النَّار» قالوا: أفلا نتكل وندع العمل؟، قال: «لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

(الشرح)

فأهل الطاعة ميسرون للطاعة، وأهل المعصية ميسرون لها، والإنسان لا يعلم هو مخلوق وميسر لأي شيء، فعليه أن يعمل بما أتاه الله عَزَّ وَجَلَّ من قوة ومشيئة، وأن ينوي الخير، ولا يعتذر بالقدر عن ترك الواجب وعن فعل المعصية.

(المتن)

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب، والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني، ولا يمكن أن تسلك الأول، وتقول: إنه مقدر عليّ، ولو فعلت لعدك الناس في قسم المجانين.

(الشرح)

وهذه حجة دائمًا يذكرها شيخ الإسلام، يقول: هؤلاء الذين يحتجون بالقدر على المعاصي لا يستطيعون أن يُطردوا مذهبهم، الذي يحتج بالقدر على المعاصي لا يستطيع أن يطرد مذهبه؛ لأنك تجده في أمور الدنيا يُقدم ما يصلح له وما يريده، ولا يقدم ما يضره، وفي أمور الشرع يُقدم ما يضره ويحتج بالقدر، فيقال له: إن كنت صادقًا وتحتج بالقدر على المعصية، فلماذا نجدك في الأمور الدنيوية تُسابق إلى ما ينفعك، ولا تقدر أن الذي قد قدر عليك هو ما يضرك؟

فهذا الذي يقال له: عندك طريقان طريق مخوف وطريق آمن سيسلك قطعًا الطريق الآمن، ولن يسلك الطريق المخوف ويقول: إن هذا قد قدر عليّ، فكذلكم الذي وصف له طريقان طريق موصل إلى الجنة وطريق موصل إلى النَّار عليه أن يُطرد المذهب ويتبع الطريق الموصل إلى الجَنَّة، ولا يتبع الطريق الموصل إلى النار ويقول هذا قد قدر عليّ.

(المتن)

ونقول له أيضًا: لو عرض عليك وظيفتان، إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتج بالقدر؟

ونقول له أيضًا: نراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء، فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟

(الشرح)

هٰذَا كله واضح، الآن بقي القدر الأخير، ثم الفوائد المستفادة من المعتقد هٰذِه سنقرأها؛ لأنها واضحة لا تحتاج إلى تعليق.

آخر مسألة تعرض إليها الشيخ من مسائل القدر: هي بيان أن تقدير الله عَزَّ وَجَلَّ أن فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا شر فيه، وإنما الشر في مفعوله، وهذا الشر الذي في مفعولات الله ليس شرًا مطلقًا، وإنما هو شر نسبي، فاضبطوا هٰذَا: ليس في تقدير الله عَزَّ وَجَلَّ شر، ليس في فعل الله عز وجل شر لا مطلق ولا نسبي.

ومفعول الله فيه شر نسبي، وليس فيه شر مطلق، فعل الله الذي هو تقديره لا يوجد فيه لا شر مطلق ولا شر نسبي، مفعوله فيه شر نسبي ولا يُوجد فيه شر مطلق، الشر المطلق هو الشر من كل وجه، الشر النسبي هو الشر من وجه، ولكن هو مصلحة لوجوه أخرى، فهذا لا يوجد في تقدير الله في فعل الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما في فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخير.

أما مقدوره ومفعوله ففيه الشر النسبي وليس فيه الشر اَلْمُطْلَق، فكل ما في مقدورات الله عَزَّ وَجَلَّ من الشر هو شر نسبي، المصالح التي تُنال منه وتتحقق به مصالح أكبر من شره، وهذا مثاله واضح جدًا، وهو تصور وجود شر يكون خيرًا بالنسبة للمصلحة الراجحة، ويمثلون له بالعملية، فهذه العملية الجراحية هي شر يتأذى منها، ولكن لما فيها من خير تكون خيرًا؛ إذ المصلحة منها أعظم من الضرر الواقع فيها.

فكل ما في الدنيا من شرور فإنها شرور نسبية تترتب عليها مصالح أعظم، فمثلًا الشيخ سيمثل بالحدود هي شر بالنسبة لمن وقعت عليه، ولكن بالنسبة لحفظ المجتمع الذي يكون بإقامة هذا الحدود تكون خيرًا، فهذا الذي يكون في مقدور الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الشر هو شر نسبيٌ ليس شرًا مطلقًا، واضح أَيُّهَا المكرمون؟

(اَلمَتن)

ثم قَالَ: ونؤمن بأن الشر لا ينسب إلى الله تَعَالَىٰ لكمال رحمته وحكمته، قال النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»، فنفس قضاء الله تَعَالَىٰ ليس فيه شر أبدًا؛ لأنه صادر عن رحمة وحكمة.

وإنما يكون الشر في مقتضياته، لقول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن: «وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ»، فأضاف الشر إلى ما قضاه، ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شرًا خالصًا محضًا.

(الشرح)

إذًا فعل الله لا شر فيه، المقتضيات فيها شر، والشر الذي فيها شرٌ نسبي.

(المتن)

فإن الشر في المقتضيات ليس شرًا خالصًا محضًا، بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه، أو شر في محله خير في محل آخر. فالفساد في الأرض: من الجدب والمرض والفقر والخوف شر، لكنه خير في محل آخر، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع اليد، وإزهاق النفس، لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما، فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة. وهو أيضًا خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

(الشرح)

انتهى التعليق، الثمرات هٰذِه سأقرأها قراءة.

(المتن)

فصل:

هذه العقيدة السامية المتضمنة لهذه الأصول العظيمة تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة كثيرة:

فالإيمان بالله تَعَالَىٰ وأسمائه وصفاته: يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تَعَالَىٰ واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولًا: العلم بعظمة خالقهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وقوته وسلطانه.

ثانيًا: شكره تَعَالَىٰ على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثًا: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين.

ومن ثمرات الإيمان بالكتب:

أولًا: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابا يهديهم به.

ثانيًا: ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

ثالثًا: شكر نعمة الله تَعَالَىٰ على ذلك.

ومن ثمرات الإيمان بالرسل:

أولًا: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

ثانيًا: شكره تَعَالَىٰ على هذه النعمة الكبرى.

ثالثًا: محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تَعَالَىٰ وخلاصة عبيده، قاموا لله بعبادته وتبليغ رسالته، والنصح لعباده، والصبر على أذاهم.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

أولًا: الحرص على طاعة الله تَعَالَىٰ رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفا من عقاب ذلك اليوم.

ثانيًا: تسلية المؤمن عمّا يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

ومن ثمرات الإيمان بالقدر:

أولًا: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانيًا: راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تَعَالَىٰ، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس، واطمأن القلب، ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشًا وأريح نفسًا وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثًا: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تَعَالَىٰ على ذلك، ويدع الإعجاب.

رابعًا: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السَّمٰوات والأرض، وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك، ويحتسب الأجر. وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فنسأل الله تَعَالَىٰ أن يُثبتنا على هذه العقيدة، وأن يحقق لنا ثمراتها، ويزيدنا من فضله، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب، والحمد لله رب العالمين.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

(الشرح)

هٰذَا وَالحَمْدُ للهِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ رسول الله.